الإسلام ... والغرب[1]

ما هو الغرب الْمُحاور؟

الإسلام هو الإسلام ... لكن الغرب يحتوي الجغرافيا والسياسة والتاريخ والمصالح والثقافة ... هل يمكن أن نبدأ الحوار حول «الحوار مع الغرب» بتحديد لمفهوم الغرب أم نعتبره كله غربًا واحدًا؟

لا بد أن نحدد ما هو الغرب الذي نريد أن نحاوره، فليس الغرب مجرد منطقة إقليمية ولكن حينما نقول الغرب نقصد حضارة معينة وثقافة معينة ذات مقومات وخصائص ... وقديمًا قال أحد الأدباء: الشرق شرق والغرب غرب ولن يلتقيا ... ولكن هذا الكلام قد يُقبل على عمومه، ولكن في التفصيل: ما هو الشرق وما هو الغرب؟ فليس الشرق شرقًا واحدًا، ولا الغرب غربًا واحدًا ...

ولكن إذا نظرنا إلى الغرب باعتباره صاحب الثقافة المهيمنة الآن والحضارة السائدة بطابعها المادي والنفعي الذي لا يهتم بالغيبيات ولا يقيم لحاكمية الله تعالى وزنًا في الحياة، وكما قال ليبولد فايس أو محمد أسد: «إن الحضارة الغربية وإن كانت لا تجحد الله ألبتة، فليس لله مكان في نظامها الحالي» النظام الفكري والثقافي خاصة.

نحن حينما نحاور الغرب نعتقد أنه حوار مع الآخر، والحوار مع الآخر ليس معناه أن يكون الآخر هو أنت، وإلا لم يكن آخر! فلا بد أن يكون المقدس

---

(1) حوار أجراء في الدوحة الدكتور حسن علي دبا، ونشر في مجلة «المجتمع» الكويتية.

عنده غير المقدس عندك، لا بد من خلاف ... ولا مانع أن يحاور الإنسان مُخَالِفه، بل نحن مأمورون بهذا كما أمرنا القرآن بأن نجادل أهل الكتاب بالتي هي أحسن: **{وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ}** [العنكبوت: 46].

المقدس هنا و هناك

هل هناك مانع من أن يحاور الإسلام الغرب؟ هل يمكن أن يكون اختلاف المقدس عند الإسلام عن المقدس عند الغرب عائقًا في قيام مثل هذا الحوار؟

نحن لا نمانع من منطلق ديننا أن نحاور الآخرين مع اعتقادنا أننا مختلفون في أشياء كثيرة منها أن المقدس عندنا غير المقدس عندهم، والمنطلقات عندنا غير المنطلقات عندهم، والأهداف عندنا غير الأهداف عندهم، والوسائل والمناهج عندنا غير الوسائل والمناهج عندهم ... رغم هذا فنحن مأمورون أن نحاور هؤلاء ونجادلهم بالتي هي أحسن.

من يقرأ القرآن الكريم في الحقيقة يجده كتاب حوار في الدرجة الأولى ... الأنبياء حاوروا أقوامهم، حوارات سجَّلها القرآن، حوار نوح لقومه فقالوا: **{يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ}** [هود: 32].

حوار إبراهيم لأبيه وقومه كما قال تعالى: **{وَتِلۡكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيۡنَٰهَآ إِبۡرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦۚ نَرۡفَعُ دَرَجَٰتٖ مَّن نَّشَآءُ}** [الأنعام: 83].

حوار موسى مع فرعون حوار طويل سجلته سورة طه وسورة الشعراء

وغيرهما من السور ... بل أعجب من هذا حوار الله تعالى مع خلقه: تجد القرآن قد ذكر لنا أن الله عمع حينما أراد أن يخلق آدم قال للملائكة: **{إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ}** [البقرة: 30].

وأراد أن يثبت لهم هذا فعمل امتحان مسابقة بينهم وبين آدم ... إلى آخر ما نعرف من قصة استخلاف آدم في سورة البقرة في القرآن.

بل أعجب من هذا حوار الله مع أعدى أعدائه إبليس: كيف آذن لإبليس أن يحاوره، قال: **{مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ 75 قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ 76 قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ 77 وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ 78 قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ 79 قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ}** [ص: 75 - 80]، إلى آخر هذا الحوار الطويل بين إبليس وبين رب العزة عمع.

فهذا يدلنا على أن للحوار مجالًا رحبًا ومكانًا واسعًا في الفكر الإسلامي وفي الساحة الإسلامية بدءًا من القرآن الكريم فالسنة النبوية فالتراث الإسلامي كله مليء بهذه الألوان من الحوارات المختلفة.

الحوار مع الآخرين في السنة والتراث

هل يمكن أن نتعرف على صورة الحوار مع الآخرين في ضوء السنة النبوية الشريفة؟

في السنة حوارات مختلفة مع النبي صلى الله عليه وسلم ... فالذين كانوا

يأتون إليه ويسلمون ويسألونه: «آلله أمرك بهذا ... » ضرار بن ثعلبة وحديثه ... بل رأينا سؤال جبريل يسأل النبي صلى الله عليه وسلم ما الإسلام، وما الإيمان، وما الإحسان، وما الساعة، وما المسئول عنها بأعلم من السائل؟ والسؤال عن أمارتها إلى آخره ... هناك حوارات شتى ...

وهناك من يأتي النبي صلى الله عليه وسلم يستأذنه في الزنا، يقول له: «**أتحب أن يزني أحد بأمك؟**» يقول له: لا، «**بأختك؟**» لا، «**بابنتك؟**» لا، «**بعمتك، بخالتك**» وفي كل مرة يقول له كذلك الناس لا يحبونه لأمهاتهم ولا لبناتهم، ولا لعماتهم ... إلى هذا الحد كان النبي صلى الله عليه وسلم يسمح بالحوار بينه وبين الآخرين. وينتهي بأن يخرجوا من عنده وهم راضو الأنفس، مطمئني القلوب ...

في التراث الإسلامي ملاح مميزة للحوار بين المسلمين وغيرهم:

الحوار بين علماء المسلمين وأصحاب الديانات الأخرى موجود في التراث ... حوار الإمام الباقلاني مع بعض الملوك النصارى، وحوار مع الأحبار، ومع الرهبان ... وهناك رسائل وكتب في التراث يمكن الرجوع إليها في مظانها.

اختلاف الموقف الحضاري

الموقف مختلف: ألا ترون أن هناك فرقًا بين الوضع الحضاري الحالي والوضع الماضي، كان المسلمون قوة، وكانت لهم حضارة، أما اليوم فهم الأضعف كيف يكون الحوار؟

المسلمون في الماضي كانت لهم حضارة، وكانوا أصحاب الحضارة الأولى، في العالم، وكانوا هم العالم الأول، هم الآن العالم الثالث، كما يقال، وربما ينسب بعضهم إلى العالم الرابع لو كان هناك عالم رابع! ولكن المسلمين أقوياء بثقافتهم، بأصول حضارتهم، برسالتهم العظيمة التي أكرمهم الله تعالى بها، برسالة الإسلام، هم أقوياء بهذه الرسالة فهم يملكون ما لا يملك العالم كله، يملكون الرسالة العامة الخالدة التي تحمل كلمات الله الأخيرة للبشرية، لا يوجد دين يملك وثيقة سماوية سالمة من التحريف والتبديل اللفظي والمعنوي إلا المسلمون، فهم وحدهم هم الذين يملكون القرآن ... هذه هي الوثيقة السماوية الوحيدة المحفوظة بحفظ الله عمع الذي قال: **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ}** [الحجر: 9]، **{لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}** [فصلت: 42].

الكتاب هو الكتاب المحفوظ، حتى إن المسلمين يحفظونه كما كُتبَ في عهد سيدنا عثمان، فقد تغيرت طرق الرسم والإملاء، لكن لم يجرؤ المسلمون على أن يغيروا رسم المصحف: فالصلاة تكتب بطريقة معينة «صلواة»، الربا «ربوا» هكذا ... كما كتبت في عهد عثمان ... وكذلك يُقرأ هذا الكتاب كما كان يقرأ في عهد النبوة بغُنه، ومَدِّه، وحركاته، وسكناته ولذلك فإن هناك علم التجويد، وعلم مخارج الحروف، علوم تحافظ على القرآن الكريم كله صوتيًّا، كما حُفظ عليه كتابيًّا، بحيث يقرأ ويتلى كما كان مكتوبًا، ويقرأ كما كان

مكتوبًا ...

لا توجد أمة تملك كتابًا محفوظًا بهذه الطريقة إلا المسلمون؛ لأنهم أصحاب الرسالة الخاتمة، الرسالة الخالدة ... فإذا كان المسلمون الآن في فترات ضعف مادي ففي الواقع هم يملكون هذه الرسالة العظيمة ... والمسلمون على علاتهم، على ما بهم من ضعف، على ما يؤخذ عليهم من عيوب ومساوئ ننتقدها نحن عليهم، المسلمون هم أفضل أمم الأرض ... الأمة الإسلامية هي أفضل الأمم، من ناحية إيمانها بالله، من ناحية توحيدها، من ناحية حفظها للقيم الأخلاقية التي توارثتها عن النبوات الهادية في مختلف مراحل التاريخ، الأمة الإسلامية هي أقل الأمم إغراقًا في المادية، أقل الأمم إغراقًا في المتع والشهوات: الجنس، الزنا، الشذوذ، أقل الأمم شربًا للخمور، والمسكرات، أقل الأمم إغراقًا في المخدرات ... وهم أحرص الأمم على التمسك الأسري، بر الوالدين، صلة الأرحام، الأسرة الممتدة الواسعة، ليست الأسرة النووية: الزوج وزوجته والأولاد الصغار، الأسرة تشمل الأولاد والبنات والأخوة والأخوات والعمات والأعمام، والأخوال والخالات، صلة الرحم باعتبار ذلك عبادة وفريضة ...

الأمة الإسلامية على ما بها، ظل عندها قيم متوارثة، ترحم الضعيف، وتقري الضيف، وتحمل الكل، وتُكسب المعدوم، وتعين على نوائب الدهر، كما كان يفعل نبيها صلى الله عليه وسلم ، وتفعل هذا من تلقاء نفسها ليس لأمر تجاري، فيمكن أن تحدث بعض الأشياء للمصلحة الاجتماعية، ليس انبعاثًا ذاتيًّا، ليس لأن هذا واجب في ذاته.

أقول: إنه رغم أن الأمة الإسلامية بها عيوب، وفيها نقاط ضعف كثيرة

تُقرُّ بها هي أفضل الأمم ولا شك على وجه هذه البصيرة.

هل تخف صرامة الموقف الفكري الإسلامي؟

ذكرتم الآية الكريمة: **{ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ}** [النحل: 125]، وأجبتم على سؤالي: هل يمكن وضع مصطلح الحوار في إطار مصطلحي الدعوة والجدل هل يعني هذا الحوار تخفيف صرامة الموقف الفكري الإسلامي والعقائدي، لتقريب الآخرين إلى الإسلام؟

لو التزمنا بأدب الحوار كما شرعه الإسلام، لأدى ذلك من غير شك، إلى التقارب مع الآخرين ... فالإسلام يأمرنا في هذه الآية التي وضعت أصول الدعوة والحوار أن ندعو إلى سبيل الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأن نجادل بالتي هي أحسن ... ونجد هنا فرقًا في التعبير: اكتفت الدعوة بالأمر بالحكمة والموعظة الحسنة، ولكنها عند الجدال لم تكتف بالجدل الحسن، وإنما أمرت بالجدال بالتي هي أحسن ... لماذا؟ لأن الموعظة تكون مع الموافقين، فالموافق يكفي أن تعظه موعظة حسنة، ترقق قلبه، تحرك ساكنه، تُرغبه في الخبر، ترهبه من الشر ... يكفي أن تكون الموعظة حسنة ... ولكن الجدال يكون مع المخالف، والمخالف لا يكفي أن تجادله جدالًا حسنًا، وإنما أن تبذل جهدًا في أن يكون جدالك بالتي هي أحسن ... أن تحاوره بأحسن الطرق، وأرق الأساليب، وألطف العبارات، حيث لو كان هناك طريقتان: طريقة حسنة، وطريقة أحسن منها وأجود، فلا بد أن تستخدم الطريقة التي هي أحسن وأجود ... فهذا هو الذي أمر به الإسلام؛ ولذلك نجد القرآن وهو يعلمنا الحوار مع الآخرين: **{قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ قُلِ ٱللَّهُۖ وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ**

هُدًى أَوْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ} [سبأ: 24]، مع أنه متأكد أنه على هدى وأن غيره على الضلال, ولكن يريد أن يُقرِّب هؤلاء من ساحته ... يقول: أحد الفريقين منا لا بد أن يكون مخطئًا والآخر على صواب، فلا بد أن نبحث مَن المخطئ ومَن المصيب، من المهتدي ومن الضال منا ومنكم، ثم يقول: **{قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ}** [سبأ: 25]، كان من الممكن أن يقول إما: لا تسألون عما عملنا ولا نسأل عما تعملون»، أو يقول: «لا تسألون عما أجرمنا، ولا نسأل عما تجرمون» ... المقابلة تقتضي هذا لكن نسب إلى نفسه ومن معه هذا «لا تسألون عما أجرمنا».

إن كنا نحن أجرمنا فأنتم لا تسألون عن إجرامنا، ولكنه لم يقل ولا نسأل عما تجرمون، حتى لا ينسب إليهم الإجرام ولكن «لا نسأل عما تعملون».

كل هذا نوع من التخفيف والتقريب وإزالة كل ما يوغر الصدور ويباعد الشُّقة بين الطرفين ... فهذا هو ما جاء به الحوار بالتي هي أحسن ...

ولذلك نرى القرآن هنا يذكر مواضع الاتفاق وليس نقاط الاختلاف ... ولذلك في حوار أهل الكتاب قال: **{وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ}** [العنكبوت: 46].

وفي الآية الأخرى: **{قُلْ أَتُحَآجُّونَنَا فِي ٱللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَلَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ}** [البقرة: 139]، يذكر الأشياء المتفق عليها ... وهذا مبدأ مهم جدًّا: إذا أردت أن تحاور الآخرين فابدأ بالمتفق عليه ليكون ذلك سبيلًا إلى أن نصل إلى قاسم مشترك بين الفريقين ... لا نأتي إلى الشيء المختلف فيه ونقول به،

فلا يمكن أن نلتقي ... نقول: نبحث ماذا يجمع بيننا؟ نحن معًا نؤمن بالله، ولو إيمانًا إجماليًّا، نؤمن بالآخرة والجزاء الأخروي، نؤمن بعبادة الله وبالقيم الأخلاقية، وبثبات هذه القيم، نؤمن بوحدة الإنسانية، وبأن الإنسان مخلوق مكرم، نؤمن ... نأتي بأشياء يمكن أن تجمع بين المختلفين ...

فإذا وضعنا هذه الأشياء المتفق عليها يمكن أن تُقرّب بين المختلفين بعضهم بعضًا ... من جهتنا نحن المسلمين مستعدون للتقارب، المهم أيضًا أن يكون عند الآخرين مثل هذه الروح ... فيعاملوننا بمثل ما نعاملهم به، ويقتربون منا بقدر ما نقترب منهم ... فإذا حدث اقتراب من الطرفين، فإنه يمكن أن يلتقيا على كلمة سواء، كما كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو أهل الكتاب: **{يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ}** [آل عمران: 64]، جوامع لا يمكن للعاقل أن يرفضها: **{أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ}** [آل عمران: 64]، لست ربًّا لي، ولست عبدًا لك، كلنا عبيد لرب واحد، وينبغي أن نوحد الله ولا نشرك به، فهذه هي الجوامع التي يدعو الإسلام إلى أن تكون هي ملاك الحوار وأساس بين الأطراف المختلفة.

لا تنازل عن أساسيات

هل يقتضي نجاح الحوار بين فريقين مختلفين أن يتنازل كل منهما عن شيء ويتمسك بأشياء؟ أم أن الحوار يكون بحثًا عن نقاط تقارب أكثر من تقديم تنازل؟

هناك أشياء لا يمكن التنازل عنها، فنحن نحاول أن نذكر مواضع الاتفاق،

ولكن ليس معنى هذا أن أتنازل عن أي شيء أساسي عندي ... حينما أراد الكفار من مشركي قريش أن يفاوضوا النبي صلى الله عليه وسلم على أن يتنازل عن عبادة إلهه مدة من الزمن، يعبد آلهتهم مدة، ويحاولون أن يقترب الفريقان بعضهم من بعض، لكن رفض هذا، وجاءت السورة الفاصلة الحاسمة **{قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ}** [الكافرون: 1]، لأول مرة يُخاطب المشركون بهذه اللفظة: **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ}**، فالقرآن عادة حينما يخاطب المشركين يقول: **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ}** [البقرة: 21، وآيات أخرى]، وأما اليهود والنصارى فيقول: **{يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ...}** [آل عمران: 64]، أو: **{ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ ...}** [البقرة: 101]، وهذا أيضًا من الحوار بالتي هي أحسن: إنك تختار أرق الألفاظ وأقربها إلى قلب مُخَاطَبك ... إنما هو هنا قال: **{قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ 1 لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ 2 وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ 3 وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ 4 وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ 5 لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}** [الكافرون: 1 - 6]، بهذا التكرار وهذا التأكيد هناك أشياء تحتاج إلى حسم، لا يمكن أن يتنازل الإسلام عن عقائده وعن قيمه وعن فرائضه، وعن أخلاقياته ... التنازل غير وارد بالمرة، ومع هذا: **{لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ}** [الكافرون: 6]، لي عملي ولكم عملكم: **{وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ ۖ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِيٓءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ}** [يونس: 41].

إنما اختصم الإسلام مع الشرك واصطدم به، ووقع ما وقع لأنهم قالوا: «لنا ديننا وليس لك دينك»، «لنا عملنا وليس لك عملك»، «من حقنا أن نعبد الأصنام، وليس من حقك أن تعبد الله»، «من حقنا أن ندعو إلى الوثنية، وليس من حقك أن تدعو إلى الإسلام» ... ورفعوا في وجهه السيف والتعذيب ... فكان لا بد أن يدافع الإسلام عن نفسه ...

التنـازل عـن أي مبـدأ أو أي عقيـدة أو أي فريضـة أو أي قيمـة، هـذا غيـر مقبـول بـالمرة ... نحـن نتحـاور وكـل منـا يتمسـك بمبادئـه ... إنمـا أتنـازل عـن أساسياتي ليس هذا أمرًا ضروريًّا للحوار إطلاقًا، وإذا أريد منـي هذا، فمعنـاه أن الحوار فاشل من أول الأمر.

الأساسيات المحكمات: محل اتفاق إسلامي

ما هي الأمور التـي تعنـي الأساسيات فـي نظركم، والتـي لا يمكن التنـازل عنها في الحوار مع الغرب؟ فلا يخفى ما بين المسلمين أنفسهم من اختلافات هل تكون الأساسيات محل اختلاف أصلًا؟

نحن نتكلم عن الأساسيات المحكمات ... هناك أشياء يمكن أن يختلف فيها الناس أهي أساسية أم غير أساسية؟ فلا ينبغي أن نُصدر الأمور الخلافية عند الحوار، فأنا لا آتـي لأدافع عن النقاب مثلًا، نقاب المرأة، لا، إنما إدافع عن الحجاب، فالحجاب أمر مفروض بنصوص القرآن والسنة وبإجماع الأمة ... إنما النقاب فيه كلام كثير ... فحينما أحاور الآخرين لا ينبغي أن أجعل قضية النقـاب قضـية أساسـية، ومسـألة الجهـاد فـي سـبيل الله للـدفاع عـن الأرض والعرض والحرمات ... هذا أمر لا كلام فيه. إنما الدفاع للهجوم على العالم كما يصوره بعض الناس، هذا أمر ليس واردًا، ونحن هنا نتبنى ما تبناه علماء المسلمين المعاصرين الشيخ رشيد رضا، والشيخ شلتوت، والشيخ عبد الله دراز، والشيخ أبو زهرة، والشيخ الغزالي، وهؤلاء كلهم يتبنون أن الجهاد في الإسلام للدفاع عن الدين والدولة والحرمات والأرض والعرض ... وليس لغزو العالم كما يصوره بعض الناس ...

هناك أشياء يمكن أن يختلف فيها الناس بعضهم من بعض، إنما نحن حين نريد أن نحاور الآخرين لا بد أن تتضح لنا الصورة الإسلامية الحقيقية التي تدل عليها المحكمات من النصوص، القواطع، يجب أن نفرق بين ما هو قطعي وما هو ظني، الأشياء التي نستمسك بها ونقاتل دونها ولا نفرط في ذرة منها هي القطعيات، أما الظنيات والاجتهاديات وما فيه القيل والقال، وما يمكن أن يخضع لاختلاف التفسيرات واختلاف الأفهام، وتعدد الاجتهادات، هذا لا ينبغي أن نضعه في مقدمة الحوار بيننا وبين الآخرين.

كيف تكون الثقافة العالمية: قاسمًا مشتركًا؟

تطرح في سياق بحث العلاقة بين الإسلام والغرب فكرة الثقافة العالمية لتكون قاسمًا مشتركًا في الحوار بينهما ... وتعني الثقافة العالمية الثقافة الكونية التي تتشكل من خصائص إنسانية تستوعب كل الثقافات الشرقية والغربية وتحيي الضمير الفردي وتحافظ على مصالح المجتمع في الوقت نفسه، وهي ثقافة قادرة على النظر بوضوح إلى ما بين الثقافات والمجتمعات ... من علاقة وتعريفها ...

هل ترون إمكانية وجود هذه الثقافة العالمية قاسمًا مشتركًا للحوار؟

هذا وصف للثقافة الإسلامية في الحقيقة، فالثقافة التي تحمل هذه الخصائص هي الثقافة الإسلامية، ولكن حسب ما هو قائم وما هو واقع لا توجد ثقافة كونية أو ثقافة عالمية ... بعض الناس يريدون أن يجعلوا من الثقافة الغربية المسيطرة ثقافة عالمية، وهذا ليس بصحيح، هي ثقافة عالمية بمعنى أنها منتشرة في العالم، وسائدة ومسيطرة على الأفكار، ومسيطرة على

الإعلام، وعلى أدوات التثقيف في العالم، هذا صحيح، إنما ليست هي الثقافة العالمية ... هناك ثقافات مخالفة لها في الشرق وفي الغرب، هناك الثقافة اليابانية أو الثقافة الصينية والثقافة الهندية، والثقافة الإسلامية، والثقافات الإفريقية ...

لأن الثقافات في الواقع تتأثر بالأديان، ثقافة أي قوم من الأقوام تتأثر بالعقائد السائدة، والقيم السائدة، والمواريث الفكرية والدينية عند كل قبيل من القبائل أو أمة من الأمم ... هذا ما قاله «ت. سي. إليوت» وغيره، إن تأثير الدين في الثقافة أمر مفروغ منه، فلا يمكن أن تكون هناك ثقافة واحدة مع وجود أديان مختلفة، إذا اعترفنا بتعدد الأديان فلا بد أن نعترف بتعدد الثقافات.

فمن أجل هذا ليست هناك ثقافة عالمية كونية، إلا إذا أريد أن تكون هناك ثقافة مفروضة على الجميع. نحن ننطلق من تعدد الثقافات ... نحن وإن كنا نرى أن ثقافتنا هي التي يمكن أن تحقق ما ذكرته في سؤالك: «الثقافة التي تنظر إلى الإنسان وتحيي ضمير الفرد، وتحمي مصالح المجتمع، وتصل الأرض بالسماء، وتحقق القيم الروحية والقيم المادية ... » هي الثقافة الإسلامية ... ونحن مع هذا إنما لا نفرض ثقافتنا بالإكراه على العالم، حينما كانت ثقافتنا هي السائدة وحضارتنا هي القائدة أيام ازدهار الحضارة الإسلامية وسعنا الثقافات الأخريات، لم يفرض الإسلام ثقافته على كل الناس وإنما ترك الآخرين وأديانهم لم يفرض عليهم العقائد الإسلامية ولا العبادات الإسلامية ولا الفرائض الإسلامية، ولا المحرمات الإسلامية ما فرض على الناس الزكاة، لماذا؟ لأن الزكاة وإن كانت ضريبة مالية، ولكنها عبادة دينية،

ركن من أركان الإسلام، فلم يشأ أن يفرض على أهل الذمة الذين هم كما يقول الفقهاء من أهل دار الإسلام؛ يعني يحملون الجنسية الإسلامية أو المواطنة في الدول الإسلامية لم يفرض عليهم هذا؛ لأنه سيفرض عليهم عبادة، فهذا ينافي السماحة الإسلامية، من أجل هذا لم يفرض عليهم الزكاة، ولم يفرض عليهم الجهاد ... والجهاد دفاع عن الأرض والدار والدين والدولة، ولكن الجهاد أيضًا - وإن كان دفاعًا - فهو فريضة دينية، بل هو من أعظم ما يتقرب به المسلم إلى ربه، الجهاد في سبيل الله، ولذلك لم يشأ أن يفرض عليهم الجهاد، ومن أجل هذا فرض شيئًا بديلًا عن الزكاة من ناحية، وبديلًا عن الجهاد من ناحية وهو ما سُمي: الجزية، وما هي الجزية؟ بدلًا من الزكاة التي يدفعها المسلم، وبدلًا من الجهاد فهذا يدفعه من ماله، وذاك يدفعه من دمه ... قال له: ادفع شيئًا حتى تكون عضوًا في الدولة الإسلامية، وتتمتع بحمايتها يكون لك ما للمسلمين وعليك ما عليهم ...

الإسلام لا يفرض!

لم يفرض الإسلام على غير المسلم من يعيش في داره، أن يحرم الخنزير الذي يحرمه الإسلام، أو يُحَرِّم الخمر الذي يحرمه الإسلام، ما دام دينه يبيح له أن يأكل الخنزير ويشرب الخمر، قال له كُل الخنزير واشرب الخمر، وربّ الخنزير واعصر الخمر، بشرط ألا تُرَوِّج ذلك بين المسلمين في مناطقهم الخاصة ... حتى قال أبو حنيفة: إنه لو أن المسلم أتلف خمرًا أو خنزيرًا لنصراني، فإن عليه أن يتحمل ثمنه؛ لأنه مال متقوَّم عنده، فلا يجوز أن يعتدى عليه بالاتلاف ... إلى هذا الحد احترم الإسلام ثقافات الآخرين كما

احترم دياناتهم وعقائدهم، وترك لهم كنائسهم وعباداتهم، فالإسلام يحترم الثقافات المتعددة؛ لأنه ما دامت هناك أديان متعددة فلا بد أن تكون هناك ثقافات معبرة عن هذه الديانات ولعقائدهم، والقيم التي جاءت بها والعبادات والفرائض التي نادت ودعت إليها فهذا فرع عن ذلك.

الثقافة الإسلامية ثقافة وسطية

هل يمكن أن تكون الثقافة الإسلامية متسعًا - بما لديها من خصائص إنسانية لاستيعاب وتجمع من أبناء الثقافات الأخرى؟

لو أردنا ثقافة تتسع للعالم حقيقة ويمكن أن تجمع الجميع، وهي ثقافة وسطية، ليست ثقافة روحية خالصة كبعض المذاهب المغرقة في الجانب الروحي والجانب النسكي والعبادي، ولا ثقافة مادية خالصة تهمل الغيبيات، وتهمل السماء، وتهمل الآخرة، إنما ثقافة جمعت بين الروحية والمادية، مزجت بين المثالية والواقعية، بين الدنيا والآخرة، بين العقل والقلب، بين الفرد والمجتمع ... لو أراد للعالم ثقافة يمكن أن يلتقي عليها لقلنا: إنها الثقافة الإسلامية.

ولكن جرت سنة الله أن الناس لا يمكن أن يلتقوا على ثقافة واحدة؛ لأنهم لا يمكن أن يلتقوا على دين واحد، وهذه سنة من سنن الله، وقد ذكر القرآن هذا: **{وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً}** [هود: 118]، **{وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ}** [يونس: 99] ... فلا يمكن أن يجتمع الناس على دين واحد، إنما اختلاف الناس هذا واقع بمشيئة الله، ومشيئته معبرة عن حكمته: اقتضت حكمة الله أن يختلف الناس؛ لأنه

وضع للإنسان العقل والإرادة، فما دام قد أعطاه العقل والإرادة، فكل واحد سوف يفكر لنفسه، ويريد لنفسه، سيختار الطريق ... فلا يمكن أن يلتقي الناس ... وهذا من أسباب التسامح الذي جاء به الإسلام؛ أنه اعتبر اختلاف الناس ناشئًا عن مشيئة إلهية من ناحية، ومن ناحية أخرى أن هذا الاختلاف الحساب عليه إن كان هدى أو ضلالة، صوابًا أو خطأً، ليس في هذه الدار، إنما في الدار الآخرة: **{وَإِن جَٰدَلُوكَ فَقُلِ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا تَعۡمَلُونَ 68 ٱللَّهُ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ}** [الحج: 68، 69]، الحساب ليس الآن، وإنما الحساب في دار الحساب.

وهذا مما يخفف مسألة الاختلاف بين الناس، إن اختلافنا واقع بمشيئة الله، إذا كان أحدنا مهتديًا والآخر ضالًّا، فالحساب إلى الله يوم الحساب: **{ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۡۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ}** [الشورى: 15].

الحوار: فريضة وضرورة

في كتابكم «أولويات الحركة الإسلامية» ذكرتم أن الحوار مع الغرب فريضة وضرورة، وقلتم إنه حوار على الصعيد الديني، وعلى الصعيد الفكري، وعلى الصعيد السياسي ... ما تعنون بكل ذلك؟

لقد ذكرت في هذا الكتاب أننا نعيش عالم تقارب بعضه مع بعض، حتى قال أحد الأدباء إن العالم أصبح قرية واحدة، نسميه «قريتنا الكبرى» هو لم يعد قرية كبرى أصبح قرية صغرى الآن؛ لأن ما يحدث في أقصى العالم تعلم به بعد لحظات في الطرف الأقصى الآخر، فتقارب العالم جدًّا؛ ولذلك لا

يمكن أن ينعزل فيه بعض الناس عن الآخرين، إذا كنا نريد أن نعيش بإسلامنا فلا بد أن نتحاور مع الآخرين لنزيح الغشاوة التي غشيت على عقول القوم، نزيح ما على أبصارهم من غشاوة، وما على قلوبهم من طبع، والشبهات التي استقرت في أذهانهم طوال عصور مضت ... هناك من عهد الحروب الصليبية أشياء توارثها القوم عن الإسلام وعن القرآن، وعن محمد، وعن الحضارة الإسلامية، وعن الشريعة الإسلامية، وأشياء مغلوطة ومكذوبة، ولا بد أن نبذل جهدًا في أن نلتقي مع هؤلاء القوم ونتقارب معهم ونبيّن له أن المسلمين ليسوا وحوشًا، والإسلام ليس غولًا مفترسًا، ودعاة الإسلام ليسوا إرهابيين كما تصورونهم، هذا لا يمكن أن يتم في عزلة عن هذا العالم، ومحادة لهؤلاء القوم، وإنما ينبغي أن يكون بالتواصل معهم، وبالحوار معهم، ولذلك ينبغي أن يكون حوارًا على كل مستوى: ذكرت الحوار على المستوى الديني مع القسس والأحبار والرهبان وهؤلاء الناس.

تجربة مع المستشرقين

هل ترون أن الحوار مع رجال الدين من الغرب يمكن أن يُؤتي ثماره؟

لقد لقيتهم منذ ثلاث سنوات تقريبًا، وكنت أنا وفضيلة الشيخ محمد الغزالي في زيارة إلى ألمانيا، والتقينا بالفعل مع عدد من المستشرقين ومنهم بعض القسس، والتقينا يومًا كاملًا، لقاء حوار، ووجدت – حسب ما لمست ولمس فضيلة الشيخ معي أيضًا - أن هذا اللقاء كان له ثمرته: أن كثيرًا من الشبهات زالت من الأذهان، اللقاء المباشر له فائدته: أسئلة وأجوبة ... فاعتقد أن هناك أناسًا يمكن أن يجدي الحوار معهم، هناك أناس لا شك متعصبون لا يمكن أن

يجدي معهم الحوار ... هؤلاء كالذين قال الله فيهم: {**وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا 45 وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا**} [الإسراء: 45، 46]، هذا الصنف موجود، لكن هناك صنف آخر، وقد نجتمع مع ثلاثين شخصًا قد يكون من هؤلاء الثلاثين عشرة جيدون أو حتى خمسة، لا يخلو الأمر من أن يكون في المجموعة أناس منصفون، فنحن نبحث عن هؤلاء المنصفين المتقَّبلين الذين يُحكّمون المنطق ... ونحن رأينا من الغربيين كثيرين أنصفوا المسلمين وأنصفوا الثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية، والتاريخ الإسلامي وأنصفوا الصحوة الإسلامية المعاصرة، ونحن نقرأ في الصحف الآن صحفيين وكتابًا من أهل الغرب يتكلمون كلامًا جيدًا عن الإسلام ... هذا الكاتب الأمريكي الذي كتب عن أن الخطر الإسلامي وهم وليس حقيقة «جون سبوزيتو» وله كتاب معروف ... كثير من الكتاب الآن يعترف بفضل الإسلام، وسبق الحضارة الإسلامية، ويعترف للصحوة الإسلامية بأن إيجابياتها أكثر من سلبياتها، وأن المسلمين ليسوا خطرًا، وأن الإسلام ليس خطرًا، الإسلام خطر على الإلحاد وعلى الفساد، وعلى الاستبداد، ولكنه ليس بخطر، وهذا ما نقوله للناس: إن الإسلام رحمة، رحمة الله للعالمين.

فأنا أعتقد أن الحوار على المستوى الديني مع القسس ورجال الدين، والمستوى الفكري مع المستشرقين والكتاب الذين يهتمون بأمر الإسلام، والعروبة والشرق، ومع السياسيين الذين يصنعون القرار السياسي، فإذا استطعنا أن نصل إلى هؤلاء فهو خير ... وهذا ما حاوله أخونا د. حسن

الترابي حينما ذهب إلى أمريكا وزار الكونجرس، والتقى بكثير من هؤلاء، واستطاع فعلًا أن يؤثر في عدد منهم ... الذي ينظر إلى الأمر بمنظار العقل يمكن أن يؤثر فيه، الذي ينظر إلى الأمر بمنظار المصلحة ... هذا لا يمكن أن يرجع إلا إذا وجد المصلحة في أن يسايرك في الحوار ...

هناك أناس يفكرون بالعقل وبالمنطق سنستطيع التأثير عليهم ... على كل حال نحن نعتقد أننا أصحاب الحق، وأن منطقنا أقوى من منطق الآخرين، ولا نخاف على أنفسنا، ولذلك لا حرج علينا أن نعرض ما عندنا من بضاعة، وأن نحاور الآخرين بالتي هي أحسن، وأعتقد أننا الكاسبون من وراء ذلك إن شاء الله. وإن لم نكسب نكون قد أقمنا الحجة، وأبطلنا تعلات الآخرين كما قال الله تعالى لرسوله: **{لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ}** [البقرة: 272]، نحن علينا الدعوة، وعلى الله الهداية، علينا البلاغ، وعلى الله الحساب ... نبذر الحب، ونرجو الثمار من الرب ...

المادة والروح: كيف يلتقيان؟

الغرب هو المادة، بينما الإسلام هو الروح والمادة، كيف يلتقي الإسلام مع الجناح آخر هو المادة فقط؟

هذا ما أجبنا عنه حينما قلنا إننا مختلفون مع الغرب، ولكن كما نقول أيضًا: الغرب ليس كله مادة، إذا أردنا أن نكون منصفين، فنقول إن الغرب تغلب عليه المادة، ولكن هناك أيضًا جانب روحي في الغرب، وهذا الجانب الروحي هو الذي صنع الحضارة، الحضارة لم يصنعها الماديون، بل صنعها رجال متدينون، وكما قال «كاريل لايل»: نحن نعيش على ظل لظل، فعلام

يعيش من بعدنا ... نحن نعيش على ظل المتدينين، والمتدينون كانوا ظلًّا لمن قبلهم، فماذا تصنع الأجيال القادمة؟

هناك أناس تؤمن بالقيم علينا أن نبحث عن هؤلاء ونتحاور معهم، ثم علينا أن نقول لهم: نحن نكملكم، أنتم عندكم المادة وليس عندكم الروح نحن عندنا الروح، والروح التي لا تنكر المادة ...

إن ميزة الإسلام أنه يقول للغربي أنا عندي الرسالة التي تعطيك الروح ولا تفقدك المادة، تعطيك الإيمان ولا تسلبك العلم، تعطيك الآخرة ولا تحرمك الدنيا، تصلك بالسماء ولا تنزعك من الأرض ... فعندنا الرسالة المتوازنة هذه نستطيع أن نقول لهم هذا رغم اختلاف ما بيننا وبينهم.

دلالة خطاب ولي العهد البريطاني

هل يمكن اعتبار خطاب ولي العهد البريطاني في مركز أكسفورد للدراسات الإسلامية بلندن - وأنتم عضو فيه - بداية عهد جديد في العلاقة بين الإسلام والغرب.

قال: إن ما يربط بين الاثنين أكثر مما يفرق، وليس من مصلحة الاثنين العداء الخفي أو المكشوف؟

لا أزعم أنه بداية عهد جديد، ولكن هذا يؤكد ما قلته: إن الغرب ليس غربًا واحدًا، وإن الغربيين ليسوا كلهم على فكر واحد، وعلى درجة واحدة من العداء للإسلام، أو العداء للشرق ... لا ... هناك أناس تحرروا من هذه العقد، وأصبح لهم مواقف طيبة من الإسلام وأصبح عندهم نظرة أكثر شمولية،

وأفق أكثر رحابة، وفهم أعمق للعلاقة بين الإسلام والغرب، والأمير «تشارلز» ولي عهد بريطانيا من هؤلاء، والحقيقة محاضرته محاضرة جيدة، وينبغي أن نحييه على هذا، وننوه بهذا التوجه المتوازن المنصف الذي تحرر من الرواسب القديمة وتعامل مع المسلمين معاملة الند للند، فلا يتعامل بروح الحروب الصليبية القديمة، ولا بروح الاستعمار الحديث، لا، تخلصنا من العهدين معًا: عهد الحروب الصليبية، ومن عهد الاستعمار وأصبحنا أممًا حرة بعضها يتعايش مع بعض، فلا بد أن يعرف كل منا الآخر معرفة جيدة ويستفيد منه، ويأخذ من الآخر ما ليس عنده: عندهم علم وتكنولوجيا نأخذ نحن العلم والتكنولوجيا، عندنا القيم والرسالة العظيمة نعطيهم هذه القيم، وتلك الرسالة، ولو أمكن أن يحدث هذا التفاعل لكان أمرًا جيدًا.

مراحل العلاقة بين الإسلام والغرب

مرت العلاقة بين الإسلام والغرب بثلاث مراحل: العصر العباسي وما كان به من ملامح معروفة، ثم العصر الأندلسي ... ثم فترات الحملة الفرنسية فالمرحلة المعاصرة ... هناك من يرى أنه لا انفصال بين المصالح الثلاث، وإذا كنتم مع هذا الرأي ... فماذا يميز المرحلة الحالية؟

في العصر العباسي كان للإسلام جولة عظيمة، وخصوصًا العصر العباسي الأول، العصر العباسي الثاني انحطت الدولة الإسلامية، أما في العصر العباسي الأول أيام هارون الرشيد وعلاقته بشارلمان، أيام المأمون، أيام العصر الذهبي للحضارة الإسلامية كان المسلمون يتعاملون على أنهم أصحاب الدولة الأولى في العالم، وكانوا يظهرون السماحة لغير المسلمين،

كان الرشيد يقول للسحابة في السماء: «شَرّقي وغَرّبي وأمطري حيث شئت فسيأتيني خراجك»، كانت الدولة الإسلامية هي القوة الكبرى في العالم، وكانت تتعامل مع الغرب من هذا المنطق ...

بعد ذلك للأسف حدثت أشياء، بعد أن ضعفت الدولة شيئًا فشيئًا جاء الغرب، جاءت الحروب الصليبية وما حدث فيها، وسالت الدماء للركب وقُتل عشرات الآلاف، وفي احتلال القدس والمسجد الأقصى، وبقي المسجد الأقصى تسعين عامًا في يد الصليبيين، وبقيت الممالك الصليبية نحو قرنين، وحدث هذا الصراع الرهيب، وترك الرواسب في الأنفس ... هذا ما ينبغي أن نعترف به ... ولم يكن الإسلام هو المعتدي، ولكن الغرب كان هو المعتدي، حتى إن الغربيين هؤلاء اعتدوا على مسيحيين من أبناء دينهم، وهم في طريقهم ما تركوا لا مسلمًا ولا مسيحيًّا ولا غير ذلك ...

ثم تحالف الغرب الكتابي - والمفروض أن الغرب مسيحي - مع الشرق الوثني، مع التتار، تحالفوا معهم على غزو الديار الإسلامية، لقد أثبت التاريخ أن هناك تعاونًا بين الفئتين، ودمرت الحضارة الإسلامية وعاصمتها بغداد ...

هذه مرحلة ينبغي أن تعرف؛ لأن هذه المرحلة تركت آثارها، في نفوس الغربيين - كما قلت من قبل - وهي أيضًا أفادت الغربيين: إن هذا اللقاء جعلهم يستفيدون من المسلمين كثيرًا، رأوا ما لم يكن في بلادهم، فبلاد المسلمين على ما كان بها من ضعف في ذلك الوقت، كانت فيها منارات بغداد، والقاهرة، وغيرهما، كانت تعتبر منارات للعلم وللحضارة في ذلك الوقت، فاستفاد الغربيون من هذا الأمر ...

الاستعمار وآثاره

ثم بدأت الحملات الاستعمارية: بدأ الإنجليز في الهند، وكان المسلمون هم الذين يحكمون الهند في ذلك الوقت، ثم بدأت الحملة الفرنسية، وبدأت مرحلة جديدة في العلاقات بين الغرب والشرق، وانتهت طبعًا باستعمار البلاد الإسلامية والتحكم في هذه البلاد، التحكم التشريعي، والتحكم الثقافي، والتحكم التربوي، والتحكم الاجتماعي.

الحوار مع العقلاء من العلمانيين

بعض العلمانيين يرمي إلى إزاحة الدين تمامًا عن الحياة مثل مؤلف «العلمانية من منظور مختلف» فكيف يكون حوار بينه وبين الإسلاميين؟

أنا لم أقل بالحوار مع كل العلمانيين، بل مع العقلاء والمنصفين من العلمانيين ... هناك - كما قلت - علمانيون لا يعادون الدين، بعض الناس علماني كما كان على سبيل المثال النحاس باشا، رجل مصل وصائم، وعنده نوع من التدين ولكنه لم يفهم شمول الإسلام، لم يُحط بالرسالة الإسلامية كما ينبغي ... ولعله لو وجد فرصة تعرض عليه الإسلام الحقيقي كما نزل به القرآن، وكما دعا إليه محمد صلى الله عليه وسلم ، وكما فهمه الصحابة، وكما طبقه الراشدون وكما قامت عليه الحضارة الإسلامية الأولى، لعله لو وجد من يعرض عليه هذا ويشرحه حق الشرح ويصوره التصوير الذي ينبغي لعله تراجع عن كثير من آرائه ... إنما العلماني القُح الذي يرفض الدين عامة والإسلام خاصة ولا يرى أن الدين ينبغي أن يخرج من ضمير

الإنسان، والدين في رأيه علاقة بين ضمير الإنسان وربه وإن كان لا بد أن يخرج فليكن إلى المعبد: «المسجد أو الكنيسة» فقط، وليس له علاقة بالحياة، ولذلك يرفض الشرائع والقيم والأحكام التي جاءت بها الأديان ... هذا لا معنى للحوار معه ... يمكن أن أحاوره لأقيم عليه الحجة كما فعلنا نحن حينما حاورنا بعض العلمانيين فلقد شاركت في الحوار مع بعض العلمانيين المتصلبين، وشاركناهم وأقمنا عليهم الحجة، ولم يجدوا جوابًا لما عرضناه وقلناه عن الإسلام فكشفناهم أمام الناس، وقد رأينا هنا في قطر حوارًا تكملة لهذا الحوار ... مع الشخص نفسه «د. فؤاد زكريا» وقد كان معه في هذا الحوار بالدوحة أخونا د. محمد عمارة ... ورأينا كيف كان الفكر الإسلامي هو الأقوى حجة والأوضح محجة، والأعلى سلطانًا ...

لا مانع أن نحاور هؤلاء أو نناظرهم، بعضهم يسمي ذلك: مناظرة، وأفضل أن أسميها: محاورة ... لإقامة الحجة عليهم.

العلمانية تجتر الماضي: إفلاس

هل يمكن أن نعتبر نشر بعض الكتابات العلمانية التي نشرت في بدايات هذا القرن محاولة لاستحضار الفكر العلماني لنهايات القرن العشرين أم يدل على إفلاس العلمانية المعاصرة من وجهة أخرى كما رأى بعضهم؟

هو في الواقع هذا يدل على إفلاس هذا الجيل الحاضر من العلمانيين فبدأوا ينبشون في القبور، ويبحثون عن الكتب القديمة مثل «كتاب الإسلام وأصول الحكم» لعلي عبد الرازق، وهو الكتاب اليتيم للرجل الذي لم يكتب غيره والذي أبى أن ينشره طوال حياته، ولم يعد نشره، ورفض أن يُعاد نشره وقال

كلامًا يضاد فكرته في الكتاب ... ومع هذا فإن هؤلاء الناس يريدون أن يحيوا المقبور، ويعيدوا نشر الكتاب ... فليكن! وكتاب «الشعر الجاهلي».

حتى طه حسين في آخر حياته اتجه اتجاهًا آخر غير «الشعر الجاهلي»، وله كلام في أحاديث الأربعاء وغيره مخالف لما نشر في «الشعر الجاهلي» واتجاهه في ما كتب في الإسلاميات أخيرًا، وخصوصًا كتاب «مرآة الإسلام» يدل على أن الرجل بدأ يتجه اتجاهًا آخر ...

فهؤلاء يريدون أن يرجعوا إلى القهقري ويعودون إلى الأشياء التي عفَّ عليها الزمن، ورد عليها الناس في ذلك العصر ... فكتاب «الإسلام وأصول الحكم» رد عليه الشيخ الخضر حسين، والشيخ بخيت، والأستاذ سيد قطب، ورد عليه فريد وجدي، ورد عليه أناس كثيرون ... هؤلاء يريدون إحياء الموتى، ولكن الموتى لا يحيون!

حقيقة المفهوم الغربي للإنسان

الإنسان فيما يسمى بعلوم الإنسان في الغرب مجرد ذرة، وذكر الشيخ راشد الغنوشي في كتابه الأخير أن «الإنسان في الغرب» المواطن لا يحمل تكريمًا في ذاته لأنه إنسان؛ وإنما تكريمه في انتمائه لنسق تاريخي واجتماعي وثقافي معين اسمه: الوطن أو الطبقة أو الجنس الأوروبي، هذا المفهوم في الغرب واقع وموجود، بدليل أن هؤلاء الصليبيين اعتدوا على النصارى من بني جلداتهم في الشرق ... هل هذا يجعل الموقف يحمل اطمئنانًا للحوار القادم بين الإسلام والغرب؟

الغربيون للأسف وإن قالوا في دساتيرهم ومواثيقهم، ومواثيق حقوق الإنسان ومواثيق الأمم المتحدة بحقوق الإنسان وتكريم الإنسان، وقالوا إن الناس يولدون أحرارًا متساوين ... وهذا ما سبقهم به عمر بن الخطاب ... يعني هذه الكلمة التي تبدأ بها الدساتير «الناس يولدون أحرارًا متساوين» قالها عمر بن الخطاب عفو الخاطر بدون تحضير ولا تفكير، قالها لعمرو بن العاص: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا».

الغرب قال هذا، ولكن حينما نحاول أن ننزل من المستوى النظري إلى المستوى التطبيقي والواقعي نجد للأسف أن هذا الإنسان المكرم ينحصر في الإنسان المواطن، لم يعد الإنسان من حيث هو إنسان، نحن عندنا **{وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ}** [الإسراء: 70]، ما دمت ابنًا لآدم فأنت مكرم، الإنسان من حيث هو إنسان ... **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ}** [الانشقاق: 6]، الخطاب للإنسان من حيث هو ... الرسول صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع وفي منى يقول: «**أيها الناس، إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب**»، أيها الناس ... فنظرة الإسلام للإنسان من حيث هو، بغض النظر عن رأسه مستديرة أم مستطيلة، لونه أبيض أم أسود، عينه زرقاء أم سوداء، أنفه أفطس أم غير أفطس ... بغض النظر عن ذلك ... إنما من حيث هو إنسان، وكما يقول الشاعر المسلم:

إذا كان أصلي من تراب فكلها بلادي وكل العالمين

فهذه هي نظرة الإنسان المسلم ... هم نظرتهم إلى الإنسان المواطن يعني المواطنة هي الأساس ... ولذلك فالإنسان مكرم في وطنه، فإذا هو خرج إلى بلد آخر يستعمره أو ... فلا كرامة لهذا الإنسان في نظره ... حتى في

أوطانهم: هناك التمييز العنصري، حتى قال بعضهم انتهى دور الرجل الأبيض، ولكن بعضهم لم يُسَلِّم بذلك، حتى إن «الكسيس كارل» صاحب كتاب «الإنسان ذلك المجهول» يعترف في كتابه بتفوق الأجناس البيضاء، وهذا أمر غير علمي، ليس هناك لون أفضل من لون، ولا عنصر أرقى من عنصر، كلهم إنسان، حتى في داخل هذه الأوطان نجد هذا التمييز بين عنصر وعنصر، وبين لون ولون: في أمريكا، وفي أوروبا هذا موجود للأسف، حتى إن هناك كنائس للبيض وكنائس للسود ومعروف لنا القصة الشهيرة حينما ذهب رجل أسود إلى كنيسة للبيض ولمحه القس الذي يلقي المحاضرة الدينية، فبعث إليه ورقة يقول له أحب أن أعلمك أن كنيسة السود تقع في الشارع الفلاني ... أي معنى ذلك أن اخرج من هذا المكان فليس لك موضع فيه ... حتى بيوت العبادة تميز هذا التمييز، ذكر الأستاذ سيد قطب رحمه الله أنه حينما كان في أمريكا وفي كتابه الذي لم ينشر للأسف «أمريكا التي رأيت» يقول إنه كان في مدينة من المدن وجاء بعض الزنوج يغنون للناس، وسهر الناس، وأشجوا الناس بأنغامهم وألحانهم، وبعد أن فرغ الحفل، لم يجدوا مكانًا يأويهم، فليس هناك فندق يقبل السود، ولا أحدًا من أهل المدينة يقبلهم ضيوفًا عنده وبقوا في الشارع إلى الصباح ...

هل يمكن أن تكون صورة احترام الإنسان - في فلسفات أخرى غير رأسمالية - قائمة خاصة أن فلسفة كالاشتراكية ترفع شعار العدالة الاجتماعية؟

وليس هذا عند الرأسماليين فقط، بل عند الشيوعيين، ذكر الأستاذ جلال كشك رحمه الله في أحد كتبه أنه في روسيا أحب شاب إفريقي أسود فتاة

روسية شقراء، فغار منه الشبان البيض، كيف يحب الأسود هذه الفتاة الشقراء، وكيف تتجاوب معه، فما كان منهم إلا أن قتلوه ... ووجد الشباب الأفارقة زميلهم جثة في أحد الأيام فثاروا ومشوا في مظاهرة احتجاجًا على هذا العمل، فما كان من الطلاب البيض إلا أن قاموا بمظاهرة مضادة لهؤلاء السود، تقول لهم: عودوا إلى غاباتكم أيها القرود.

هؤلاء هم الاشتراكيون الشيوعيون الماركسيون ... فالإنسان من حيث هو إنسان عند هؤلاء لا يوجد حتى المواطن فإنه ليس كل مواطن عندهم يجد هذه المساواة التي نجدها في الإسلام التي يقول عمر رضي الله عنه عن بلال، وعن أبي بكر يقول: أبو بكر سيدُنا وأعتق سيدنا - يقصد أعتق بلالًا رضي الله عنه - سيدنا بلال، جميع المسلمين في جميع العصور يقولون: «سيدنا بلال» لا ينظر أحد إلى أن لونه كان أسود «**لا فضل لأبيض على أسود، ولا لأعجمي على عربي، إلا بالتقوى، إن أكرمكم عند الله أتقاكم**».

المفهوم الغربي للإنسان والحجاب

هل يمكن أن يتصل بمفهوم الغرب للمواطنة بما يتم للمسلمين في فرنسا خاصة النساء المسلمات ورفض الغرب الفرنسي لحجاب المرأة المسلمة؟

نقول: إن الإنسان من حيث هو لا يُكرَّم، ولا يُعطي الحرية من حيث هو إنسان، وإنما إنسان معين، يمشي مع هذا المجتمع، مع دينه ومع ثقافته السائدة، فإذا خرج إنسان على السائد ...

حتى الفرنسي الأصيل المسلم إذا أسلم لم يعد له حق، ولم يُعط حقه في أن

ابنته أو زوجته تلبس هذا الحجاب أو تدخل المدرسة ... بل يُفرض عليه أن تنزع زوجته الحجاب ... أين كرامة الإنسان وأين حريته؟

لم يعد هناك حرية للإنسان من حيث هو ... إذا كنت تحترم الإنسان من حيث هو فلا بد أن تحترم عقيدته، لا بد أن أحترم ثقافته، لا بد أن أحترم القيم التي يؤمن بها ... هذا يؤمن بأن الحجاب فرض، وأنه لا يجوز له دينًا أن تخلع امرأته يؤمن الحجاب، والفتاة أو المرأة تقول لا يجوز خلعه، فهذا حرام عليّ، أدخل من أجله النار ... كيف تفرض على إنسانة النار وتغضب ربها أي ثقافة هذه، وأي حرية وأي كرامة للإنسان إذا كان لا يستطيع أن يمارس عقيدته وشعائره وواجباته الدينية، تحت سلطان هذه الثقافة وتلك الحرية.

هل مصادرة الحلال والحرام رفض للحوار؟

هل يعد مصادرة كتابكم «الحلال والحرام في الإسلام» - رغم تراجع فرنسا عن تلك المصادرة ثم إلغائها بعد ذلك - رفضًا من الغرب - ممثلًا في فرنسا - للحوار مع الإسلام؟

هذا جزء - كما قلت في تلك الأيام - من الحملة المعادية للإسلام في تلك البلاد، وخصوصًا إذا عرفنا أن بداية هذا الأمر، جاء في الثاني عشر من أكتوبر، بعد المؤتمر الذي حضرته في فرنسا، وكان عن الحوار بين المسلمين وغير المسلمين، وكان له أثر جيد، ولكن من المسائل الساخنة التي أثيرت فيه: مسألة الحجاب، وناقشت الحاضرين من الفرنسيين مناقشة لم يجدوا أمامها جوابًا ... إنهم قالوا: إن الحجاب هذا رمز ديني، وقلت لهم: إنه ليس رمزًا دينيًّا؛ لأن الرمز ما ليس له وظيفة يؤديها غير الإعلان والشعار

وذلك مثل الصليب على رمز المسيحي، أو القلنسوة على رأس اليهودي. هذه هي فعلًا رموز دينية، ليس لها وظيفة معينة، سوى أنها إعلان بأن هذا يهودي، وإعلان بأن هذا مسيحي ... ولكن الحجاب هذا له وظيفة، وهي أنه يؤدي وظيفة الستر، والاحتشام، فالمسلمة مأمورة أن تحتشم، تغطي شعرها، ونحرها وعنقها ... هذا هو معنى الحجاب، فله وظيفة الستر والاحتشام ... وحتى لو فُرضَ أنه رمز، أنتم لم تمنعوا المسيحي أن يضع الصليب على صدره، ولم تمنعوا اليهودي أن يضع الطاقية على رأسه، فلماذا تمنعون المسلم، بل أنتم سمحتم للسيخي أن يلبس عمامة السيخ، ويأخذ ترخيصًا بقيادة الدراجة البخارية دون أن يلبس غطاء الرأس الحديدي «الخوذة» من أجل عمامته السيخية هذه ...

وهذا كله من رواسب الحروب الصليبية، رواسب العقد القديمة، وينبغي أن نتحرر من بقايا هذه العقد، ويتعامل بعضنا مع بعض ندًّا لندٍّ ...

هل دارت مناقشة في ذلك المؤتمر في فرنسا حول قضايا الإسلام والغرب يمكن أن تكون باعثًا على مصادرة كتابكم؟

لقد ناقشناهم في مثل هذه القضايا، مناقشة طويلة وكان هناك بعض المتعصبين حاضرين، ويبدو أنهم نقلوا شيئًا من هذا، فوصل إلى الدار الناشرة للكتاب في ذلك الوقت إنه قد يصلكم منع لكتاب الحلال والحرام، ولكن محامي دار القلم التي تنشر الكتاب رد على هؤلاء، بأن الكتاب لا يحمل أي فكر يمكن أن يمنع، وليس فيه أي شيء، بالعكس فإن هذا الكتاب سمح وميسر، إلخ ... فسكتوا من ذلك اليوم بعد رد المحامي ... إلى أن جاء هذا المنع أخيرًا ...

بعد الحملة التي أثيرت ضدهم، حتى من الفرنسيين أنفسهم، ومن الإعلاميين والصحفيين ومن العالم الإسلامي ومن الإيكو ومن اتحاد المنظمات الإسلامية في فرنسا، والكل ذكر أن الكتاب ليس معاديًا للغرب، كما يقولون، بالعكس فالكتاب في فصله الأخير يتحدث عن علاقة المسلم بغير المسلم بصورة هي في غاية السماحة، وليس فيه أي نبرة معادية كما يقول خطاب المنع، وإذا كانوا يقولون إن الكتاب معارض أو معادي للقيم التي قامت عليها الجمهورية، فمن ضمن هذه القيم المساواة بين الرجل والمرأة، وذكروا في هذا أن الكتاب يبيح ضرب المرأة عند النشوز ... ورد عليه بعض الفرنسيين وقالوا: هذا مذكور في القرآن، ومذكور في بعض كتب الأديان، ولكن الكتاب حتى حينما عرض هذا الأمر قال إنه ليس الضرب مطلوبًا لكل امرأة، ولا لكل حالة، إنما هذه في بعض الحالات الشاذة، والأولى ألا يتعرض المسلم للضرب لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ولن يضرب خياركم، وإذا ضرب فضرب خفيف غير مُبَرِّح**»، بعيد عن الوجه وكما قال النبي صلى الله عليه وسلم لإحدى الخادمات يومًا: «**لولا القصاص يوم القيامة لأوجعتك بهذا السواك**» ... يعني لم يمسك سوطًا أو خشبة يكسر بها رأسها أو يُبَرِّح بها جسدها ... ولقد عرض الكتاب هذا الأمر عرضًا مفصلًا، فالضرب بعد الوعظ، وبعد الهجر في المضجع، وبعد ...

وهذا لا ينفي المساواة الأساسية بين الرجل والمرأة ... فالقرآن نقل لنا **{فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖ}** [آل عمران: 195]، المرأة من الرجل والرجل من المرأة، كلاهما يُكَمّل الآخر، ليس كلاهما خصمًا للآخر، المرأة مُكَلَّفة مثل الرجل ومجزية بالجنة

أو بالنار مثل الرجل تمامًا. ... والرسول صلى الله عليه وسلم يقول: «**إنما النساء شقائق الرجال**»، فالمساواة هي الأساس ...

لم يجدوا جوابًا أمام هذا كله، ولذلك تراجع وزير الداخلية، وطلب حفظًا لماء الوجه - من عميد مسجد باريس أن يكتب التماسًا للوزير، للسماح بالكتاب، وفعلًا كتبوا هذا، وذهب الوزير إلى مسجد باريس وقال إنه سيفرج عن الكتاب وإن هذا كان خطأً إداريًّا سخيفًا ... وهو في الواقع خطأ إداري، وخطأ سياسي، وخطأ ثقافي.

جارودي وحوار الحضارات

يرى المفكر «رجاء جارودي» - في كتابه «حوار الحضارات» - أن تحتل الحضارات غير الغربية مكانًا متساويًا في الأهمية بجوار الثقافة والحضارة الغربية ... ويرى أيضًا أنه ينبغي أن ينظر إلى الفلسفة على أنها طريقة في الحياة وليست بحثًا فكريًّا، وأن يحتل علم الجمال مكانة متميزة في مثل مكانة العلوم والتقنيات، وأن يكون للمستقبلية والتفكير في المستقبل مكانة مثل مكانة التاريخ في الأهمية على الأقل ... وذلك كله لكي ينشأ حوار بين الحضارات ... كيف ترون هذه القضايا؟

لا بأس بكل ما ذكره المفكر الكبير الأستاذ «رجاء جارودي»، وإن كان ما ذكره موجودًا حتى في الثقافة الغربية والحضارة الغربية بأقدار معينة أعتقد أن علم الجمال له مكانه، ونحن كمسلمين أيضًا نقدر الجمال، والقرآن الكريم يربي الإحساس بالجمال عند الإنسان المسلم ... فجمال الكون: **{أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ}** [ق: 6]، **{وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ**

ٱلدُّنۡيَا} [فصلت: 12]، **{وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ}** [الحجر: 16]، فهذه الزينة الكونية. وزينة الأرض: **{فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآ}** [النمل: 60]، البهجة: الحسن، القرآن يلفت النظر إلى هذا.

حتى الجمال في في الجمال الحيواني، ويعرض القرآن هذه اللوحة: **{وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ}** [النحل: 6]، **{وَٱلۡأَنۡعَٰمَ خَلَقَهَاۚ لَكُمۡ فِيهَا دِفۡءٞ وَمَنَٰفِعُ وَمِنۡهَا تَأۡكُلُونَ}** [النحل: 5]، وهذا جانب المنفعة، **{وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ}**، جانب الجمال وليس فقط جانب المنفعة: تأكل منها وتشرب لبنها ... هذا جيد، لكن انظر: **{وَلَكُمۡ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسۡرَحُونَ}**، حتى إنه يقول: **{وَٱلۡخَيۡلَ وَٱلۡبِغَالَ وَٱلۡحَمِيرَ لِتَرۡكَبُوهَا وَزِينَةٗ}** [النحل: 8]، جانب الزينة، وفي البحر: **{وَهُوَ ٱلَّذِي سَخَّرَ ٱلۡبَحۡرَ لِتَأۡكُلُواْ مِنۡهُ لَحۡمٗا طَرِيّٗا وَتَسۡتَخۡرِجُواْ مِنۡهُ حِلۡيَةٗ تَلۡبَسُونَهَا}** [النحل: 14]، انظر كيف ذكر جانب المنفعة وجانب الجمال ليستمتع الناس بجانب الجمال، **{قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِ}** [الأعراف: 32]، الطيبات من الرزق جانب، والزينة وأضافها إلى الله تشريفًا لها وتنويهًا بقدرها، **{زِينَةَ ٱللَّهِ}** ... والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**إن الله جميل يحب الجمال**» حينما قال له بعض الصحابة - سمع منه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر - قال: يا رسول الله، إني أحب الجمال في كل شيء، وأحب أن يكون ثوبي حسنًا ونعلي حسنًا، وما أحب أن يفوقني أحد بشراك نعل، فهل هذا من الكبر؟ قال له: «**إن الله جميل يحب الجمال، الكبر بطر الحق وغمط الناس**» ...

الإسلام يرى الاهتمام بالجمال على أن يكون لهذا أيضًا ضوابطه الشرعية

...

الإسلام والمستقبل

أما النظرة المستقبلية فقد ذكرت في أكثر من كتاب لي أن الإسلام ينظر إلى المستقبل، نجد في القرآن حرف السين كثيرًا **{سَيَعْلَمُونَ}** [النبأ: 4، وآيات أخرى]، **{غُلِبَتِ ٱلرُّومُ 2 فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ 3 فِي بِضۡعِ سِنِينَ}** [الروم: 2 - 4]، **{سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ}** [القمر: 45]، قال الصحابة حينما قرأها الرسول: أي جمع؟ نزل هذا في مكة، وبعد سنين طويلة في غزوة بدر قرأها، فقالوا: عرفنا أنها جاءت لترشد إلى اليوم ... ويقول في سورة المزمل، وهي مكية: **{عَلِمَ أَن لَّن تُحۡصُوهُ فَتَابَ عَلَيۡكُمۡۖ فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرۡضَىٰ وَءَاخَرُونَ يَضۡرِبُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَبۡتَغُونَ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ}** [المزمل: 20]، سيكون في المستقبل كذا وكذا وكذا ... فالنظرة المستقبلية هذه نظرة إسلامية والرسول صلى الله عليه وسلم نبأنا بأشياء كثيرة في المستقبل ليلفت نظرنا إلى ما سيحدث في آخر الزمان، فلا مانع من استشراف المستقبل، بل هذا ينبغي للمسلمين أن يهتموا بهذا الأمر.

فإذا كانت النظرة المستقبلية والاستشراف المستقبلي والاهتمام بالجماليات فالاهتمام بالماديات، فإنه يجب الاهتمام بالمعنويات بصفة عامة بجوار الاهتمام بالحسيات وبالتكنولوجيات ... لا ينبغي أن يشغل الناس الجانب المادي وحده، عن الجانب الروحي والجانب الجمالي، وأجمل الجمال هو الإيمان بالله ععع، وبالدار الآخرة، وبالقيم العليا، وبالجمال المعنوي أيضًا ...

ولا أدري هل يقصد فقط الجمال المادي في الكون؟ أم يقصد ما هو أعظم لأن هناك جمالًا معنويًّا، والقرآن يقول: **{وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا}** [الأحزاب: 28]، **{فَٱصْفَحِ ٱلصَّفْحَ ٱلْجَمِيلَ}** [الحجر: 85]، **{فَٱصْبِرْ صَبْرًا جَمِيلًا}** [المعارج: 5]، فهناك صبر جميل وصفح جميل، وفي أكثر من شيء معنوي وصفه القرآن بالجمال، وهذا يدل على أن الجمال ليس وصفًا للحسيات فقط، حتى المعنويات فيها جمال، وأجمل الجمال وأكمل الكمال هو جمال الله تعالى وكماله: «**إن الله جميل يحب الجمال**»، فينبغي أن نتعلق بمصدر الجمال الأعلى ومصدر الكمال كله، وهو الله تتت ...

ما يدعو إليه الأستاذ جارودي نحن نوافقه عليه في إجماله، ولا ينبغي أن تكون الحضارة الغربية وحدها هي الحضارة وتُغفل كل الحضارات الأخرى؛ لأن الغربيين الآن ينظرون إلى أنفسهم على أن حضارتهم هي الحضارة، وما عداها من الحضارات «صفر على الشمال»، ينبغي أن تكون الحضارات على قدم متساوية مع الحضارة الغربية.

تعامل الدولة العثمانية والغرب، هل هو النموذج؟

تعد تجربة العلاقة بين الدولة الإسلامية متمثلة في الخلافة العثمانية والغرب جديرة بالتأمل في هذا السياق، هل يمكن أن تتخذ هذه التجربة أنموذجًا لعلاقة قادمة مأمولة بين الإسلام والغرب؟ رغم أنه يشار إلى اقتصار التعامل العثماني مع الغرب في المجال العسكري أكثر من غيره من مجالات الحياة؟

تعامل الغرب مع الدولة العثمانية ليس هو النموذج الذي يحتذى؛ لأن

الغرب منذ تعامل مع هذه الدولة، وتعاملت معه هذه الدولة كان ينظر إليها بعين الريبة، والتوجس، وكانت هذه الدولة في أول أمرها دولة قوية، لها سلطانها، ولها طموحاتها، وقد دخلت أوروبا في أول الأمر فاتحة وطرقت أبواب «فيينا» عدة مرات، واستولت على «البلقان»، ولا شك أنه قد كانت هناك تجاوزات في بعض التعاملات، ولكن من نظر إلى ما قامت به الدولة العثمانية وما قام به الأوروبيون أنفسهم في البلاد التي فتحوها واستعمروها يجد تفوق هذه الدولة من ناحية القيم والتزامها بالشرع، لقد كان الخليفة أو السلطان لا يستطيع أن يبت في الأمور الكبيرة إلا بعد أخذ فتوى من شيخ الإسلام، المفتي الأكبر، وعلى هذا حينما أراد بعضهم أن يفتك بغير المسلمين أبى رجال الشرع هذا، وقالوا: إن هؤلاء أهل ذمة لهم ما لنا، وعليهم ما علينا فتراجع السلطان عن ذلك.

وظل هذا الأمر على ما هو عليه إلى أن ضعفت الدولة العثمانية وخضعت لضغوط الغربيين عليها: في أول الأمر كان ينقص القيادة العثمانية - حينما كانت تمثل قيادة المسلمين في ذلك الوقت - كان ينقصها أمر مهم، فإن القيادة كما قال شيخنا أبو الحسن الندوي لا تتم إلا بأمرين: الجهاد والاجتهاد، الجهاد يمثل القوة العسكرية، والاجتهاد يمثل القوة العلمية والفكرية ... ولقد أجاد العثمانيون العنصر الأول: عنصر الجهاد، ولكنهم لم يجيدوا العنصر الثاني، غلب عليهم التقليد والعصبية، واتباع المتأخرين من العلماء، ولم يجددوا في الدين، ولم يبتكروا في الدنيا ... ومن هنا تطور العالم من حولهم، وظلوا هم على حالهم، إلى أن فوجئوا بتفوق أوروبا، تكنولوجيًّا وعسكريًّا وعلميًّا، وفي كل النواحي، واضطروا إلى أن يأخذوا من أوروبا، بعد أن كانوا في مركز

العطاء والمركز الأعلى، أصبحوا يأخذون من أوروبا، وجاء عصر التجديدات والإصلاحات فأخذوا من قوانين أوروبا ومن أنظمتها شيئًا فشيئًا، ولذلك ظل هناك قصور ونقص في هذه القيادة إلى أن ضعفت وصار الأوروبيون يسمونها الرجل المريض، وظلت أعناقهم مشرئبة وأعينهم متطلعة إلى تركة هذا الرجل المريض، ومتى تقسم؟ وعلى من تقسم؟ وظل هذا الأمر إلى أن تم ذلك في الحرب العالمية الأولى، وانتهت دولة بني عثمان تمامًا حينما استولى أتاتورك على الدولة، وألغى الخلافة، وفصم ما بينه وبين العروبة والإسلام فصلًا نهائيًّا، حتى الحروف العربية نفسها عاداها، حتى المظاهر التي كانت تمثل نوعًا من التقاليد المرعية عند الناس، كل هذا أُلغي وفرضت العلمانية على التشريع والعلمانية على التعليم، والعلمانية على الثقافة، والعلمانية على التقاليد، حتى أصبح الحجاب ممنوعًا، حتى حُرِّم الأذان باللغة العربية ...

ومن هنا نقول: إن النموذج العثماني ليس هو النموذج الذي يحتذى في هذه العلاقة ... إنما ينبغي أن نختار لنا نموذجًا نقيمه على أساس من الشرع والموازنة بين المصالح والمفاسد، وبين الدين والدنيا، وبين الثوابت والمتغيرات، وبين التراث والمعاصرة. هذا ما ينبغي أن تكون عليه الصلة بالغرب اليوم.

الهمجية والمدنية بين الإسلام والغرب

في غمرة اضطرارنا للتعامل مع الغرب يرى هذا الغرب أن أي معركة تم له الانتصار فيها هو انتصار للمدنية على الهمجية، ويعني بالهمجية العالم

الإسلامي، بينما يرى أن أي معركة انتصر فيها العالم الإسلامي هو انتصار للهمجية على المدنية، ما هي الموازنة المطلوبة في ذلك؟

هذا كلام غير علمي، وغير منطقي، وهو يخالف التاريخ، ويخالف الواقع، فما كان المسلمون همجًا في وقت من الأوقات، إنما كانوا دعاة المدنية والحضارة، وكانوا هم الذين يملكون زمام الحضارة طوال قرون عدة، كانوا هم أصحاب الحضارة، والحضارة كانت إسلامية وعربية لأنها كانت مكتوبة بالعربية، وانطلقت أول ما انطلقت من أرض العرب فهي حضارة عربية إسلامية، كانت أسماء علماء المسلمين هي أشهر الأسماء في العالم: العلماء في الطب، والعلماء في الفلك، والعلماء في الفيزياء، والعلماء في الكيمياء، وفي الرياضيات، وفي البصريات ... كانت المراجع العلمية مراجع إسلامية، وكانت أوروبا تستفيد من هذه المراجع، كانت الجامعات الكبرى جامعات إسلامية عربية، كانت اللغة التي يكتب بها العلم هي اللغة العربية ... فكيف يقال: إن المسلمين يمثلون الهمجية وكان غيرهم يمثل المدنية.

الحقيقة أن أوروبا في تلك السنين ما كانت تعرف ضوء المدينة إلا من سَم الخياط لا تراه إلا من سم الخياط! وفي الوقت الذي كانت فيه مئات الحَمَّامات، في قرطبة كانت أوروبا لا تعرف الحمَّامات، بل كان بعض القديسين يقول: وأسفاه كان القسيسون قبلنا يعيش أحدهم لا يبل أطرافه بالماء، ولكننا أصبحنا في زمن يدخل فيه الناس الحمَّامات!!

وذلك عدوى من المسلمين! كيف يقال: إن المسلمين يمثلون الهمجية، والغربيون يمثلون المدنية؟ انظر ماذا حدث حينما فتح المسلمون فتوحاتهم، يقول «جوستاف لوبون»: ما عرف التاريخ فاتحًا أعدل ولا أرحم من العرب؛

لأن الفتح كان كله رحمة، وكله سماحة، وكله إقامة العدل، وانظر ماذا فعل الغربيون حينما دخلوا بلاد الإسلام؟ ماذا فعلوا حينما دخل الصليبيون بيت المقدس؟ ألوف مؤلفة، حوالي سبعين ألفًا قُتلوا، وغاص الناس في الدماء إلى الركب، وحينما استرد صلاح الدين بيت المقدس، ما فعل ما فعله هؤلاء الناس، بالعكس: عفا وسمح وأصلح، وكان مثالًا للمسلم المقتدي برسول الله صلى الله عليه وسلم ، حينما دخل مكة وعفا عن أهلها وقال لهم: اذهبوا فأنتم الطلقاء.

فهكذا الكلام يلقى على عواهنه، لا يؤيده التاريخ، ولا يؤيده الواقع، ولو رأينا ماذا صنع الاستعمار في البلاد التي دخلها، وماذا صنع في إفريقيا وآسيا، وكيف فعل مع المغلوبين من المسلمين ومن غير المسلمين. ماذا فعل الاستعمار الفرنسي في الجزائر؟ وكيف حوَّل المساجد إلى كنائس، إلى متاحف وإلى مستشفيات رأي هذا بنفسي حينما زرت الجزائر، ماذا فعل الغربيون حينما أخذوا الأحرار من إفريقيا بالحيل واقتادوهم وربطوهم بالسلاسل وذهبوا بهم إلى أوروبا وإلى أمريكا، وهذا أمر معروف، مئات الآلاف من الأحرار حُوِّلوا إلى عبيد وهم الذين صنعوا أمريكا وغيرها بسواعدهم وكد يمينهم وعرق جبينهم ...

الواقع أن آثار الاستعمار وما تركه في الديار التي دخلها، شيء يندى له الجبين وتتفتت له الأكباد، وانتفخت به بطون الكتب، ولسنا في حاجة إلى أن نعيد هذا ...

وإذا نظرنا إلى موقف كل من الإسلام والمدنية لطال بنا المدى واتسع المجال، ويكفي أن نعود في هذا إلى ما كتبه الإمام الشيخ محمد عبده في كتابه

الشهير «الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية» حينما رد على فرح أنطون الذي زعم أن الإسلام لا يتسع للمدنية بحكم أصوله وقواعده ... وكتب هذا الكتاب الرائع «الأصول الستة التي يخالف بها الإسلام المسيحية» فيمكن لمن أراد أن يتوسع في الموضوع أن يرجع إلى هذا الكتاب القَيِّم.

نهاية التاريخ والصراع العقائدي

يرى «فرانسيس فوكوياما» في نهاية التاريخ أن الصراع العقائدي سوف يختفي، لن تختفي المبادئ والأفكار، لكن لن تكون هناك خلافات جوهرية في الأفكار ويرى أن التقدم لن يكون محكومًا بالصراع الأيدلوجي، ولكن التقدم التكنولوجي سيكون له الكلمة الأخيرة ... ورغم أنه يرى أن الإسلام يمثل مشروعًا مختلفًا عن المشروع الليبرالي الذي يتوقع له السيادة، فإنه من المهم أن نتعرف على رؤيتكم الإسلامية لفكرة نهاية التاريخ لدى «فوكوياما».

في رأيي أن صراع الأفكار والأيولوجيات والأديان والمذاهب سيكون هو الصراع المهم، وليس من الضروري أن يكون صراعًا بالسلاح، إنما هو صراع بالحجة والبرهان، وأعتقد أن البشرية في الزمن القادم لن تجد لها واحة تستريح فيها، ولن تجد برًّا ترسو عليه سفينتها إلا بر الإسلام.

فالإسلام هو الذي يمثل بر الأمان للبشرية القلقة الحائرة المعذبة التي استطاع الإنسان فيها أن يصل إلى القمر، ولكنه لم يستطع أن يسعد نفسه على سطح الأرض ...

إن البشرية في حاجة - كما قلنا من قبل - إلى رسالة متوازنة، ورسالة

التوازن الحقيقية تتمثل في الإسلام ... ولن يجد العالم سكينته وسعادته الروحية وتوازنه إلا في رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأعتقد أن العالم سيأوي إلى هذا الدين بعد أن أشقته الأيدلوجيات الأخرى، ولن تستطيع اليهودية ولا النصرانية، ومن باب أولى لن تستطيع الأديان الوضعية والأديان الوثنية في آسيا أوإفريقيا أن تقدم إليه قارورة الدواء أو مضخة الإطفاء.

إن البشرية مُعذَّبة ومريضة وفي حاجة إلى دواء يشفيها، تشكو من هذا الحريق، وهذا السُّعار المادي الذي يأكل باطنها، ولن تجد الإطفاء إلا في الإسلام ... كل ما نرجوه هو أن تقوم الأمة الإسلامية بدورها وأن تعرف أن معها ما ليس مع العالم، وأن عندها ما ليس عند العالم ولا بد أن تقوم بذلك جماعة من الناس، هي الطائفة أو الأمة التي ذكرها القرآن: **{وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ}** [الأعراف: 181]، من فضل الله أن الناس لا يجمعون على ضلال، **{فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ}** [الأنعام: 89]، سيظل هناك من يؤمن بهذه الرسالة الخالدة، ويظل هناك من يدعو إليها، ويعيش لها، وهي الطائفة المنصورة التي جاء ذكرها في أحاديث: «**ستظل هناك طائفة قائمة على الحق لا يضرها من خالفها، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك ...** ».

أملنا في هذه الطائفة التي تجسد الصحوة الإسلامية والمد الإسلامي في هذا العصر ... أن تتقدم هذه الطائفة بهذا الإسلام إلى العالم ... الإسلام الصحيح غير الْمُحرَّف، الإسلام المتوازن، الإسلام الأول أي إسلام القرآن والسنة، الإسلام الذي فهمه الصحابة، الإسلام قبل أن تضاف إليه الزوائد

والشوائب، وتلحق به المبتدعات والمحدثات. الإسلام الْمُنقَّى ...

هذا هو الذي ينبغي أن ندعو العالم إليه: نهتم بالجوهر لا بالشكل، وبالأصول لا بالفروع، وبالكليات لا بالجزئيات، ونقدم هذا الإسلام إلى الدنيا لترى فيه خلاصها وسلامتها من كل ما تعانيه ...

نخالف فوكوياما والمستقبل للإسلام

بهذه الصورة أنتم ترون رؤية مختلفة عما يرى فوكوياما في نهاية العالم؟

نعم ... إن الإسلام صاحب المستقبل إن شاء الله، ونحن عندنا البشائر لهذا من القرآن والسنة والتاريخ والواقع، إن المستقبل لهذا الدين، وهذه الأمة إن شاء الله.

فوكوياما لم يختلف على أي دين من الأديان سيكون المستقبل له، لكنه رأى أن التقدم التكنولوجي هو الذي سيحسم الصراع لا الدين والفكر؟

التقدم التكنولوجي هو سيلة، وليس غاية، ويمكن أن تتغير الموازين فقد يكون التقدم التكنولوجي الآن مع الغربيين، ولا ندري ماذا يخبئه المستقبل؟ كان الاتحاد السوفيتي معه تقدم تكنولوجي، وكان يمتلك ترسانة من الأسلحة النووية الذرية والاستراتيجية لا يملك مثلها أحد ما عدا الولايات المتحدة ... من قرأ الأرقام التي كان يملكها الاتحاد السوفيتي من القوة العسكرية النووية وغيرها ... يعجب كيف سقط الاتحاد السوفيتي، كيف انهار الاتحاد السوفيتي ... انهار ومعه التكنولوجيا العالية، ومعه الأسلحة النووية ولكن هذه لم تغن عنه شيئًا، مما يدل على أن التكنولوجيا ليست وحدها الحاسمة كما يقول

فوكوياما ... هناك أشياء أخرى ...

من يملك الحسم في مستقبل الإنسان؟

في رأيكم من يملك الحسم في مستقبل الإنسان إذن؟

الإنسان هو الحاسم، العنصر الإنساني هو الحاسم: ما قيمة أن يملك الإنسان تكنولوجيا ولكنه غير سعيد في حياته ... قد يتمرد الإنسان على هذه التكنولوجيا التي أشقته، خصوصًا بعد أن أفقدته هذا التوازن في حياته النفسية، وفي حياته العائلية، حتى في الحياة الكونية. فقد التوازن ... فقد التوازن البيئي: طبقة الأوزون وغلبة التلوث البصري والسمعي والضوضاء، ومن كل ناحية ... على البيئة ... ثم ما بين أجزاء الكون بعضها وبعض ... هذا كله سببته التكنولوجيا. العالم قد يضيق بهذا ذرعًا فهناك أحزاب الآن تسمى: أحزاب الخضر في البلاد الأوروبية، تريد أن تعود إلى الطبيعة، تريد ألا تلوث الطبيعة ...

أعتقد أن العالم يتغير، وأن الإنسان هو الذي سيغير العالم بتوجهاته وأفكاره قبل كل شيء.

ماذا يريد الإسلام من الغرب؟

مع تلك الجولات والسفرات التي تلتقون فيها مع أجزاء الأمة في الشرق وفي الغرب: ماذا يريد الإسلام من الغرب في هذا العصر؟

نريد من الغرب أن يقف من قضايانا موقفًا عادلًا، لا يكيل بكيلين في

النظر في قضايانا وقضايا غيرنا ... وواضح أنه يتحيز ولا يعدل في قضايا فلسطين وإسرائيل، وفي البوسنة والهرسك، وفي كشمير، وفي قضايا الأقليات الإسلامية المظلومة. والحملة المستمرة على إيران والسودان ... وعلى حين أنه يتحيز لإسرائيل ويسمح لها بترسانة نووية، فإنه يصر على حرمان العراق من كل قوة حتى جاع الأطفال وماتوا من الجوع ... وحاصر باكستان حتى توقف برنامجها النووي، ويعلن مؤخرًا الحرب على إيران - كما نرى في موقف الولايات المتحدة الآن - وهي تريد أن تمتلك قوة نووية إسلامية خاضعة للوكالة الدولية ...

وهذا الموقف من الغرب الذي يُحرِّم على إخواننا في البوسنة أن يشتروا السلاح ليدافعوا عن أنفسهم ... وقد تعاونت في ذلك الأرثوذكسية الروسية واليونانية، والكاثولوكية الفرنسية، والبروتستانتية البريطانية ...

وبعض الغربيين يسمي هذا العداء للإسلامية مثل ما كان من العداء للسامية ...

نرجو من الغرب أن يغير نظرته هذه بما فيها من محاباة وتمييز، وأن يقف الموقف العادل من هذه القضايا.

مستقبل العلاقة بين الإسلام والغرب

هل ترون أن هناك مستقبلًا للعلاقة بين الإسلام والغرب في العصر الحاضر؟

أعتقد أن هذه العلاقة يمكن أن تتطور وتتحسن وتأخذ دورًا إيجابيًّا إذا وثق

المسلمون بأنفسهم، واستمسكوا بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها وهي عروة الإسلام العظيم ووقفوا أمة واحدة لها رسالتها الحضارية والإنسانية والدينية، ولها ماضيها وتراثها، ولها مستقبلها المرجو أيضًا إن شاء الله.

وإذا استطاع الغرب أيضًا أن يفهم المسلمين ويفهم هذه الأمة ويعي أن ليس هناك أمة تستطيع أن تفرض نفسها على العالم وأن تعيش وحدها، ولا حق للآخرين في الحياة، بل لا بد للناس أن يعيشوا وفق ما يريدون، والأمة الإسلامية أمة عريقة، وأمة كبيرة، وأمة ذات رسالة، ومن حق هذه الأمة أن تعيش لرسالتها، وأن تعيش وفق عقيدتها ... ما الذي يضر الغربيين أن يعيش المسلمون مسلمين كما أمرهم الله، وكما فرض عليهم دينهم يحلون ما أحل الله، ويحرمون ما حرَّم الله ويؤدون ما فرض الله، ويُحكِّمون ما شرع الله، ما الذي يضر الغربيين من هذا؟ أيهما أولى للإنسان الغربي: المسلم المتمسك بدينه الذي يراقب الله في الصغيرة والكبيرة، ويؤدي واجبه ويحكم بالعدل مع من يحب ومع من يكره: **{وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ}** [المائدة: 8]، متسامحًا مع غيره كما أمره الإسلام، وكما كان شأن المسلمين في عصور الازدهار الحضاري ...

ما الذي يضر الغربيين؟ الإنسان المسلم المتعبد لربه، الملتزم بأخلاقيات هذا الدين في سلوكه مع ربه، وسلوكه مع نفسه، وسلوكه مع أسرته، وسلوكه مع المؤمنين من أمثاله، وسلوكه مع الآخرين ممن يخالفونه في العقيدة؛ هل هذا النموذج أولى أم نموذج الإنسان الذي لا دين له، الذي يعيش عاريًا من الدين، لا عقيدة تستره، ولا شريعة تحكمه، ولا أخلاق تقوده، ولا قيم تسيطر عليه وتوجه مسيرته ...

أعتقد أنه من الخير للغربيين أن يتعاملوا مع أمة تحترم دينها وعقائدها، وتعيش بها وتعيش لها، وتعمل بدينها، وتعمل لدينها، ويتعاملوا مع هذه الأمة معاملة الند للند ...

ولا بد للغربيين أن يتخلصوا من العقد القديمة التي ورثوها من أيام الحروب الصليبية، ومن هذه الأحقاد السوداء ... فقد انتهى هذا العصر، وينبغي أن نتحرر من هذه العقد، ومن هذه الرواسب، وينبغي أن يتحرروا أيضًا من عقدة الاستعلاء، أنهم هم السادة، وأن غيرهم هم البرابرة كما كان يعتقد الرومان من قديم ...

لا بد أن نتعامل معاملة الأنداد المتساوين: فكلنا بشر، وكلنا لآدم وآدم من تراب ...

إذا سادت هذه النظرة، أعتقد أنه يمكن أن يثمر الحوار، ويمكن أن يثمر ذلك علاقة طيبة وحسنة.

نقول للغربيين دعونا نعيش بديننا، ونعيش وفق عقائدنا، وشرائعنا وقيمنا، نعطي ونؤدي الواجب ونأخذ الحق ولا نظلم أحدًا ولا نجور على أحد ... هذا ما نطالب به الغربيين، ونرجو أن يسمع ذلك العقلاء منهم، والمنصفون وأن نحيا لنبني حضارة عالمية إنسانية العلوم فيها للحق والكلمة فيها للإيمان والنصر فيها للخير ... وهذا ما نرجوه ونتوقعه إن شاء الله، وما ذلك على الله بعزيز ...

ماذا جرى من حوار بين:

د. يوسف القرضاوي و«مارغاريتا» السكرتير الأول للسفارة الأمريكية بالدوحة؟!

د. القرضاوي: كثيرًا مما يحدث الآن من عنف في مصر والجزائر سببه غياب التيار الإسلامي المعتدل.

إذا كانت مؤسسات الأبحاث والدراسات في الولايات المتحدة الأمريكية في حالة عمل دائم منذ فترة ليست قصيرة اهتمامًا بالظاهرة الإسلامية، فإن معرفتنا لإحدى هذه المؤسسات وهي مؤسسة «**RAND**» التي تبلغ ميزانيتها مائة مليون دولار لا تبعث على الدهشة ...

وفي سفارات الولايات المتحدة الأمريكية في العالم الإسلامي اهتمام مماثل، حيث يحرص بعض العاملين فيها على استطلاع آراء علماء ومفكري العالم الإسلامي في القضايا الساخنة التي يمر بها العالم ...

مؤخرًا قامت السكرتير الأول للسفارة الأمريكية بدولة قطر بزيارة إلى الدكتور يوسف القرضاوي الداعية والمفكر المعروف ومدير مركز أبحاث السنة والسيرة بجامعة قطر بمكتبه ودار بينهما حوار اطلعت عليه المجتمع، ورأيت أن أقدم صورة منه للقارئ:

سألت «مارغارتيا دايان راغديل» د. يوسف القرضاوي عن رغبتها في اللقاء معه للتعارف فقال: ليس هناك في الإسلام ما يمنع التعارف **{وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ}** [الحجرات: 13]، وبعد أن أكدت السكرتير الأول للسفارة

الأمريكية متابعتها لأعمال د. القرضاوي سواء خطبة الجمعة التي يبثها تليفزيون قطر كل أسبوع من مسجد عمر بن الخطاب بالدوحة، أو برنامجه الأسبوعي الذي يذاع بالتليفزيون أيضًا مساء كل جمعة ... بعد ذلك سألته عن رأيه بالذات فيما يحدث في مصر والجزائر من أحداث «العنف» و«التطرف» فقال فضيلة د. القرضاوي: ليس كل ما يحدث من أحداث عنف من عمل الإسلاميين، فهناك أشياء تبرأوا منها ولم يتحملوا مسئوليتها، مثل العنف في المدارس والحافلات، وحادثة الأزبكية ... وقهوة ميدان التحرير بـ«مصر»، فهناك جهات يهمها ارتكاب حوادث مثيرة، فظيعة لتُحمّل أوزارها للإسلاميين ...

أسباب ودوافع العنف

ليست كل الدوافع إسلامية، فكثير مما يحدث دوافعه ثأرية - في مصر مثلًا - وخصوصًا أن معظم الذين يقومون بهذه الأعمال من أبناء الصعيد، والصعيد عنده تقاليد راسخة أشبه بالعقائد التي لا يتنازل عنها، وهي الثأر للدم أو للعرض ... فهذ أمر لا تهاون فيه عندهم، وكثير مما يحدث الآن هو عمليات ثأر وانتقام ...

قالت السكرتير الأول: ولكن كثيرًا من الغربيين لا يعرفون مثل هذا ...

قال د. القرضاوي: هذه مهمتكم أنتم، وعلى الذين يعيشون في العالم العربي والعالم الإسلامي أن ينقلوا هذه الأشياء على ما هي عليه، ويصححوا الأخطاء والأوهام، حسب معرفتهم بالواقع.

وعن أسباب ودوافع هذا العنف قال د. القرضاوي: إنه من نتائج غياب التيار الإسلامي المعتدل الذي لم يجد ما يُعبِّر عنه من خلال القنوات الرسمية والقانونية، كما سمح للتيارات الآخرى ... ففي مصر مثلًا سُمح للشيوعيين أن يكون لهم حزب، وأن يكون لهم صحيفة، وأن يكون لهم حق التجمع والدعوة، في حين لم يسمح للإسلاميين ...

لماذا يُرفض قيام حزب ديني في مصر؟

والحجة في هذا أنه لا يريد قيام أحزاب على أساس ديني، والسؤال هو:

كيف يمكن أن يسمح لحزب يُنكر الدين ويرفضه ولا يسمح لحزب يعتمد الدين أساسًا للتشريع والتوجيه في مجتمع المفروض أنه يقوم على الدين أصلًا ... الدين فيه ليس شيئًا على الهامش، ولكن الدين جوهره وحياته ...

وإذا قيل: إن هذا قد يسبب مطالبة الأقباط بحزب، فهذا لا مانع منه، نحن شخصيًّا لا نمانع أن يكون للأقباط حزب يتبنى مطالبهم، وإن كان الإسلاميون الذين طالبوا بحزب إسلامي قد فتحوه للمسلمين ولغير المسلمين، قالوا: إننا نطالب بمبادئ إنسانية عامة: سيادة قيم الإيمان، والقيم الأخلاقية العليا التي جاءت بها كل الرسالات السماوية، ومقاومة الإلحاد والإباحية والتهتك والمسكرات والمخدرات، وتربية الشباب على الفضيلة وتحقيق العدالة الاجتماعية وإقامة الشورى وحريات الناس، وصيانة الأعراض والحرمات ... وهذه أشياء لا يختلف عليها مسلم ومسيحي ... ويتفق عليها كل المؤمنين بالدين ... وبالفعل جاهر بعض المسيحيين المصريين بالانضمام إلى هؤلاء المطالبين بحزب إسلامي.

وأضاف د. القرضاوي: ثم ما المانع من قيام حزب إسلامي وهناك في أوروبا عدد من الأحزاب التي تقوم على أساس مسيحي، كالحزب الديمقراطي المسيحي، والحزب الاشتراكي المسيحي في أكثر من بلد من بلدان أوروبا ... نعرف أن ذلك في ألمانيا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا ... وبعضها تولى السلطة والحكومة أكثر من مرة ... فلماذا يُمنع الإسلاميون وحدهم من ممارسة حقهم؟ ... وهل يجوز - في منطق العدل والإنصاف - أن يُحرم الإنسان من ممارسة حقه السياسي لمجرد أنه إنسان متدين، ويقيم شعائر الله، ويُحل حلاله ويحرم حرامه؟

الشارع المصري يتهم أمريكا

ثم سألت السكرتير الأول: لماذا لا تعطي الحكومة الحق للإسلاميين في أن يكون لهم حزب؟

أجاب فضيلة د. القرضاوي: إذا أردت الصراحة فإن الشارع المصري يتهم الأمريكان بأنهم وراء ذلك، يقولون: إن أمريكا هي التي لا تريد هذا الأمر وتُخوِّف فيه أصحاب السلطة ...

فقالت: وما مصلحة أمريكا في هذا الأمر؟

قال فضيلته: ليس لأمريكا أي مصلحة في هذا، بل هذا في الواقع ضد مصلحتها، ليس من مصلحة أمريكا أن تعادي الإسلام أو تعادي القوى الإسلامية أو تعادي التيارات الإسلامية المتوازنة والمعتدلة إطلاقًا، ولكن هناك أناسًا وقوى من مصلحتها أن يظل الإسلام شيئًا مخوفًا مكروهًا، فهم

يُخيلون لأصحاب القرار في أمريكا والقوى المؤثرة أن الإسلام بعبع مخيف، وأنه يمثل ما يسمونه: الخطر الأخضر الذي يجب أن يحذر منه بعد زوال الخطر الأحمر الشيوعي. وهذا في الحقيقة وهم، فالإسلام - خصوصًا فيما يمثله تيار الوسطية الذي نحن من دعاته - ليس خطرًا على أحد، بل هو رحمة الله للعالمين، والعالم كله عامة في حاجة إلى الإسلام، والمسلمون خاصة ...

سألت «مارغاريتا» عن قوة هذا التيار الوسطي وما يمثله؟

قال د. القرضاوي: إن تيار الوسطية هو الذي يمثل تيار القاعدة العريضة والجمهور الأعظم، كل ما في الأمر أن الآخرين صوتهم عال، والإعلام المحلي والإعلام العالمي يريد أن يُضخمهم لدوافع وأهداف ما ... لكن تيار الاعتدال - في الواقع - هو الأعظم والأغلب ...

التطرف في العالم كله
فلماذا يركز على مصر والجزائر؟

وعن ظاهرة التطرف والعنف قال د. القرضاوي للسكرتير الأول:

إن ظاهرة التطرف والعنف ليست ظاهرة إسلامية، بل ظاهرة بشرية، وظاهرة عالمية، وموجودة في كل العالم: ألا يوجد في أمريكا تيار ضد الملونين، وهذا الذي تسبب في حوادث «لوس أنجلوس» وما وقع فيها من أشياء؟ ألا يوجد في بريطانيا الجيش الجمهوري الإيرلندي والصراع بين الكاثوليك والبروتستانت؟ ألا يوجد الآن في أوروبا هذه النزعة في ألمانيا

وغيرها وهي النازية الجديدة التي تواجه الأجانب إلى حد القتل، فقد قتلوا النساء في بيوتهن ... المعاداة لكل ما هو أجنبي؟ ثم ألا يوجد في إسرائيل أيضًا تطرف وعنف ...

فلماذا يركز على ظاهرة التطرف والعنف في البلاد الإسلامية وحدها؟ مع أن الذين يتبنون العنف في البلاد الإسلامية لعلهم أعذر من غيرهم؛ لأن عليهم من الضغوط ما ليس على غيرهم ...

حقيقة الجزائر والديمقراطية

عن الجزائر سألت «السكرتير الأول» للسفارة الأمريكية بالدوحة د. يوسف القرضاوي عن رأيه في الأحداث هناك، فقال فضيلته:

لماذا تنادون بالديمقراطية في العالم كله، وتتبنونها وتدافعون عنها وتقاومون كل من يقف في سبيلها وتحاولون إسقاطه، إلا في البلاد الإسلامية عندما جاءت صناديق الانتخاب بالإسلاميين عن طريق انتخابات نزيهة تشرف عليها السلطة الحاكمة نفسها من قبل، وأعطتهم الأغلبية رفض العالم الغربي هذا الأمر، ولم يقبل أن يصل الإسلاميون إلى السلطة، فلماذا يزنون بميزانين ويكيلون بكيلين ...

قالت السكرتير الأول: إن هؤلاء الناس الذين وصلوا إلى السلطة، وصلوا بالديمقراطية، لكنهم لا يريدون أن يستمروا، يريدون أن يلغوا الديمقراطية بعد ذلك ...

قال د. القرضاوي:

إنني كنت في الجزائر، وقد سمعت الشيخ عباس مدني بنفسه، حينما سُئل هذا السؤال في التليفزيون الجزائري وأنكر هذا وقال: من قال هذا، أنا المتحدث الرسمي لجبهة الإنقاذ ولم أقل هذا ... فالاعتماد على كلمة تصدر من خطيب مسجد في بلدة من البلدان أو حي من الأحياء، ليس من العلمية أو من الموضوعية في شيء.

وأضاف: ولنفترض أن هؤلاء لن ينفذوا ما وعدوا به من الاستمرار في الديمقراطية، فسنجعل لهم الفرصة، وقد كانت الجزائر تحكم قبل ذلك حكمًا دكتاتوريًّا على يد الاشتراكية الماركسية، المعادية للغرب والموالية للسوفييت، فلماذا صبروا عليها وسكتوا عنها، وحين يأتي الإسلاميون فهم الذين يرصدون ويقاومون ... لندع لهم الفرصة، لنرى ماذا سيفعلون، كما أعطيت الفرصة لغيرهم من الليبراليين والثوريين؟!

المستقبل ... إلى أين؟

وفي النهاية قالت «مارغاريتا»: إنه رغم وجاهة ما تقوله عن تيار الوسطية الإسلامية، ففي رأيي أن التيار الذي سيغلب ويسود في النهاية هو تيار التطرف والعنف ...

فقال فضيلة د. القرضاوي: أنا على عكس ما تقولين، وأعتقد أن التيار الذي سيغلب في النهاية ويسود هو تيار الاعتدال والوسطية ...

لماذا؟

لأنه هو الذي يمثل روح الإسلام، ولأنه هو الذي تعتنقه الأكثرية، ولأن

التطرف دائمًا قصير العمر، ولا يستمر طويلًا ... فإن الْمُنْبَت لا أرضًا قطع، ولا ظهرًا أبقى كما في الأثر ...

مارغاريتا دايان راغسديل السكرتير الأول بسفارة الولايات المتحدة الأمريكية بالدوحة، لها سنة ونصف السنة بدولة قطر تتحدث اللغة العربية الفصحى، وتعرف اللهجة الخليجية، واللهجة المصرية.

الحوار السياسي مع الغرب

ولا بد للحركة الإسلامية - بعد هذا الحوار الديني، والحوار الفكري - من حوار آخر مع الغرب: حوار سياسي، مع رجال السياسة، وصناع القرار الظاهرين والمستترين.

وأعتقد أن الحوارين السابقين يمهدان لهذا الحوار الجلل، فالكنيسة - وإن عزلت رسميًّا عن التدخل في السياسة - لا يزال وزنها في التأثير على رجال الدولة ولا زالت أصابعها تعمل من وراء ستار في شئون السياسة الخارجية، وبخاصة ما يتعلق منها بالإسلام والمسلمين.

والمستشرقون وإن بدا عملهم أكاديميًّا، لهم صلات لا تخفى - أو لكثير منهم - بأجهزة الاستخبارات والأمن القومي ووزارات الخارجية.

وهناك من يُؤيس من كل محاولة لحوار سياسي مع الغرب، ومن يردد قول الشاعر القديم: الشرق شرق، والغرب غرب، ولا يلتقيان!

ولكن رأينا الغرب التقى مع الهند، والتقى مع اليابان، بل التقى أخيرًا مع الصين!

ويقول آخرون: إن الغرب يمكن أن يلتقي مع الهند والصين واليابان، وبعبارة أخرى مع الهندوس والبوذيين والشيوعيين، ولكنه لا يلتقي مع المسلمين، وقد يستدلون لذلك بأقوال لمبشرين ومستشرقين وساسة، عبَّروا عن حقدهم على الإسلام بعبارات تقطر سمًّا.

وهناك من يسيء الظن بكل من يحاول الاتصال بالغرب أو الحوار معه بأي صورة من الصور، ومن يستغل أي نوع من هذا الاتصال ليقذف أصحابه بالتهم الجاهزة: العمالة والخيانة ... إلخ ... ولا ننسى هنا ما لقيه الرجل المجاهد الصلب الأستاذ حسن الهضيبي المرشد الثاني للإخوان المسلمين، من جراء اتصاله بمستر «إيفانز» وقد كان ذلك بعلم رجال الثورة المصرية ورضاهم، ثم لم يلبثوا أن اتخذوه سلاحًا ضده، وأداة للتشويش عليه وعلى الحركة ورجالها وسياستها!

وهذا ما ينبغي أن ندركه، ونحسب حسابه، ونعرف كيف نحتاط له، ونحترس من استخدامه ضد الحركة من خصومها.

وهنا لا أنكر أيضًا أن عقد الحقد على الإسلام، والخوف من الإسلام وأمته، لا تزال تحكم عامة الساسة في الغرب، ولا زالت ذكريات اليرموك وأجنادين وشبح الحروب الصليبية، وفتوح العرب والعثمانيين، وأسماء خالد بن الوليد، وطارق بن زياد، وصلاح الدين، ومحمد الفاتح، تقلقهم وتفزعهم.

ومع هذا لا ينبغي أن تحكمنا نحن عقدة الخوف من هذه العقدة، ولا بد من كسر الحواجز النفسية، ومحاولة التحرر من العقد قديمها وحديثها.

وقد تقاربت أوروبا على ما كان بينها من حروب ودماء، وثارات، توشك

أن تكون دولة واحدة في الأمد القريب.

وتقارب الأمريكان والسوفييت، وزال ما كان بنيهما من حروب ساخنة وباردة.

فلم لا يجوز التقارب مع المسلمين؟

إن منطق الغربيين معروف: أنه لا توجد صداقة دائمة، ولا عداوة دائمة، إنما توجد مصالح دائمة.

ولا مانع عندنا أن ننطلق من مبدأ رعاية المصالح المشتركة بيننا وبين القوم، وأعتقد أن مصلحة الغرب ألا يعادي ألف مليون من المسلمين، وأن يكسب وُدَّهم واحترامهم وثقتهم.

ومن واجبنا نحن أن نعمل على تحسين صورتنا عند الغرب، الذي كوَّنها عنا خلال صراعات مريرة، لم تمح من ذاكرة التاريخ، دخلت فيها المبالغات والأساطير.

ولا نجحد أن من بيننا أناسًا لا يقدمون صورة حسنة للإسلام، لا من جهة فكرهم، ولا من جهة سلوكهم.

فهم يقدمون الإسلام في صورة العنف والتشدد والصدام الدموي مع الآخرين، وإهمال شأن الحريات، وحقوق الإنسان، ولا سيما حقوق الأقليات، والنساء.

وربما ساعد على ذلك ما هو واقع مشاهد في كثير من بلاد المسلمين، مما قد يظن أنه بعض ثمار الإسلام وأحكامه.

هذه الأوهام المستقرة لا تزول وحدها، ولا تزول بين عشية وضحاها، إنما يمكن أن تزول بحوار صادق النية، طويل النفس، قائم على المكاشفة لا المراوغة، على الاستقامة لا الالتواء، وإن كان هذا في دنيا السياسة أمرًا مستبعدًا، ولكنه ليس بمستحيل، فلم يعد في السياسة اليوم أمر مستحيل.

إننا إذا أقنعنا قادة الغرب والمؤثرين في سياسته بحقنا في أن نعيش بإسلامنا، توجهنا عقيدته، وتحكمنا شريعته، وتقودنا قيمه وأخلاقه، دون أن نبغي عليهم، أو نضمر سوءًا لهم، نكون قد قطعنا شوطًا كبيرًا في سبيل الوصول إلى هدفنا في إقامة المجتمع المسلم الذي ننشده في أوطاننا.

فمما لا شك فيه أنَّ أول ما يعوقنا في طريق هذا الهدف هم حكامنا الذين يقفون لنا بالمرصاد، ويقاومون كل توجه لتحكيم الإسلام في الحياة: الاجتماعية والسياسية والثقافية، وإن أكبر ما يؤثر على حكامنا هو الغرب ورجاله وساسته، بالتنفير من الإسلام والتخويف من دعاته، والتشكيك في حركاته، بالتصريح حينًا، والتلويح أحيانًا، وبالطريق المباشر تارة، وغير المباشر طورًا.

لهذا كان إقناع الغرب بضرورة ظهور الإسلام موجهًا وقائدًا، لو أمكن، إقناعًا لحكام العرب والمسلمين بالتالي، وفي ذلك كسب كبير.

ماذا دار بين د. يوسف القرضاوي و«جويس ديفيز» الصحفية الأمريكية؟

لماذا جندت نفسي لتيار الوسطية الإسلامية؟

أدعو الشباب للاهتمام بالجانب الاجتماعي دون التركيز على الجانب السياسي وحده.

يجب على الغرب أن يؤمن بحق الإسلام في الوجود وأن يعدل في قضايا المسلمين لا مانع من اختلاف الحركات الإسلامية.

في ظل العداء المتنامي بين الغرب والعالم الإسلامي تبرز أصوات تحاول استبطان الحقيقة خلف الأحداث والإعلام ... من هذه الأصوات مذيعة ومحررة أمريكية هي «جويس ديفيز» هدفها «إعطاء فكرة صحيحة للشعب الأمريكي عن الإسلام والمسلمين» ... تقول: «ولدت مسيحية بطبيعة الحال، وعندما قررت أن أبحث في الإسلام كنت كغيري أحمل كثيرًا من سوء الفهم والمعلومات غير الصحيحة عنه» ... ولم تكتف بدرس الفكر والدين الإسلامي تقريرًا وبحثًا قدر ما اهتمت بتكوين الفكر مقابلة وحوارًا ... وخلال رحلة طويلة لها زارت الشرق الأوسط ذهبت إلى مصر وباكستان والأردن وبريطانيا وقطر، وفي مستهل بحثها عن الإسلام كقوة سياسية، والتقت بشخصيات إسلامية بارزة حاورتهم بشأن الديمقراطية والإصلاح السياسي والعلاقة مع الغرب.

في زيارتها لدولة قطر كان الهدف الأساسي في اتصالاتها معي هو حوارها مع المفكر الإسلامي الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي ... وكان هذا الحوار حول عدة قضايا إسلامية هامة منها: تيار الاعتدال والوسطية الذي يمثله د. القرضاوي، ومصادر قوة هذا التيار بعيدًا عن العنف، وأنه رسالة

الإسلام الحقيقية ... والشباب الذي يمثل الصحوة الإسلامية، ولماذا يتجه نحو الدين في الشرق بينما يبتعد عنه في الغرب ... ثم ما هي آفاق العلاقة بين العالم الإسلامي والغرب حيث حددها د. القرضاوي في أربعة محاور، وأخيرًا لماذا لا تتوحد الحركات الإسلامية لتصير حركة إسلامية واحدة؟؟

لماذا توجهت نحو الوسطية؟

«ديفيز»: بما أن فضيلتكم تعتبر من رواد المفكرين الإسلاميين المعاصرين: هل يمكن أن تخبرنا بالمزيد عن الطريق الذي اتخذته في حياتك، وقادك بهذا العمق إلى الإسلام ... كيف بدأت، ومن وَجَّهك؟؟

د. القرضاوي: هذا الطريق اسمه الوسطية الإسلامية، وهو طريق لم نبتدعه، فهو يعبر عن روح الإسلام، وهو التيار الذي أعبر عنه، وجنَّدت نفسي في السنوات الأخيرة، ومنذ فترة، للعمل من أجله، وهو تيار الوسطية الإسلامية ... وهذه الوسطية ليست ابتداعًا من عندي، إنما هي روح الإسلام الحقيقي، الذي عَبَّر عنه القرآن بقوله: **{وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}** [البقرة: 143]، فالقرآن يدعونا إلى هذه الوسطية حيث يقول الله تعالى: **{أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ 8 وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ}** [الرحمن: 8، 9]، والطغيان في الميزان: الزيادة عن الحد، الإخسار نقص عن المطلوب ... لا إفراط ولا تفريط، هذا هو المنهج الإسلامي الصحيح، والنبي صلى الله عليه وسلم يقول: «**إياكم والغلو في الدين، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين**»، ويروى عنه ابن مسعود: «**هلك المتنطعون**» ثلاثًا، والمتنطعون: المتشددون، المتعمقون في الدين الذين يكلفون الناس فوق طاقتهم، والدين

يسر لا عسر فيه ... وهذا هو العامل الأول.

أما العامل الثاني: فهو أني نشأت في مدرسة تعمل في خدمة الإسلام، هذه المدرسة قام عليها رجل يتميز بالاعتدال في فكره وتحركه وعلاقاته، وذلك هو الإمام الشهيد حسن البنا ... فقد كان هذا الرجل أمة واحدة في هذه الناحية، حيث كان يتعامل مع جميع الناس حتى كان بعض مستشارية من الأقباط، وأدخلهم في اللجنة السياسية، وكان يصطحب بعضهم في المؤتمرات، ورأى التقارب مع الشيعة؛ ولذلك استقبل زعماءهم في المركز العام في القاهرة «المركز العام للإخوان المسلمين» ... فهذا الاعتدال عندي من تأثري أيضًا من اتجاه حسن البنا ومدرسته.

العامل الثالث: عامل شخصي، وهو أنني شخصيًّا ممن وهبهم الله فطرة الاعتدال والتوازن في النظر إلى الأمور: فأحب دائمًا ألا أكون من المغالين إلى اليمين، ولا المتطرفين إلى اليسار، وهذه موهبة إلهية ... وبعض الناس يميلون إلى التشدد، وبعضهم يميل إلى التحلل والتسيب، وأنا أجد نفسي دائمًا في الموقف الوسط ... فهذا عامل شخصي بجوار العامل الأساسي الذي يتصل بجوهر الإسلام نفسه، وعامل التجربة، تجربتي في حركة الإخوان المسلمين، وهذه هي العوامل الثلاثة التي أعتبرها مؤثرة في اتجاهي.

أشخاص يوصفون بالاعتدالية

ديفيز: هل يمكن لفضيلتكم أن تعين أو تحدد أشخاصًا يمكن أن تصفهم بالاعتدالية كفضيلتكم؟

د. القرضاوي: نعم ... أعتقد أن فضيلة الشيخ محمد الغزالي في مصر في الخط نفسه تقريبًا، ود. محمد عمارة «الآن» - لأنه قبل ذلك كان في الخط القريب من العلمانيين، والآن أصبح قريبًا من هذه الناحية -، ومن المفكرين المعتدلين في مصر: الأستاذ طارق البشري، ومن الفلسطنيين: د. أحمد صدقي الدجاني، وفي السودان: د. حسن الترابي، د. عصام البشير ... وهناك أعداد من الناس لا أستحضرهم الآن، ومن الكتاب الصحفيين: الأستاذ فهمي هويدي، على تفاوت طبعًا بين هؤلاء بعضهم وبعض، قد تجد هذا أقرب إلى أحد الطرفين من الآخر، ولكن في الجملة نستطيع أن نعتبر هؤلاء ممن يمثلون الخط المعتدل.

ديفيز: هل فضيلتكم راسخ القدم في مسألة الاعتدال أم أنك قلق على أن يصطبغ الإسلام بالتطرف؟ هل أنت قلق بأن المتطرفين يهددون الرسالة الحقيقية للإسلام؟ وما هو الدافع وراء خط الاعتدال القوي هذا؟

د. القرضاوي: قوة هذا التيار تنبع عن عدة مصادر: أولًا من موافقته لروح الإسلام كما قلت، الأمر الآخر أن هذا التيار أقوم وأرسخ جذورًا من التيارات الأخرى ... وثانيًا: إن تيارات التطرف العنف تيارات ليست عميقة الجذور، فهي طارئة لأسباب مختلفة، وعوامل عارضة ... وثالثًا: إن هذا التيار - الوسطية - هو الأعرض قاعدة والأكثر جمهورًا ... والملاحظ أن تيار التطرف والعنف ليس له قاعدة كبير، ولولا أن الإعلام يُضخِّمه ما وجدنا له مثل هذا الأثر، فتيار الاعتدال هو صاحب الشعبية العريضة والكبيرة، كما لاحظنا ذلك في مصر، ولاحظته في الجزائر، وفي السودان، في إقبال الجماهير الغفيرة على رمز تيار الوسطية، وهذا يدل على أنه تيار متجاوب

مع فطرة الناس.

هل رسالة الإسلام هي الاعتدالية والوسطية؟

ديفيز: ما تقوله: إذن إن الرسالة الحقيقية للإسلام هي قوة معتدلة، تشمل الحياة كلها، هل ترى أن رسالة الإسلام هي رسالة الاعتدالية والوسطية؟

د. القرضاوي: نعم أنا أريد أن أقول هذا وأكثر ... فالإسلام رسالة سلام للعالم حقيقة، وما دامت الأخت تمثل معهد السلام، فنرى أن الإسلام هو رسالة سلام وتعاون وتعارف بين الشعوب بعضها بعضًا، والقرآن الكريم يقول: **{وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ}** [الحجرات: 13]، والرسول صلى الله عليه وسلم قد اعتبر صلح الحديبية فتحًا، كما اعتبره القرآن فتحًا مبينًا، فالعام الذي استطاع النبي فيه أن يعقد صلحًا مع المشركين أعتبر عام فتح، ونزلت سورة الفتح، وامتن الله بها على المسلمين؛ لأن الإسلام لا يريد القتال إلا إذا اضطر إليه، كما قال في القرآن الكريم: **{كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ}** [البقرة: 216]، فإذا فرض القتال نقاتل، إنما إذا وجدت الفرصة، فإن الإسلام يمد يده ليصافح الناس جميعًا ... وحينما يستطيع الإسلام ألا يدخل معركة يكون هذا نعمة ... ويذكر القرآن الكريم عن المشركين الذين غزوا المدينة غزوة الخندق، والأحزاب بقوله: **{وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ}** [الأحزاب: 25]، فالقتال ليس أمرًا مطلوبًا، وتعبير: **{وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ}** يوحي أنه كلما استطعنا ألا ندخل في معركة، فإن ذلك يكون نعمة من الله عمع ... فالإسلام دعوة إلى السلام، ودعوة إلى الحوار بين المختلفين بعضهم بعضًا، لذلك فقد قال: **{وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا**

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [العنكبوت: 46]، إن الجدال أو الحوار لم يُرض القرآن أن يكون بأسلوب حسن، بل لا بد أن يكون بأسلوب أحسن، فلو وُجد هناك أسلوبان: أسلوب حسن وأسلوب أحسن منه، فينبغي أن نسلك الأحسن الذي يقرب القلوب بعضها من بعض، ولا يوغر الصدور، ويستعمل أرق العبارات وألطفها ... وهذا هو موقف الإسلام.

ديفيز تسأل: ما هو صلح الحديبية؟!

ديفيز: هل هذا الصلح كان فتحًا مبينًا للإسلام؟ ما هو هذا الصلح؟ هل كان هناك سلام بين هذه الجماعات؟

د. القرضاوي: صلح الحديبية هو: أراد النبي صلى الله عليه وسلم أن يذهب وأصحابه إلى مكة للعمرة، ليطوفوا بالبيت الحرام، وبالكعبة، فذهبوا مسالمين لا يريدون قتالًا، كذا شأنهم كشأن سائر العرب: لهم حق في هذا البيت ... لكن المشركين من أهل مكة رفضوا أن يدخلوا الكعبة، وصدوهم عن المسجد الحرام، فتحمس المسلمون وقالوا: لا بد أن نقاتل، وبايعوا النبي صلى الله عليه وسلم على القتال حتى الموت، تحت الشجرة المعروفة، وكان وقوفهم عند مكان اسمه الحديبية «بئر في الطريق»، وهناك حدثت مفاوضات، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين عثمان بن عفان، وبعث المشركون مندوبًا عنهم، وحدثت مفاوضات انتهت بهذا الصلح، لمدة عشر سنوات، ألا تحدث حرب بين المسلمين والمشركين، ويرجع المسلمون هذه السنة دون أن يعتمروا، ويعودوا في السنة القادمة. وكانت هذه الهدنة لمدة عشر سنوات ... وأنزل القرآن فيها بقوله: **{إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا}** [الفتح: 1]،

وسأل الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم : أهذا فتح؟ كيف يسمى: فتحًا وهم لم يدخلوا مكة، قال الرسول: «**نعم هذا فتح**» لأنه اعتبر أن هذا السلام بينه وبين المشركين وإتاحة الفرصة ليلقى بعضهم بعضًا، ويستمع بعضهم من بعض، وتنتشر الدعوة سلميًّا: اعتبر هذا فتحًا مبينًا، هو فتح، لكنه ليس فتحًا عسكريًّا، كما هو الشأن في الفتح ...

ماذا حدث في الجزائر؟ ومتى يكون القتال؟

ديفيز: هناك بعض الأماكن مثل الجزائر: حيث حاول المسلمون بالطرق السلمية، لكن حكومتهم فاسدة: هل تعتقد أن هناك بعض المناسبات - أو المواقف - التي يتعين على المسلمين فيها أن يقاتلوا؟

د. القرضاوي: في أول الأمر ... وقفت القوة المادية وحالت دون الشعب الجزائري وما اختاره لنفسه عن طريق الدبابة والمدفع وقوة الجيش، وحاول الإسلاميون أن يُعبِّروا عن أنفسهم بوسائط أخرى غير العنف مثل: النزول في الشوارع، الإضرابات، البيانات ... وهذا نوع من الناس ... كان هناك أناس معتدلون حتى من جبهة الإنقاذ أنفسهم مثل: عبد القادر حشَّاني، وغيره، كانت لهم تصريحات جيدة، ولكن هذه الوسائل كلها رفضت من قبل السلطة ... وانتهت بحل جبهة الإنقاذ صاحبة الحكم حسب ما أظهرته نتائج الانتخابات، حُلَّت واعتبر نشاطها محظورًا، وأُخذ رجالها إلى السجون والمعتقلات ... فكان معنى هذا أن يكون هناك عنف، عندما تسد الطريق على إنسان، ولا تجد سبيلًا أمامك: ماذا تستطيع؟ حتى لو أراد المعتدلون وقف العنف، فإنك لا تستطيعه؛ لأنه في هذه الحالة تتسبب الأمور، وشيوخ الجبهة

وقادتها في السجون والمعتقلات، ولم يبق إلا عنصر الشباب، والشباب المتحمس الذي يشعر أنه ظُلم، وأن حقه قد أغتصب بالعنف ... فبطبيعة الحال يقابل هذا العنف بعنف مثله ...

فالمسألة هنا ليس ماذا يرى الإسلام، فالواقع يفرض نفسه على الساحة، ومع هذا بقي المعتدلون في ذلك الوقت يدعون إلى وجوب حقن الدماء، وأنه لا بد من التحاور، وأن يتدخل العقلاء في هذه القضية؛ لأن أحدًا من أهل الاعتدال لا يرضى أن يسفك دم إنسان بريء؛ لأنه في هذه الحالة يؤخذ البريء والمسيء والسلطة وغير السلطة، فقد أصيب أناس برءاء، فحتى مع هذا الموقف كان المعتدلون الإسلاميون يدعون إلى ضرورة السعي لحقن الدماء وفتح باب الحوار لتجنيب الجزائر مخاطر هذه الفتنة الخطيرة والعظيمة ... لقد دعا أشخاص إلى مقاومة هذا العنف بالاعتدال، يمثلون تجمعات إسلامية أخرى، غير جبهة الإنقاذ مثل: محفوظ النحناح رئيس حزب حماس، وحركة المجتمع الإسلامي، وعبد الله جاب الله رئيس حزب النهضة الإسلامي أيضًا، وهما رغم هذا كانوا يدعون للخروج من المأزق في الجزائر عن طريق الحوار، وليس عن طريق العنف.

رسالتي إلى الشباب

ديفيز: ما هي رسالتك الخاصة التي توجهها إلى الشباب المسلم، والشباب عمومًا؟

د. القرضاوي: إنني أعتبر الأمر في غاية الأهمية، ذلك أني أعتبر الشباب هم مستقبل الأمة، الثروة البشرية، وهي في نظري أعظم من الثروة النفطية،

والثروات المادية المختلفة، فالأمم بإنسانها، لا بذهبها، ولا ببترولها، ولا بنفطها، والشباب بالذات هم عماد الصحوة الإسلامية، العمود الفقري للصحوة الإسلامية هم الشباب، وهذا واضح في بلد مثل: مصر أو السودان، وفي الجزائر، وفي الخليج هنا نجد أن الشباب هم الذين يملأون المساجد في الصلوات، وهم الذين يملأون مواسم الحج والعمرة في مكة والمدينة، وهم الذين يقرأون الكتاب الإسلامي، الفتيات أيضًا اللائي التزمن الحجاب طوعًا واختيارًا، دون ضغط أو إكراه من أحد، بل أحيانًا يكون هذا بالرغم من معارضة الأهالي والآباء والأمهات ... هذا كله يتمثل في الشباب؛ وذلك لأن الصحوة الإسلامية عمادها الشباب ...

والشباب بطبيعته فيه نوع من الاندفاع، بحكم السن وبحكم الحيوية الدافقة، والطاقة الشبابية، وربما يزيد من هذا الاندفاع شعوره بالظلم، وأنه لم يأخذ حقه، لا من قادة أوطانه وزعمائه السياسيين، ولا من الغرب المسيطر والحاكم بحضارته وتقنيته وتوجهاته السياسية، خصوصًا مع العالم الثالث ويدفعه الشعور بهذا الظلم إلى شيء من العنف أو التطرف، ولهذا اهتممت في هذه المرحلة منذ نحو عشرين عامًا تقريبًا بالتوجه إلى الشباب، محاولة ترشيد الصحوة الشبابية، صحوة الإسلام التي تتمثل في هذا الشباب، ترشيد مسيرتها، وترشيد خطواتها، بحيث تسلك طريق الاعتدال وتبتعد عن العنف، وفي اعتقادي أنه ليس هناك حاجة للتطرف والعنف؛ لأن الدعوة إلى الإسلام تنتشر انتشارًا واسعًا يمينًا وشمالًا، تكسب كل يوم أرضًا، ويدخل الناس فيها أفواجًا، بنين وبنات، المثقفين كافة والمهنيين، كما نرى ذلك واضحًا في مصر في نقابات المهندسين والأطباء والصيادلة والمعلمين والمحامين والصحفيين

... اكتساح هذه الطبقات المثقفة، وما دامت الدعوة تنتشر وتكسب أنصارًا، فلماذا التطرف والعنف الذي يلجأ إلى التطرف، والعنف الذي يشعر بخيبة أمله، ويشعر أن الطريق أمامه مسدود ... وذلك هو الذي جعلنا ندعو الشباب إلى الاعتدال، وهو بهذا يربح ولا يخسر، ويضم في كل يوم مكاسب جديدة، فهذا كان اهتمامي فيما بين هذين العقدين من الزمن.

إن الشباب يهتم بتكوين نفسه تكوينًا متكاملًا من الناحية العقلية بالثقافة، والروحية بالعبادة والخلقية بالفضيلة، ومن الناحية الجسمانية بالرياضة، ومن الناحية الاجتماعية بالخدمة والمشاركة في المجتمع ... فهو يهتم بتنمية نفسه وتكوين نفسه التكوين المتكامل هذا، وبالمشاركة في إصلاح المجتمع ... إنه لا يتعالى على المجتمع، وإنما يتغلغل فيه، يعمل في هذا المجتمع، يحاول أن يؤلف جميعات خيرية، ينشئ مستوصفات طبية لعلاج المرضى، ينشئ دورًا لكفالة الأيتام، مدارس لتعليم الأميين، وهذا ما جعلني في السنوات الأخيرة أدعو للاهتمام بالجانب الاجتماعي دون التركيز على الجانب السياسي وحده أي أنه بجوار تكوينهم النفسي لا بد أن يهتم الشباب بالمجتمع وخدمته، ويتغلغلوا فيه ولا يتعالوا عليه، لقد أنكرت الانهماك في الجانب السياسي على حساب الجانب الاجتماعي ... ينبغي عليهم أن يهتموا بمشكلات المجتمع؛ لأنهم جزء من هذا المجتمع، فالطبيب يداوي المريض، والمعلم يمحو الأمية ... إلى غير ذلك.

لماذا يقبل الشباب نحو الإسلام في المشرق؟

ديفيز: ينبهر الغرب لما يحدث للشباب في العالم الإسلامي: فحينما يبتعد

الشباب في الغرب عن الدين والأخلاق فعلى العكس من ذلك يحدث مع الشباب في العالم الإسلامي ... فهل يمكنك أن تخبرنا لماذا يحدث هذا الشيء، لماذا يتجه الشباب المسلم للدين، وليس للشيوعية وما شابه ذلك؟

د. القرضاوي: إذا أردنا أن نكون صرحاء وننظر إلى الواقع بعين الإنصاف، فيكاد يكون المسلمون وحدهم الذين يمثلون التدين الحقيقي في العالم ... لقد قرأت أن الإحصاءات تقول: إن (5 %) فقط من المسيحيين في الغرب هم الذين يذهبون إلى الكنيسة، ومن المعلوم أن هؤلاء الـ (5 %) لا يذهبون من أجل التدين فقط، بعضهم لا يذهب تدينًا، وإنما يذهب كنوع من التغيير في الحياة النمطية، وبعضهم يذهب للمقابلات بين بعضهم بعضًا، على حين المسلمون فهم أشد الأمم تمسكًا بدينهم حتى العصاة من المسلمين تجدهم أقرب ما يكونون إذا وجدوا من يذكِّرهم بالله وبالآخرة، ويستمعوا موعظته، من إنسان حي القلب، فسرعان ما يرجعون ... وهذا يحدث لأن الإسلام في الحقيقة دين الفطرة السليمة، لا يكلِّف الإنسان شيئًا ضد فطرته ولا ضد عقله ... والقرآن نفسه يقول: **{هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ}** [البقرة: 111]، والأصل حتى في العقائد الإسلامية أنها لا بد أن تكون موافقة للعقل، والتكاليف الإسلامية رغم شدتها في بعض الأحيان، يطلب من الإنسان أن يذهب خمس مرات في اليوم إلى المسجد، وهذا لا يوجد في أي دين أن يطالب أتباعه بمثل هذا، ومع هذا: يجد المسلم في ذلك راحة لنفسه، وغذاءً لروحه، ويُنتشل الإنسان بها من لجة الحياة التي يغرق فيها الناس، هذه الحياة المادية، ويقف الإنسان في هذه الصلوات بين يدي الله ععع بطمأنينة القلب وسعادة الروح.

الواقع إن الإسلام هو الدين الذي يُقدم للنفس الإنسانية في هذا العصر ما

يغسلها من أدرانها، ويقدم لها العلاج الروحي المفهوم للعقل، ويعطي الإنسان الآخرة، ولكنه لا يحرمه من الدنيا، ويصله بالسماء ولكنه لا ينتزعه من الأرض التي يقف عليها ... إن عملية التوازن بين العقل والقلب وبين الروح والمادة، بين الجسم والروح، بين الدنيا والآخرة ... هذا التوازن لا نجده في رسالة ما إلا في الإسلام؛ فلذلك لا عجب أن يرجع الناس إلى الإسلام ... ونحن نعتقد أن الإسلام ليس للمسلمين فقط، ولكن للعالم أجمع.

ما هي حقيقة العلاقة بين الإسلام والغرب؟

ديفيز: السؤال الكبير الآن عن العلاقة بين العالم الإسلامي والغربي؟

د. القرضاوي: أولًا: نريد من الغرب قبل كل شيء أن يعترف بحق الإسلام في الوجود، وبحق المسلمين أن يعيشوا بإسلامهم، وأن من الخير للغرب أن يكون المسلمون متدينين يخافون الله ويراقبونه في أعمالهم ويتمسكون بمكارم الأخلاق، أفضل لهم من أن يكونوا أناسًا ملحدين أو منحلين، أو إباحيين لا دين لهم ولا خلق ...

هذه هي القضية الأولى: أن يعترف الغرب بحق الإسلام وبحق المسلمين في العيش بإسلامهم، فلو أن المسلم يفرض عليه دينه أن يحكم بشريعته، ما الذي يضير الغرب أن يحكم المسلمون الشريعة في ديارهم وفي مجتمعاتهم، ويطبقوها على أنفسهم.

الأمر الثاني: أن يؤمن الغرب بأن الحياة تتسع لأكثر من دين وأكثر من ثقافة وأكثر من حضارة، وأن هذا التنوع هو من صالح البشرية وليس ضد

مصلحتها، ولا يمكن أن تفرض حضارة واحدة، أو يفرض دين واحد نفسه على العالم كله، وقد كان للمسلمين حضارة، ومع هذا كان في هذه الحضارة عناصر مختلفة من الناحية الدينية والعرفية ساهمت في بناء الحضارة الإسلامية ... كان فيها يهود، وكان فيها نصارى، وكان فيها سريان، وكان لهم دولة في الحضارة الإسلامية، وكان الكثير منهم مقربين من الخلفاء المسلمين.

لذا نقول: إنه ليس هناك بأس من تعدد الأديان وتعدد الحضارات والثقافات، وأن تكون العلاقة بينهما علاقة الحوار لا علاقة الصراع ...

ونحن المسلمين عندنا أمران مهمان جدًّا في التعددية الدينية: الأول هو أن تعدد الأديان واقع بمشيئة الله تعالى، أي أن الله لو شاء أن يجعل الناس أمة واحدة لفعل هذا: **{وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ}** [هود: 118]، إنما لم يشأ ربنا هذا، أعطى للبشر حرية الاختيار، فلم يخلقهم ملائكة، على طراز واحد وطبعة واحدة، نسخة متكررة، لا، فقد أعطاهم العقل وأعطاهم الإرادة، والاختيار، فبهذا تنوعت أديانهم واتجاهاتهم، وهذه مشيئة الله، ومشيئته طبعًا، متعلقة بحكمته، وهذا مقتضى الحكمة، والأمر الثاني الذي يسهل على المسلمين قبول نظرية التعدد في العالم هو أن كل إنسان يعتقد، كل صاحب دين يعتقد أنه على الحق، وأن غيره على الباطل، وهذه طبيعة إنما هذا لا يضر؛ لأن المسلم يعتقد أنه ليس الذي يوكل إليه حساب الناس إن ضلوا ولا على كفرهم إن كفروا، إنما الذي يحاسبهم هو الله تنت، والحساب ليس في هذه الدنيا، إنما الحساب في الآخرة، كما قال تعالى: **{ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ**

ٱلْمَصِيرُ} [الشورى: 15]، ففي الآخرة سيكون الحساب، وهذا يريح ضمير الإنسان المؤمن ... أن هناك إلهًا يحاسب الناس في يوم لا ريب فيه.

الأمر الثالث: أن الغرب الآن هو صاحب القوة وسيد الموقف في العالم من الناحية العسكرية، والاقتصادية والسياسية، ولهذا لا بد من الغرب - كي يحسن صورته عند جماهير المسلمين أن يقف موقف العدالة والإنصاف من قضايا المسلمين المختلفة، فإن نظرة المسلمين إلى الغرب متحيز ضد المسلمين سواء في أوروبا أو في أمريكا، وهذا واضح في أمور كثيرة: في النزاع بين العرب وإسرائيل، كان الغرب دائمًا مع إسرائيل، في الصراع الآن في البوسنة والهرسك، نجد الغرب للأسف إما أنه ممالئ صراحة للصرب والكروات الذين فعلوا الأفاعيل بالمسلمين والمسلمات من سفك الدماء واغتصاب النساء وهدم المساجد، وآثار المسلمين الحضارية والثقافية ... وهذا على مرآى ومسمع من العالم الغربي والنظام العالمي الجديد، دون أن يقدم لهم شيئًا يذكر، وكان أقل شيء أن يسمح لهم بالدفاع عن أنفسهم، فإنه للأسف حظر عليهم السلاح، وقالوا: حتى لا يُزاد سفك الدماء ... ومعنى حظر السلاح عليهم أنه يسفك الدماء من جانب واحد، والجانب الآخر لا يملك شيئًا ...

نريد من الغرب لكي يحسن المسلمون ظنهم فيه أن يقف موقفًا عادلًا في هذه القضايا: الغرب خاصة أمريكا، تؤيد الديمقراطية في كل مكان، وأحيانًا تتدخل الجيوش لفرض الديمقراطية أو يفرض من يدعو لها، إلا في بلاد المسلمين: فتؤيد أمريكا الأنظمة الدكتاتورية التي تحكم الشعوب رغمًا عنها، والتي تزور الانتخابات، والغرب خصوصًا الأمريكان يعرف بالطبع أن هذه

الانتخابات كلها مزورة - وتقف مع الحكام المستبدين ضد شعوبهم، وحينما جاءت صناديق الانتخابات بالإسلاميين في بلد مثل الجزائر، وقف الغرب مع السلطة الغاشمة التي قطعت على الشعب طريق اختياره، وحرمته ثمرة ما أراد لنفسه.

لذلك لا يستطيع الغرب أن يُحَسِّن صورته أمام المسلمين إذا كان في كل قضايا المسلمين يقف ضد ما تريده الشعوب الإسلامية، هذا ما نريده من الغرب: أن يكون عادلًا، وأن يكون منصفًا، وألا يكيل بكيلين في بعض القضايا ... والغرب يريد الآن أن يدمر العراق أسلحته ونحن وقفنا ضد العراق في أيام عدوانه، ولكن لماذا لا يقف مثل هذا الموقف مع إسرائيل وهي تملك ترسانة من الأسلحة النووية.

الأمر الرابع والأخير: هو أننا نريد من الغرب في تعامله مع الشرق الإسلامي ألا يكتفي بمعرفته الإسلام والمسلمين والحركات الإسلامية والجمعيات الإسلامية بالتقارير التي تأتي إليه عن طريق المخابرات والجهات الأمنية وحدها؛ فقد تكون هذه الجهات لها مصلحة في المبالغة في تصوير الأمور أو عدم تقديرها التقدير الكافي أو أنها لا تصل ولا تعرف جهات أخرى، ولهذا أجد أنه من الظواهر الصحية والإيجابية عقد مثل هذه اللقاءات مثل ما تقوم به الأخت العزيزة في سعيها إلى اللقاء بمفكرين إسلاميين والالتقاء بهم وجهًا لوجه والاستماع إليهم مباشرة ودون وسائط ... وأعتقد أن هذا الأمر مهم؛ لأنه لا يمكن أن تتحسن الصورة إذا ظل الغرب ليس عنده فكرة إلا أن الإسلام هذا غول مفترس، وأن هؤلاء المسلمين وحوش ... فالتعامل مع هذه الصورة لا يمكن أن يثمر ... لكن بمثل هذه

اللقاءات وإقامة جسور للحوار متصلة يمكن أن يحدث التفاهم ...

لقد دعوت شخصيًّا إلى هذا الحوار في كتابي «أولويات الحركة الإسلامية»، دعوت إلى الحوار الداخلي والحوار الخارجي، دعوت إلى الحوار مع الغرب، والحوار على المستوى الديني مع رجال الدين من الكرادلة والأساقفة والقسس، وإلى الحوار الفكري مع المستشرقين والمفكرين والكتاب المهتمين بالعالم الإسلامي وصحوته، وإلى الحوار السياسي أيضًا مع من يصيغون القرار ... محاولة اللقاء بهؤلاء والاتصال بهم كما حاول هذا رجل مثل د. حسن الترابي. لقد ذهب إلى أمريكا والتقى بالكونجرس والتقى بكثير من السياسيين ... أعتقد أن هذا الحوار على هذه المسئوليات الدينية والفكرية والسياسية حوار نافع، ويزيل كثيرًا من الغبش في الرؤية، أو سوء الظن في الآخرين ...

لقد جربت بنفسي بعض هذه اللقاءات ... في ألمانيا التقيت أنا وفضيلة الشيخ الغزالي مع عدد من المستشرقين ورجال الدين الألمان في لقاء تعارف وعمل، وظللنا يومًا كاملًا، ووجهت إلينا أسئلة وأجبنا عنها، وأزلنا كثيرًا من الشبهات، ونفينا كثيرًا من الاختلافات ... فإنه يحدث أن أشياء لا أساس لها تكون موجودة ... وكانت ثمرة اللقاء - فيما رأينا - طيبة في رأينا، وأن الكثير يريد أن يعرف بعضهم بعضًا، وتمنى الجميع لو تتكرر مثل هذا اللقاءات ... وقبل ذلك كان هناك من عدة سنوات وفد من رابطة العالم الإسلامي التقى بوفع من الفاتيكان، وكبار الرجال هناك، وكان لهذا اللقاء أثر طيب، كان في هذا اللقاء د. معروف الدواليبي، والأستاذ محمد المبارك، وصدر هذا في كتاب ... هذه اللقاءات أعتقد أنها نافعة، فالتعرف على المسلمين وتوجهاتهم

المختلفة أمر واجب ولا يكفي فيه مجرد الاستماع إلى التقارير المخابراتية والأمنية.

إنما مثل هذه اللقاءات التي بدأت بها الأخت، وقبل ذلك قابلتني سكرتيرة السفارة الأمريكية في قطر والقائمة بأعمال السفير في لقاء مطول للتعرف على وجهة نظر الإسلاميين فيما يجري من حولهم من أحداث، وخصوصًا عن العنف والتطرف ... في رأيي أن مثل هذا شائع، وأعتقد أنه إذا كان الغرب يهمه أن تتحسن صورته عند المسلمين أن يحاول عن كثب التعرف على المسلمين بتوجهاتهم المختلفة، وأن يأخذ صورة حقيقية غير مهولة بالمبالغات أو بتدخل الأهواء البشرية.

تعدد الأديان، وتعدد الحركات الإسلامية

ديفيز: بالنسبة لأناس مثلي يدرسون ويحاولون التَّعلُّم: يختلط عليهم الأمر حيث توجد حركات إسلامية كثيرة ... ما هو الإسلام الصحيح؟ وهل هناك أية محاولات على طريق الحركات الإسلامية المختلفة لكي تجتمع على كلمة سواء بحيث تصبح حركة إسلامية واحدة؟

د. القرضاوي: الإسلام له مصادره المعروفة لدى المسلمين والمعترف بها من جمهرة المسلمين، خصوصًا إذا قلنا بالنسبة للسُّنَّة الذين يمثلون الأغلبية الإسلامية، وإن كان الإسلام في النهاية يتفق في معظم الأشياء، فالمسلمون جميعًا يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله وبالجزاء في الآخرة، والمسلمون جميعًا يعتقدون بوجوب الصلوات الخمس كل يوم، والزكاة كل عام، والصيام في شهر رمضان، والحج إلى بيت الله الحرام، ويؤمنون بفضائل معينة مثل:

الصدق والأمانة والوفاء بالعهد ... وهذه الأشياء ... مجموعة أخلاقيات، ويُحرمون أشياء معينة مثل الزنا وشرب الخمر وأكل الربا ... هذه أشياء يتفق فيها المسلمون جميعًا، ولا يكاد مسلم يختلف في هذا، حتى وإن كان مسلمًا سنيًّا أو شيعيًّا، إنما يحصل الاختلاف في الأمور العامة نتيجة أفهام مختلفة ومواريث مختلفة، كما ذكرت أنا مثلًا أثرت فيَّ نشأتي في مدرسة فكرية حركية إسلامية معينة، وغيري نشأ في مدرسة أخرى، وفي اختلافات بعضها راجع إلى الأشخاص أنفسهم، واحد متشدد جدًّا، وواحد ميسر، وهكذا لا بد أن يكون هناك قدر من الاختلاف، ولا يضر هذا الاختلاف إذا كانت الأصول الأساسية متفقًا عليها، وهناك قاعدة يؤمن بها تيار الوسطية الذي تحدثت عنه، وهذه القاعدة تسمى: القاعدة الذهبية، وهي تقول: «نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»، ففي أشياء كثيرة جدًّا نتفق ونتعاون فيها، كلنا لا يحب الإلحاد: فلنحارب الإلحاد، كلنا ضد الإباحية فلنقاوم الإباحية، كلنا ضد الظلم فلنقف ضده معًا، كلنا ضد الاستعمار، فلنقف معًا ضد الاستعمار، كلنا يريد مساعدة الضعفاء والفقراء، فلنعمل لتعليم الجاهلين ... هناك أشياء كثيرة بالمئات فلنتعاون في تحقيق هذه الأشياء، وهناك أشياء نختلف فيها فلنتسامح فيها، وليعذر كل منا الآخر في هذه الأشياء؛ لأنه يصعب على الناس جميعًا أن يتفقوا في شيء واحد ... فلا مانع من ذلك ... فإذا قلنا بتعدد الأديان كما ذكرت في السؤال السابق، وأن الحياة تتسع لأكثر من دين، وأكثر من حضارة، وأكثر من ثقافة فكيف لا تتسع لأكثر من اتجاه داخل دين واحد، أو داخل حضارة واحدة ... لا مانع من هذا ... إنما المهم أن تظل هناك مساحة مشتركة وقواسم مشتركة تسع الجميع ...

بعض الناس يحلم أن تقوم حركة إسلامية واحدة تتحدث بلسان الإسلام والمسلمين وتنفي ما عداها: أن نجعل الناس نسخة مكررة، قوالب مصبوبة ... وهذا غير طبيعة البشر، لا بد للناس أن يختلفوا، لا مانع من الاختلاف إذا كان اختلاف تنوع، وليس اختلاف تناقض، ولقد خلق ربنا عمع الكون مختلفًا ألوانه، لكنه اختلاف تنوع وليس اختلاف تناقض وتضاد ... فلا مانع أن توجد في الصحوة الإسلامية مدارس مختلفة، ليس هناك مانع، حتى التيارات المتشددة نفتح الحوار بيننا وبينها، ونحاول أن نكسب منها وأن نضمها إلينا، ومن هنا دعوت في كثير من كتبي إلى أنه لا مانع من أن تتعدد الجماعات العاملة للإسلام والمتحدثة باسمه وأن يكون هناك أكثر من جماعة وأكثر من حركة، كل ما في الأمر ألا يحاول بعضها أن يهدم بعضًا أو يجرح بعضها بعضًا، إنما ينسقون فيما بينهم، يتعاونون في المواقف المصيرية، في القضايا الكبرى مثل: قضية البوسنة، كل مسلم لا بد أن يقف لينصر العدل ويقاوم الظلم ... مجاعة في بلد إسلامي يجب على جميع الجماعات والحركات أن تقف لنصرة هذا البلد ...

وإذا كنا ندعو لحوار مع غير المسلمين بالتي هي أحسن، بأحسن الأساليب كما ذكرنا، فأولى وأحق وأوجب أن المسلمين يتحاورون فيما بينهم أيضًا بالتي هي أحسن، إنما لا نستطيع أن نجعل من المسلمين نسخة واحدة؛ لأن هذا ضد طبيعة الحياة نفسها، وضد طبيعة البشر، وضد طبيعة الدين نفسه؛ لأن الدين نفسه جاء نصوصًا مكتوبة بلغة معينة، كل واحد يقرأها ويفهم فيها فهمًا، فلا بد أن تختلف الأفهام، كل ما في الأمر أننا نقول: إننا نحاول أن نتفق على الأصول الأساسية والأركان الأصلية، ولا مانع في الاختلاف في

الفروع بعد ذلك مثل هذا الاختلاف رحمة وسعة وثروة للأمة ...

«جويس ديفيز»:

محرر أجنبي للإذاعة الوطنية العامة في واشنطن «تثب إلى ما يزيد عن (14) مليون مستمع».

متخصصة في قضايا إفريقيا والشرق الأوسط.

عملت كمحرر رئيس ومنسق للإذاعة المذكورة أثناء حرب الخليج.

عضو معهد السلام الأمريكي.

زميلة ببرنامج معهد جينجر راندولف للسلام الدولي.

«معهد السلاك»:

مؤسسة غير حزبية مُشكَّلة وممولة من قبل الكونجرس لتوسيع إمكانية الدولة «الولايات المتحدة الأمريكية» لدعم الحلول السلمية للنزاعات الدولية، بالإضافة إلى برنامج الزمالة، فإن نشاطات المعهد تشمل: المنح الجامعية، والمشروعات البحثية الداخلية، ومجموعة من النشاطات التربوية العامة والممتدة والخدمات المكتبية والمطبوعات.

على هامش الحوار:

حرصت جويس ديفيز على ارتداء الزي الباكستاني ليغطي ما يظهر تمثيلًا بالزي الإسلامي.

لا تعرف اللغة العربية ... وقد قام بالترجمة الفورية لها الأخ المترجم «أمين الدين شحاتة».

بلغ من حرصها على لقاء د. القرضاوي أن صاغت برنامج رحلتها في الشرق الأوسط على وقت زيارتها لدولة قطر ... وكادت أن تُمنع من دخول قطر نظرًا لعدم معرفتها بوجوب حصولها على تأشيرة دخول ... حتى بذلت بعض الجهود ودخلت قبل موعد الحوار بقليل.

حسن علي دبا

القرضاوي ... شخصية العام الإسلامية

عندما تهاوت الرايات وخرست الألسنة وغاب الصوت المدوي وتشتت الكيانات في وطننا العربي والإسلامي خلال أحداثه وقضاياه الكبرى المعاصرة، تعالت راية الإسلام عالية خفاقة ... تنافح عن عقيدة الأمة ومقدساتها، وباستقراء الواقع نلاحظ أن الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي يقود هذه المسيرة ويرفع رايتها الأصلية بفكر وسطي يجمع بين الأصالة والمعاصرة، يوائم بينهما بمنهج شمولي متميز,, عرفته الأمة فارسًا مقدامًا يذود عن حمى الإسلام ومقدسات فلسطين، يقود حملة نضالية عالمية منفردًا باستنهاض الضمير العربي والإسلامي إلى رد المعتدي ومقاومته، فكان صوتًا وحيدًا يقرع آذان العالمين.

وقامت اللجنة المنظمة لجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم باختيار الدكتور يوسف القرضاوي كشخصية إسلامية في دورتها الرابعة، وهو بحق اختيار موفق مناسب خصوصًا في هذه الظروف العصيبة التي أبلى فيها القرضاوي بلاءً حسنًا.

حملنا أوراقنا وجعبتنا وسارعنا إلى اللقاء به بعد إعلان اختياره شخصية العام الإسلامية.

تكريم لمدرسة الوسطية:

في بداية اللقاء ماذا يقول الدكتور يوسف القرضاوي في هذه المناسبة، وماذا يعني لكم هذا التكريم؟

لا يسعني إلا أن أشكر اللجنة المنظمة لجائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، وعلى رأسها الأخ الأستاذ إبراهيم بو ملحة وإخوانه الأفاضل، وأشكرهم على حسن الظن بي بأن جعلوني الشخصية الإسلامية لهذا العام، وأسأل الله ععع أن يغفر لي ما لا يعلمون، وأشكر راعي الجائزة الفريق أول سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولي عهد دبي وزير الدفاع الذي جمع بين رقة الشاعر وصرامة المقاتل وحنكة السياسي وعقلية المنظم، أشكر له هذا الموقف، وأعتبر هذه الجائزة أيها الأخوة ليست تكريمًا لي، إنما الذي أعتز به إنها تكريم وتقدير لتيار أمثله، وهو تيار الوسطية الإسلامية الذي يقوم على التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة والجمع بين الأصالة والمعاصرة، يقوم هذا التيار على التجديد في الدين والنهوض بالدنيا معًا، يعايش الحاضر ويستلهم الماضي ويستشرف المستقبل، هذا التيار الذي أنادي به وأعتز به وأتبناه ولي عقود من السنين وأنا أدعو إليه، وأعتبر هذه الجائزة تأييدًا لمفاهيم الفكر الوسطي وتقديرًا له، وهي من ناحية أخرى تطوق عنقي لأنها تعتبر ثقة من المسلمين بي، وهذه الثقة ليست رخيصة الثمن، بل هي غالية وتلزمني ببذل المزيد من الجهود والعطاء لخدمة الإسلام ونصرة قضاياه والوقوف في وجه أعداء هذه الأمة مهما كلفنا ذلك، وسنظل ثابتين على العهد حتى يظهر

الله دينه أو نهلك دونه، وهي من ناحية رد على أولئك الصهاينة الذين أرغوا وأزبدوا، وأبرقوا وأرعدوا لمواقف ضد كف عدوانهم وإفسادهم في الأرض وقتلهم الأبرياء وانتهاكهم للحرمات وسفكهم للدماء وتدميرهم للمنشآت والمساجد ولكل شيء، فوقفوا يقولون عني ما يقولون ويطلبون من إسرائيل أن تضغط على الدول التي أظهر في تليفزيوناتها وقنواتها الفضائية لتمنعني من هذا الظهور، والحمد لله هذه الدول كرمتني ولم تمنعني، فهذا رد عملي على هؤلاء الذين يظنون أن العرب والمسلمين رهن إشارتهم، وأن أمريكا بمجرد أن تلوم أو تهدد أو تشير فإن شارتها حكم وطاعتها غنم، فأنا أحمد الله على هذه الجائزة وأقول كما علمنا الله أن نقول: **{قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ}** [يونس: 58]. وقد قيل للنبي صلى الله عليه وسلم : الرجل يعمل العمل، فيظهر عمله ويثني الناس عليه ويمدحونه، فهل ذلك ينقص من أجره، فقال: «**تلك عاجل بشرى المؤمن**»؛ لأن المؤمن له بشريان، بشرى في الحياة الدنيا، وبشرى في الحياة الآخرة، فهذه عاجل بشرى المؤمن، وأسأل الله تعالى ألا يحرمنا بشرى الآخرة، وألا يكون نصيبنا من الدنيا وحدها، أسأل الله أن نكون ممن قال الله فيهم: **{فَـَٔاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا وَحُسْنَ ثَوَابِ ٱلْـَٔاخِرَةِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ}** [آل عمران: 148]، ونسأل الله ألا يحرمنا الحسنتين، حسنة الدنيا وحسنة الآخرة، كما علمنا ربنا أن نقول: **{رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ}** [البقرة: 201]، فأنا أشكر لإمارة دبي وجائزة القرآن الكريم وللشيخ محمد بن راشد آل مكتوم ولدولة الإمارات بصفة عامة ولراعيها ورئيسها الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان الذي نسأل الله أن ينعم عليه بالعافية ويكتب له تمام الشفاء، اللهم آمين.

إسرائيل تخاف الكلمة:

على الرغم من أن فضيلة الدكتور القرضاوي تميز بفكر معتدل وتعلم على يديه الكثير من أبناء الأمة، إلا أن هذا الفكر الذي لا يدعو إلى التطرف في يوم من الأيام ولا يدعو إلى التشدد أزعج إسرائيل وأخافها عندما نطق بكلمة حق فيما يحدث في الأراضي الفلسطينية المحتلة، فإلى أي مدى إسرائيل بهذا الجبروت والآلة العسكرية تخشى كلمة من فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي؟

نحن نتوهم بأن إسرائيل قوة لا تقهر وشوكة لا تكسر، والواقع أن إسرائيل ليست بهذه القوة المزعومة، الله عمع يقول في آبائهم من قبل: **{لَا يُقَٰتِلُونَكُمۡ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرٗى مُّحَصَّنَةٍ أَوۡ مِن وَرَآءِ جُدُرِۭۚ بَأۡسُهُم بَيۡنَهُمۡ شَدِيدٞۚ تَحۡسَبُهُمۡ جَمِيعٗا وَقُلُوبُهُمۡ شَتَّىٰ}** [الحشر: 14].

وتضرب كتب الأدب العربي مثلًا: قيل إن ثعلبًا أمسك بأرنب، فضغط على الأرنب فصرخ، فانتفش الثعلب، فقال له: هذا ليس لقوتك، ولكن لضعفي، لولا ضعفنا لما ظهرت إسرائيل بهذه القوة، نحن أقوياء حينما نملك إيماننا وإرادتنا ونجمع كلمتنا سنكون قوة إن شاء الله، وأنا أضرب لك مثلًا بالتاريخ. التتار عندما ظهروا في القرن السابع الهجري وأسقطوا بغداد وحطموا الخلافة العباسية، كان هناك مثلًا يقول: «إن قيل لك إن التتار انهزموا فلا تصدق»، ولكن هذه القوة قهرت أمام الجيش المصري بقيادة المظفر سيف الدين قطز في معركة شهيرة في التاريخ اسمها معركة «عين جالوت» كانت في الخامس والعشرين من رمضان سنة 658هـ، وبغداد سقطت سنة 656هـ، أي بعد هذه المعركة بسنتين من سقوطها ولم تقم للتتار

قائمة بعدها، فإسرائيل تخيفها الكلمة خصوصًا كلمة الإسلام المعتدل، الغرب كان يقول من قبل احذروا الإسلام المتطرف والمتشدد ثم ها هم قد غيروا النغمة قائلين: احذروا الإسلام المعتدل لأن الإسلام المتطرف لا يدوم طويلًا، قصير العمر، الإسلام الذي يدوم ويستمر ويعطي ويمكن أن يجمع الأمة هو الإسلام المعتدل، فأصبحوا يخافونه ويقولون احذروا هذا الإسلام المعتدل.

التكريم دعم لمسيرتي:

حصلتم في الفترات السابقة على خمس جوائز عالمية وهذه هي السادسة، كما أنكم رشحتم لجوائز دولية أخرى، ماذا تمثل لديكم جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم خلافًا عما سبق من جوائز؟

جاءت هذه الجائزة في وقت مهم ردًّا على الصهاينة من ناحية وردًّا على الذين يشوشون على مسيرتي من ناحية أخرى، فلكل واحد خصوم، حتى الأنبياء لم يسلموا، قد جاء في الآثار الإسرائيلية، أن سيدنا موسى عليه السلام قال: يا رب، كف عني ألسنة الناس. فقال له: يا موسى، ذلك شيء لم أختصه لنفسي، فكيف أختصك به؟! فربنا لم يسلم من ألسنة عباده كما جاء في الحديث القدسي الذي رواه البخاري ومسلم: «**شتمني ابن آدم وما ينبغي له أن يشتمني، وكذبني ابن آدم وما كان له أن يكذبني**»، وقال ابن آدم: «**إن لله شركاء وأندادًا وأبناء**»، فلذلك فهي تعتبر ردًّا على هؤلاء الذين يحاولون أن يشوشوا على مسرية القرضاوي، فالحمد لله هذا تقدير من الأمة، فاحمد لله عز وجل على ذلك.

هل هو تشويش على القرضاوي أم تشويش على مسيرة القرضاوي؟

هو تشويش على الفكر وليس المقصود الشخص في حد ذاته، فليس بيني وبينهم معركة شخصية إنما هو تشويش على الفكر الوسطي، حيث لا يعجبهم المتطرف إلى اليمين والمتطرف إلى اليسار، فالإباحيون والمتسيبون لا يعجبهم هذا الفكر، والمتطرفون والمتنطعون لا يعجبهم هذا الفكر؛ لأن هذا الفكر هو الصراط المستقيم والصراط المستقيم الذي يكون على يمينه سبل وعلى يساره سبل كما علم ذلك الرسول صلى الله عليه وسلم عندما خط على الرمل خطًّا فقال: «**هذا صراط الله مستقيمًا ثم خط عن يمينه وعن شماله خطوطًا متعرجة ملتوية وقال: هذه سبل على رأس كل منها شيطان يدعو إليه**»، ثم تلا قوله تعالى: **{وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ}** [الأنعام: 153]، فهذا صراط الله المستقيم وتلك هي السبل التي يقوم عليها شياطين الإنس والجن وتحاول جاهدة مقاومة أصحاب الصراط المستقيم.

عمليات السلام الآتية:

فضيلة الدكتور القرضاوي أنتم تمثلون التيار الوسطي الذي يثير جدلًا كبيرًا في الساحة الثقافية والسياسية، وقد يتبادر إلى ذهن بعض المفكرين قائلين: أين هي وسطية القرضاوي في عملية السلام، لماذا لم نرَ وسطية القرضاوي في تعامله مع اتفاقيات السلام الإسرائيلية الفلسطينية وهو أمر واقع في الساحة، فكان تعاملكم حادًّا جدًّا وهذا مشهود في وسائل الإعلام، فكيف ترد على هذا الادعاء؟

هل معنى الوسطية التنازل عن الحقوق والحرمات والمقدسات؟ هذا ليس من الوسطية في شيء فالوسطية أحيانًا تقتضي أشياء تتمسك بها ولو بالسيف،

ففي الوسطية ثوابت لا تقبل التنازل ولا تقبل الاجتهاد والتطوير، فأنا في بعض القضايا ميسر عادة، وبعض الأشياء أشدد، أشدد في الربا والتدخين وأصدرت فتوى بتحريم سحب الجوائز الكبرى بالملايين فهذه لا دخل لها؛ لأنها ترويج لنوع من القمار بين أبناء الأمة، فتقضي الوسطية التشديد، حيث يحسن التشديد والتيسير حيث يحسن التيسير، أي أن تضع الشيء في موضعه كما قال أبو الطيب المتنبي قديمًا:

ووضع الندى في موضع كوضع السيف في موضع

فإذا وضعنا الندى في موضع السيف لا يجدي نفعًا خصوصًا مع إسرائيل، كما قال أيضًا المتنبي:

إن أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا

ولهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم عاملهم بشدة في غزوة بني قريظة؛ لأنهم انضموا إلى أعداء المسلمين المغيرين عليهم، ولذلك كان الموقف حازمًا وشديدًا. وكان هذا الإجراء يتواءم مع الموقف، فلو كان المسلمون في الموضع المغاير كما انتصروا في فتح مكة مثلًا قيل لهم اذهبوا فأنتم الطلقاء؛ لأن الموقف غير الموقف، والجريمة غير الجريمة، والقوم غير القوم، العربي تملكه بالعفو، إنما الإسرائيلي لو عفوت عنه فيرى في هذا العفو نباهة وحيلة، وسذاجة من العربي.

القرآن هو المنهج العلمي لأمتنا:

هذه الجائزة التي تأتي برعاية كريمة من سمو الشيخ محمد بن راشد آل مكتوم وتأتي بهدف الحفاظ على القرآن الكريم وتكريم الدعاة والحفاظ على

النشء، وهي في زمن نتحدث فيه كثيرًا عن العولمة وتحدياتها والتقنيات الإلكترونية، مما جعل هذا النشء ينصرف عن كتاب الله، بماذا تنصحون أولياء الأمور من أبناء هذه الأمة في أن يدفعوا بأبنائهم إلى الإقبال على كتاب الله في أسرهم ومجتمعاتهم ومؤسساتهم؟

القرآن الكريم هو أساس وجود هذه الأمة، العرب لم يكونوا شيئًا حتى نزل القرآن، الذي غير العرب، ونقلهم من ظلمات الجاهلية إلى نور الإسلام، وكما قال الإمام مالك رضي الله عنه: «لم يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها»، ولم يصلح أولها إلا بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، فلا بد من عودة إلى القرآن الكريم، عودة إليه حفظًا وعودة إليه تلاوة، وعودة إليه فقهًا وفهمًا، وعودة إليه عملًا وتطبيقًا، فلا بد أن نحسن فهم القرآن، والقرآن أمرنا بتدبره: **{كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ}** [ص: 29]؛ ولذلك لنحسن فهمه ثم نحسن تطبيقه والعمل به، المهم أن تحفظ القرآن ولكن المهم أيضًا أن تعمل بالقرآن الكريم، فنحن نريد أن يكون القرآن هو المنهاج العلمي لهذه الأمة في مفاهيمها وتقاليدها وآدابها وسلوكياتها وتشريعاتها وعبادتها ومعاملاتها، فلا يمكن أن يصلح حال هذه الأمة إلا بالقرآن.

إكثار تلاميذ الوسطية:

ذكرتم بأن تكريمكم هو تكريم لمدرسة الوسطية التي تمثلونها القائمة على التجديد والأصالة والمعاصرة، ما هي رؤيتكم لآليات تنفيذ هذه الوسطية بعيدًا عن الجهد الفردي، وكيف يمكن تجسيد هذه الوسطية في إطار مؤسساتي؟

أولًا لابد أن نبدأ بالتوعية لإيضاح المراد بالوسطية فبعض الناس قد يفهمون الوسطية التسهيل في كل شيء، الوسطية أن تقف وسطًا بين الدعاة إلى المذهبية الجامدة المقلدة المتعصبة ودعاة اللامذهبية الذين يريدون أن يلقوا بالمذاهب في سلة المهملات، فلا بد أن تقف بين هذا وذاك، أن تقف بين الذين يرفضون التصوف كله سُنّيه وملتزمه والذين يأخذون التصوف بعجزه وبجره بين الذين يريدون أن نمشي وراء الغرب بحضارته بخيرها وشرها وحلوها ومرّها وما يحمد منها وما يكره، وبين الذين يرفضون الغرب كله ولا يريدون التعامل معه مطلقًا، وبين الذين يريدون أن يعملوا عقولهم وحدها ولا يلتفتون إلى الوصي، والذين يريدون أن نلتفت إلى الوصي ونلغي العقل، نحن نريد أن نوازن بين العقل والنقل، للوسطية معاني كثيرة وضحتها في كتبي نريد الوعي بماهية هذه الوسطية، ونسعى إلى إكثار تلاميذ المدرسة الوسطية، وهذا ما أقوم به من خلال تأليف الكتب والمقالات وعن طريق المحاضرات والخطب، وخطبي الآن أصبحت تذاع في القنوات الفضائية فأصبح مداها أوسع عن طريق البرامج التليفزيونية، وأصبح هذا المنهج الوسطي معروفًا وله تلاميذ في جميع أنحاء العالم، فما ذهبت إلى بلدة من البلدان إلا ووجدت تلاميذ التيار الوسطي والذين يتابعونه بتفصيل، ثم نريد أن نؤسس مؤسسات تقوم على مبادئ الوسطية، وقد قمت بإنشاء موقع على الإنترنت واسمه «إسلام أون لاين» افتتحناه بـ (4) أكتوبر (1999م)، ودعونا المؤسسين من أنحاء العالم الإسلامي وخارجه من الأقليات والجاليات المسلمة حوالي مائة شخصية وذكرت ملامح عشرة لهذا الموقع، أن يجمع ولا يفرق ولا يهدم، نتعاون فيما اتفقنا فيه وليعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا

فيه، فهناك ملامح عشرة حتى إن الحاضرين قالوا: إن هذه الملامح العشرة يجب أن توضع في النظام الأساسي لتحدد المشروع من أوله واتجاهه أين يتجه، فنريد أن ننشأ مؤسسات مختلفة تتبنى هذا الفكر الوسطي، وتنشأ عليها الأجيال القادمة وسأتبرع بربع هذه الجائزة للموقع «إسلام أون لاين» على الإنترنت وثلاثة الأرباع المتبقية ستكون نواة لإنشاء مؤسسة إسلامية ترعى المتفوقين والمواهب في العالم الإسلامي وهذا أمر يهمني، وأنا أتلقى العديد من الطلبات، حيث أجد طلبة نوابغ من أبناء الأمة الإسلامية ولا يجدون جامعة يتعلمون فيها، وحرام أن يضيع هؤلاء، فنحن نعول عليهم لحمل الفكر الوسطي والراية الوسطية للأجيال القادمة إن شاء الله.

القرضاوي في حوار للقراء اليابانيين

أجرت صحيفة أساهي اليابانية اليومية الحوار التالي مع العلامة الدكتور يوسف القرضاوي، ضمن سبع شخصيات عالمية، قدمتهم على أنهم من رموز القرن الجديد.

والمعروف أن أساهي توزع أكثر من (9) مليون نسخة يوميًّا، وقد نشر الحوار في الصفحة الأولى للجريدة بتاريخ (29) أبريل (2000م) وإجراء دايجي ساداموري المدير الإقليمي لمكتب الجريدة في الشرق الأوسط. الذي زار الشيخ مرتين بمنزله في الدوحة، لما زار موقع إسلام أون لاين، وبلغ من اهتمامه بالتعرف على كل ما يحيط بالشيخ أن زار قريته التي ولد بها في مصر «صفط تراب» بمحافظة الغربية. وها هي الأسئلة مترجمة عن الإنجليزية.

سؤال: ما هو تقديرك لنتائج الانتخابات الأخيرة في إيران؟

أرى أن التجربة الإيرانية جيدة ويجب الإشادة بها وفقًا لما يراه علماء المسلمين، حيث إنها ترسيخ لمبدأ الشورى الذي أمر به الإسلام، وفيه أن حق الشعب اختيار ممثليه وأن يزيحهم من سلطتهم إذا انحرفوا عن الإرادة الشعبية.

وأعتقد أن هذا النوع من الخبرة السياسية يؤثر على الدول المجاورة؛ نظرًا لأن إيران دولة إسلامية وخليجية. وقد خطت بعض الدول الخليجية بالفعل خطوات على طريق الديمقراطية، فالكويت فعلت ذلك منذ سنوات وأيضًا بدأت قطر ذلك مؤخرًا، وحتى المملكة العربية السعودية بدأت في إنشاء مجلس الشورى وسمحت للسيدات أن يشتركن كمراقبات، فهذا تطور يشير إلى أن العملية الديمقراطية سوف تنتصر في النهاية.

ولقد زرت إيران منذ عامين وكانت زيارة طيبة حيث التقيت بالرئيس الإيراني خاتمي والرئيس السابق رافسانجاني والعديد من علماء المسلمين هناك وليس لديّ النية لزيارة إيران حاليًا لأني مشغول جدًّا ولكن لا أمانع في زيارتها مرة أخرى لأنني أؤيد تقوية الروابط بين الدول الإسلامية في القضايا العامة.

سؤال: لقد قمت بنشر العديد من الكتب وشرائط الكاسيت التي تلقى رواجًا ليس فقط في المنطقة العربية ولكن أيضًا على مستوى العالم وموقعك على الإنترنت أصبح واحدًا من أحب المواقع المرجعية الإسلامية، ففيما تخطط الآن؟

أنا بصدد تأليف كتاب عن الألفية الثالثة لمعرفة أين نقف نحن المسلمين من هذه الألفية الجديدة بكل إنجازاتها وإخفاقاتها، فماذا أنجزنا نحن المسلمين في القرن الماضي وفيما فشلنا ولماذا؟ وأيضًا ماذا حققت الإنسانية وأين فشلت؟ لقد حققت الإنسانية الكثير في العلوم والتكنولوجيا والإلكترونيات والعلوم الطبيعية والفضاء والاتصالات والمعلومات وهناك إنجازات ضخمة في المجالات العسكرية والطب وحقوق الإنسان.

ولكن هذا القرن كان قرن الحروب وسفك الدماء بشكل غير مسبوق من قبل، ويكفي أنه شهد الحربين العالميتين الأولى والثانية اللتين راح ضحيتهما نحو (60) مليون نسمة، فضلًا عن الحروب الإقليمية والموت على أيدي بعض الحكومات. وأيضًا شهد هذا القرن قنبلتي هيروشيما وناجازاكي، بالإضافة إلى انهيار الأخلاق في الحضارات المعاصرة.

لقد نجحت الإنسانية في الوصول إلى القمر ولكنها فشلت في إسعاد الشعوب على وجه الأرض. هذه هي الموضوعات التي سوف أتناولها، في كتاب إن شاء الله.

سؤال: لقد علمت أنه لم يسمح لك بدخول الولايات المتحدة الأمريكية بدعوى أن خطبتك الأخيرة في شيكاغو كانت مؤيدة لحركة حماس؟

لقد زارتني سفيرة الولايات المتحدة الأمريكية في الدوحة في مكتب منذ أسبوعين وتحدثنا عن هذا الموضوع، وأخبرتني أن الناس يقولون إنني عالم إسلامي معتدل، فما هو الاعتدال بالنسبة لي؟ وقد أوضحت لها أنني أدعو إلى نهضة الإسلام بالحسنى، وأرفض العنف كالذي حدث في الجزائر ضد

الرهبان الفرنسيين، وقد أرسلت خطابًا إلى الرئيس الجزائري بوتفليقة أؤيد دعوته إلى الوئام المدني؛ لأنني أرفض العنف في الجزائر ودعوت الشباب لإلقاء السلاح والمشاركة في خطة المصالحة. ولقد استجاب البعض بالفعل وألقوا سلاحهم، فهكذا أنا ضد العنف.

وعندئذ سألتني السفيرة عن «حماس» فقلت: إن هذه هي نقطة الخلاف الرئيسية بيننا؛ فأنتم تساندون إسرائيل دائمًا، ولكننا نرى إسرائيل كيانًا بُني على الاغتصاب والعدوان، لقد احتلوا أرضًا ليست لهم ودفعوا شعبها للفرار والتشرد بأعداد كبيرة والآن ها هي إسرائيل تريد أن تفرض سلامًا وفقًا لشروطها، فمن حق الفلسطينيين الدفاع عن بلدهم، وحماس والجهاد وحزب الله هم جميعًا حركات تدافع عن بلادها فهذا ليس إرهابًا، ولكنه رد على العنف الموجه إلينا. فقالت السفيرة لي: لقد تعلمت الكثير منك، وسوف أقدم تقريرًا بذلك، وتقوم الآن وزارة الخارجية القطرية بمعالجة هذا الموضوع لإيجاد حل نهائي.

سؤال: خلال فترة ما بعد الحرب الباردة شاهدنا تفوقًا أمريكيًّا في العديد من المجالات، وخاصة في تكنولوجيا المعلومات وما أحدثته من ثقافة غربية خارقة، فهل نحن مقبلون على سيطرة أمريكية جديدة في القرن القادم؟ وماذا عن صراع الحضارات؟

لا يمكننا أن نقبل ذلك على أنه شيء متوقع أو محتوم، بل يجب عمل توازن مقابل من خلال كتلة الدول الإسلامية ودول عدم الانحياز والعالم الثالث، ولا بد لهؤلاء أن ينسقوا جهودهم لخلق كتلة تحقق التوازن في مقابل السيطرة الأمريكية. يجب على الضعفاء أن يقووا أنفسهم من خلال التكافل

والتضامن. لا أستطيع أن أتنبأ الآن بالنجاح ولكن لا يجوز أن يقودنا ذلك إلى اليأس، فالكون قائم على التوازن، ولن تستطيع قوة عظمى واحدة أن تظل وحدها مسيطرة على العالم وسوف تنهض قوة أخرى لمواجهة وموازنة القوة الأمريكية إن شاء الله.

سؤال: هل تتوقع أن الولايات المتحدة الأمريكية ستظل طويلًا القوة العظمى وحدها؟

لا بالعكس، فإنني أرى أن أمريكا تبدو قوة هائلة من الخارج ولكنها تنطوي على العديد من الأخطاء، فهناك انهيار للأخلاق، وانتشار للشذوذ واللواط، والمشكلات الاجتماعية بين السود والبيض، ولقد انهار الاتحاد السوفييتي القوة العظمى الثانية في العالم رغم ترسانتها العسكرية والنووية الهائلة، إن القوة الأمريكية تحمل داخلها عيوبًا وإخفاقات وهكذا أعتقد أن القرن المقبل سوف يكون ضدها وليس لها.

لقد كتب المفكر الأمريكي فوكوياما، وهو من أصل ياباني كتابًا قال فيه: إن نهاية التاريخ هي نجاح الرأسمالية الحرة وهي نجاح للولايات المتحدة الأمريكية، ولكن بعد عامين ظهر كتاب لصمويل هنتينجون تحدث فيه عن صراع الحضارات، الحضارة الأمريكية هي الأقوى من الناحية المادية، ولكن من الناحية الروحية والأخلاقية، هي ضعيفة جدًّا.

سؤال: ما هي القيمة النفعية الحقيقية للإنترنت؟ هل هي شيء يجب عناصر إيجابية للحياة الإنسانية؟

الإنترنت وسيلة من الوسائل يمكن أن يستخدم في النفع وفي الضر،

والبعض يستخدمه في الضر حيث الفنون الإباحية وما إلى ذلك، أما نحن فنحاول أن نستخدمها في النفع، من خلال الدعاية للإسلام عند المسلمين وغير المسلمين على حد سواء، فنحن نريد استخدامها في تقديم الصورة الصحيحة للإسلام لغير المسلمين وتصحيح بعض الأفكار غير الصحيحة لدى المسلمين عن الإسلام، لذلك نعتقد إنه لزامًا علينا أن نستخدم الشبكة لمثل هذا الغرض بعد أن رأينا أن البعض يستخدمونها بطريقة غير مناسبة، وقد شوهوا صورة الإسلام، ونريد نحن أن نصححها؛ ولذلك أسسنا موقع «إسلام أون لاين» على شبكة الإنترنت ومقره قطر، ولكنه ليس مشروعًا قطريًّا بل مشروعًا عالميًّا.

سؤال: ألا ترى أننا أخضعنا أنفسنا لنمط الاستهلاك الإلكتروني الذي تسيطر عليه الولايات المتحدة أيضًا؟

لا ... إنني لست أحد ضحايا هذا النمط؛ فأنا أفعل ما أريده على شبكة الإنترنت، ولا أشتري كل يوم حاسبًا آليًّا، ولكن حيث إن أغلب الناس لديهم الآن أجهزة الكمبيوتر الخاصة بهم، فلا بد أن أفيدهم بدلًا من تركهم يقرأون ما يكتبه الآخرون، فلم لا يكون لنا إنتاج على الإنترنت؟

سؤال: من وجهة نظركم إلى أي مدى انغمس العالم العربي واليابان في المادية بحثًا عن السعادة؟

السعادة هي ما ينقص البشرية؛ لأنها تسير الآن في اتجاه الحياة المادية وحسب. إن العالم تمكن من الوصول إلى القمر ويحاول الآن الهبوط على المريخ، ولكن الأهم هو ما يسعدهم على الأرض. والسعادة لا تتحقق إلا عن

طريق الإيمان والدين، ويجب أن يعود الناس إلى الإيمان الصادق الذي يمنحهم السعادة الروحية. إن المرء لا يمكن أن يشتري السعادة ولا يمكن أن يحققها من خلال الأجهزة الإلكترونية وغيرها، فالسعادة تنبع من داخل الإنسان، ومن ثم يجب أن يعود الناس إلى الله وإلى الإيمان بالقيم الأخلاقية، كما يجب على المفكرين والمثقفين والمؤسسات الثقافية أن تدعم هذا الاتجاه، وإلا فإن البشرية ستستمر في الانحدار ولن ينفع العلم في شيء إذا ما استمر ذلك الانحدار.

سؤال: ما هي رؤيتكم للدور الذي يمكن أن يلعبه الإسلام في العالم المعاصر؟ وهل يمكن أن يتسبب الدين في حروب؟

قد تقوم حروب بسبب الدين أو غيره، لكن الحربين العالميتين الأولى والثانية اللتين أودتا بحياة ملايين الأرواح من البشر لم تكونا بسبب الدين، فأوروبا المسيحية كانت في حرب مع نفسها واليابان والصين كانتا في حرب، لكن هذه الحرب لم تنشب بسبب الدين، فبعض الحروب قد تبدو حروبًا دينية ولكن لها أسبابًا أخرى مثل أطماع بعض الملوك والحكام، أود أن أقول: إن الإسلام يتميز بإقامة التوازن بين الماديات والروحانيات دون أن يطغى أحدهما على الآخر ودون أن يستبعد العلم، إن هذا ميزة غير موجودة في الأديان الأخرى.

سؤال: ما هي العلاقة المثلى بين السياسة والشريعة الإسلامية ونحن جميعًا ندرك أن هذا هو أحد الموضوعات التي يثير حولها الغربيون جدلًا، خاصة وأنهم يصرون على فصل الدين عن السياسة كشرط لتحقيق الديمقراطية الحديثة؟

لا يمكن فرض الإسلام على غير المسلمين، ولا يمكن فرض الإيمان على أحد، وجميع الأديان تحث على الفضيلة، وقوانين الأحوال الشخصية لغير المسلمين تطبق على شئونهم، ويتبقى القانون المدني والجنائي، ويقول بعض علماء المسلمين إن القوانين الجنائية في الإسلام ينبغي أن تطبق على غير المسلمين، إلا أن القانون المدني ينظر إليه المسلمون على أنه الشريعة، وعلى غير المسلمين أن ينظروا إليه على أنه مجرد قانون يماثل القوانين المدنية التي استوردناها من فرنسان أو من بريطانيا، والذي تقبله الأغلبية ينبغي أن يسود والديمقراطية هي حكم الأغلبية.

سؤال: هل تخطط لزيارة اليابان في القريب؟

لقد زرت اليابان ثلاث مرات عام (1975م) و(1977م) و(1997)، وزرت مدنًا ومؤسسات عدة، وكانت الزيارة بناءً على دعوة من مسلمي اليابان. أرجو أن تبلغهم تحياتي.

القرضاوي يوافق على الهدنة مع إسرائيل

طلبت من أمير قطر غسل يديه بعد مصافحة بيريز

«أسئلتك بالغة الصعوبة والقسوة هذه المرة» ... هكذا علَّق فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي - الداعية الإسلامي الكبير، ورئيس مركز بحوث السنّة بجامعة قطر - بعد أن أنهيت حواري معه الذي جرى بمكتبه قبيل ساعات من قيامه برحلة عمل إلى المملكة العربية السعودية ... وقد تأجل موعد هذا الحوار أكثر من مرة بسبب سفريات الشيخ العديدة خارج قطر التي يقيم بها

منذ أكثر من (35) عامًا.

ورغم قسوة وصعوبة الأسئلة فإنه لم يرفض الإجابة عنها، وانطلق مفندًا الاتهامات والرؤى المغايرة لرؤيته.

أجمع الفقهاء ورجال الإفتاء على حرمة زواج المسيار لما يسببه من اختلاط للأنساب وفساد خلقي واجتماعي وضياع لحقوق الزوجات، كما اعتبر العديد منهم أنه باب من أبواب الزنا، وقد كان لفتواكم بحل زواج المسيار صدى واسع ... ألا ترون أنكم بذلك خالفتم إجماع العلماء وساعدتم على انتشار البلبلة بين الرأي العام العربي والإسلامي؟

هذه: دعوة مرفوضة، فليس هناك إجماع من العلماء على رفض ما يسمى بزواج المسيار، بالعكس، إن عددًا من العلماء، وأكاد أقول معظمهم يوافق على رؤيتي لزواج المسيار والحقيقة أنا لا تهمني التسمية، فالعبرة في الأحكام الشرعية للمسميات والمضامين وليس للأسماء والعناوين، فهذا الذي يسمى زواج المسيار ليس زواجًا جديدًا، وإنما هو الزواج الذي يقوم فيه الزوج بالتوجه إلى بيت الزوجة ... وليست المرأة التي تتوجه إلى بيت الرجل، ومن هنا المرأة تكون باحثة فقط عن «الستر» «ضل رجل ولا ضل حيط» حسبما يقول المثل الدارج، وهي في هذه الحالة لا ترغب في أن ينفق عليها الرجل أو يوفر لها سكنًا، وإنما تريد رجلًا يستر عليها فتتزوج من هذا الرجل، وأحيانًا أخرى تكون المرأة لديها أطفال من زوج توفي وتتزوج من رجل يأتي إليها في بيتها، وذلك رأيته بعيني كثيرًا في قريتنا بمصر، وفي عصرنا الراهن هناك نساء بعضهن مطلقات، ونسبة الطلاق للأسف عالية جدًّا في بلاد الخليج، وكذلك هناك أرامل مات عنهن أزواجهن، وهناك عوانس فاتهن

قطار الزواج بفعل التعقيدات التي أدخلها الناس وعسّروا بها ما يسّر الله. وكثيرات من هؤلاء موظفات لديهن المال والبيت ويرون رجلًا متزوجًا من قبل، والرجل لا يريد أن ينقلها إلى بيت زوجته؛ لأنه كما تعلم أصبح في عصرنا - للأسف - تعدد الزوجات كأنه جريمة منكرة وحكم بالإعدام على الزوجة الأولى؛ لذلك فإن الرجل يتفق مع المرأة على الزواج بها ويأتي إليها في منزلها من خلال عقد شرعي - وهذا ما أكدت عليه مرارًا - وبشهود وبقبول وإيجاب ... وهو عقد غير مؤقت ويتسم بالديمومة وليس كزواج المتعة والمحدد بفترات زمنية، وهو عقد كذلك تترتب عليه آثاره.

وماذا بخصوص حقوق أبناء هذا الزوج؟

أبناء هذا الزوج شرعيون، فهذا الزواج في المملكة العربية السعودية والإمارات يسجل في المحاكم الشرعية، كل ما في الأمر أن الزوجة لا تريد بيتًا ولا نفقة ... فما المانع في هذا الزواج؟ ما المانع من إشباع حاجات فطرية بشرية لدى كثير من إخواننا وأخواتنا المسلمات، البعض يقول وكأن المقصود بهذا الزواج هو الناحية الجنسية فقط؟ حتى ولو فرض أنه كذلك فإن المسألة الجنسية لها اعتبارها في المنظور الإسلامي.

السلام مع إسرائيل:

قضية أخرى ما زالت تشهد جدلًا وتتعلق بموقفك من السلام مع إسرائيل، فبينما أفتى العديد من العلماء بجواز الصلح مع إسرائيل رفضتم هذه الفتوى، فهل ذلك خلاف شرعي أم أنها معارضة من أجل المعارضة واختلاف من أجل الاختلاف يساهم انتشارك الإعلامي في طرحه بقوة على الرأي العام؟

إنني أدهش لمثل هذا الطرح، لقد شاركت في اجتماع للمجامع الفقهية بالكويت قبل سنوات، وقد صدرت فتوى من العلماء الذين شاركوا في هذا الاجتماع ووقّع عليها أكثر من (300) عالم من مختلف أنحاء العالم الإسلامي بتحريم الصلح مع إسرائيل بالطريقة التي تجرى الآن، كما شاركت قبل بعضة أسابيع في اجتماع المجمع الفقهي بالبحرين وأصدر العلماء فتوى أخرى جديدة تؤكد الفتوى القديمة ووقَّع عليها عدد كبير من العلماء أيضًا ... وبالتالي فإن دعوى الإجماع على جواز الصلح مع إسرائيل غير صحيحة ... إنك تتحدث عن علماء يتأثرون بأوضاع معينة تكون سببًا في فتواهم أو لعلهم لا يعرفون الواقع معرفة صحيحة ... لقد ناقشت الشيخ عبد العزيز باز في فتواه على صفحات الصحف وقتها وهو من العلماء البارزين المرموقين ومن أقرب العلماء إلى نفسي، لكن قلت إن فتوى الشيخ ابن باز حفظه الله مبنية على عدم معرفة بفقه الواقع، إنه لم يعرف بالضبط ما وراء هذا الصلح، والمفتي يجب أن يفقه النصوص وأدلتها ويفقه الواقع حتى تكون فتواه سليمة، وما اقتنع به أن فتواي بعدم جواز الصلح مع إسرائيل مبنية على أساس أن أرض الإسلام لا يجوز التنازل عنها بصورة اختيارية، فهذه الأرض لا يملك أحد أن يتنازل عنها، إنها أرض الأمة الإسلامية وروتها دماء المسلمين من الصحابة وتابعيهم.

لكن يا فضيلة الشيخ ... لقد أقر الشيخ أحمد ياسين الزعيم الروحي لحركة حماس بإمكانية قيام هدنة مع إسرائيل ...

الهدنة شرعًا أمر جائز وأنا لا أمانع في ذلك فالهدنة تعني أن نكف عن القتال، وهذا ما فعله صلاح الدين مع الصليبيين، وهي بذلك تختلف تمامًا عن

الصلح الذي يعني بوضوح اعترافًا صريحًا بأن ما استولى عليه اليهود من أرضنا أصبح حقًّا لهم فهذا لعب بالدين، إنه ليس من الشرع في شيء ويعني أننا أصبحنا نفتي بالهوى وأننا أصبحنا فقهاء السلاطين أو علماء السلطة.

في السياق ذاته ... فإن فضيلتك عندما انعقد المؤتمر الاقتصادي للشرق الأوسط في نوفمبر (1997م) لم تعلن معارضتك له رغم أن إسرائيل شاركت فيه وقاطعة العرب.

هذا غير صحيح، فقد أعلنتُ رفضي القاطع للمؤتمر في خطبة الجمعة ... والتي بُثّتْ مباشرة على الهواء من تليفزيون وإذاعة قطر، والتي ألقيها بالمسجد الكبير، وهو أحد المساجد التابعة للدولة، كما أعلنتُ هذا الموقف عبر قناة الجزيرة ويعلم المسئولون في قطر موقفي هذا ويقدرونه. وفي الحقيقة لم يلمني أحد على موقفي أو حتى يوجه إليّ مجرد عتاب. وأنت تعلم حينما زار شيمون بيريز - رئيس الوزراء الإسرائيلي - الدوحة أعلنتُ على المنبر أنه على الذين صافحوا بيريز ووضعوا أيديهم في يده أن يغسلوا هذه الأيدي سبع مرات ... إحداهن بالتراب.

في حديث سابق لـ «الأهرام العربي» قلت ردًّا على سؤال حول ما ذكره أحد الصحفيين: إن إخوان قطر وراء عملية الأقصر الإرهابية، هذا كلام يمثل ضربًا من الهذيان ولا يستند إلى حقيقة، فالإخوان يدينون العنف وينكرونه. ومن هم إخوان قطر، هل المقصود أنا؟ ربما أكون أبرز من يمثلهم في قطر، لكنني أدين العنف بكل قوة ووضوح وأدنتُ عملية الأقصر ...

وهنا تعلن فضيلتك صراحة أنك أبرز من يمثل إخوان قطر لماذا أعلنت

في حوارات عديدة سابقة أخرى أنك لست عضوًا بالإخوان ولا علاقة لك بالتنظيم الدولي؟

بداية أقول: إنني أدنت عملية الأقصر في خطبة جمعة كاملة، أنكرت قتل الأبرياء المدنيين والسياح بشدة، وأرى أن ذلك جريمة في دين الله وفي دنيا الناس ... أما فيما تسألني عنه فأقول لك: أنا لست من الإخوان تنظيميًّا، ولكن من الإخوان فكريًّا، وأنا لا أتنكر لدعوة الإخوان، وربما يعتبرني الإخوان مفتيهم أو منظرهم، وهم يستفيدون من كتبي، وأنا مع فكرة الإخوان الكلية والعامة في نصر الإسلام وتحقيق أهدافه، وفي إقامة المجتمع الإسلامي، وفي الحماسة لكل ما هو إسلامي ومقاومة التيارات التي تريد أن ترتد بالأمة القهقري، وأنا أمثل الإخوان في هذه القضايا ... ولكت ليست لي علاقة تنظيمية بهم.

بعد أن كثر الحديث حول فوائد البنوك، وهل هي ربا محرم أم أنها حلال اعتبرت دار الإفتاء المصرية أنها حلال وفقًا لفتاوى الشيخ نصر فريد واصل، واعتبر شيخ الأزهر أنها أيضًا حلال، وقال: إنه لا توجد بنوك إسلامية وغير إسلامية، ومع ذلك أنت تصر على أن فوائد البنوك حرام، وأن البنوك الإسلامي هي الحلال وبعيدة تمامًا عن الربا. فهل تنطلق فتواك من الأقوال التي تتردد حول مساهمتك في رأس مال العديد من البنوك الإسلامية؟

نعم أنا أساهم في بنوك إسلامية، لكنها مساهمات رمزية. وأنا أرى أن ذلك نوع من التشجيع لهذه المصارف والمؤسسات الإسلامية، وقناعة مني بأن هذه البنوك تمثل التوجه الإسلامي في التحرر من الفوائد الربوية التي ابتلانا بها الاستعمار. فالبنوك التقليدية القائمة في بلادنا لم نصنعها، وإنما هي من

مخلفات الاستعمار الرأسمالي وأنظمته الربوية ... وأثبتنا لهم نظريًّا وعمليًّا أن إقامة بنوك لا تمنح فوائد ممكنة، والبنوك الإسلامية تتسع لكل الأنشطة المصرفية والمالية. وعندما أفتي بتحريم فوائد البنوك الربوية فلست وحدي الذي أفتي بذلك ... وإنما سبقني في ذلك مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر في عهد الشيخ حسن مأمون، وفي وجود علماء يمثلون (35) دولة، وأكدوا وقتها أن فوائد البنوك هي الربا الحرام، كما أكدت ذلك مجمعات فقهية عديدة.

البعض يقول إنك تحولت إلى واحد من مشايخ الفضائيات العربية، وأنك لم تحقق شهرتك إلا بعد اعتقالك في مصر أوائل الستينات لانتمائك لجماعة الإخوان المسلمين «المحظورة» ثم تلقفتك وسائل الإعلام العربية التي كانت تقف ضد مصر في المراحل الأولى من عملية السلام. ونصبتك شيخًا لمصالحها السياسية، واستفدت أنت من هذا الموقف لتحقيق مكاسب مادية وشخصية؟

إنني لم أسع إلى هذه الفضائيات ولكن مشاركتي فيها تفرض عليّ فرضًا، وأنا لا أستطيع أن أعتذر عن عدم المشاركة، فمنذ أن نشأ تليفزيون قطر قبل ثلاثين عامًا وأنا أقدم برنامجًا دينيًّا كل يوم جمعة اسمه «هدي الإسلام» ... وأحسب أنه برنامج مشاهد حتى الآن، وعند التفكير في إنشاء قناة الجزيرة في قطر رجاني المسئولون عنها أن أشارك في برنامج «الشريعة والحياة»، ونظرًا لأنني في قطر قلت: لا مانع، خصوصًا أنني على صلة بالمسلمين في أوروبا وأمريكا، وأرى أن هؤلاء محتاجون إلى فقه التيسير الذي أتبناه؛ من أجل ذلك قبلت أن أعمل في برنامج «الشريعة والحياة» بالجزيرة، ولم أكن أرغب في أن أذكر ذلك لأنني لا أحصل على مليم واحد من قناة الجزيرة،

وذلك ردًّا على ما ذكرته في السؤال أنني استفدت ماليًّا من هذه القنوات.

ألا تلاحظ فضيلتك هذا العزف الأمريكي على وتر ما يسمى بالاضطهاد الديني للمسيحيين في مصر ... وثمة حملات غربية عديدة على هذا الصعيد. كيف ترى هذه المسألة؟

لم يحدث في تاريخ مصر أن كان هناك اضطهاد ديني أو طائفي، وكانت دائمًا الأخوة والوحدة الوطنية هي التي تسود المجتمع المصري ... دومًا ولم يحدث ذلك لهذه الفتن إلا في عهد الاستعمار الذي أراد أن يلعب بهذه الورقة ويتخذ منها أساسًا للتدخل في شئون مصر لكن إخواننا الأقباط كانوا أذكى وأكثر وطنية ولم يستجيبوا لهذه المكائد الأجنبية.

حوار في التحديات الجادة أمام العقيدة (1)
الفقع التقليدي ساند المسرفين في الطلاق

يتناول الجزء الأول من هذا الحوار قضايا ساخنة أخرى مثل: الزواج العرفي وزواج المسيار والمتعة، ومفهوم الاختلاط ومصير مؤسسة الزواج المتعارف عليها إسلاميًّا، بالإضافة إلى قضية «الخلع»، وهي الآن حديث الشارع المصري والمجتمعات الإسلامية وغيرها من القضايا.

ويتناول الجزء الثاني الذي تنشره «زهرة الخليج» الأسبوع المقبل، نظرة الإسلام إلى الثقافات الموروثة والوافدة، وموقفه من فوائد البنوك، والاستنساخ والتداوي ...

الزواج بالإنترنت:

جاء في تعريف باب الزواج ضمن خدمة الإسلام على الإنترنت: أنه خدمة مجانية لمن يود من الجنسين الإعلان عن رغبته في الزواج. ما مدى الحاجة إلى هذا الباب في زمن أصبح الاختلاط بين الجنسين هو القاعدة؟

صحيح إن الاختلاط أصبح موجودًا في هذا الزمان، ولكن مع ذلك يوجد كثير من الرجال الذين لا يجدون المرأة التي تناسبهم، ويوجد كثير من الفتيات لا يجدن الرجل الذي يلائمهن. وكثرت العوانس في البيوت وكثر الشباب الذين لا يجدون الزوجة. ومهمة الموقع أن يفسح المجال أمام الشاب للإعلان عن رغبته ومواصفاته المطلوبة في الزوجة المنشودة، وكذلك الفتيات، وأن يوصلهم فقط بعضهم ببعض، وعليهما أن يتّما الأمر. فالبرنامج لا يعقد زواجًا، وكل مهمته هي توصيل رأسين في الحلال، بمعنى أنه يسهل لهما طريقة التعارف. وأعرف من أقاربنا من تزوج عن طريق الإنترنت، حدث بينهما بالصدفة حوار عبر الإنترنت حيث كان الشاب يدرس في أمريكا، وتواصلا وتعارفت العائلتان وأتموا الزواج. وهذا هو المقصود بهذه الخدمة.

زواج متنوع:

زواج المسيار، الزواج العرفي، الزواج السري، زواج المتعة، مسميات لأشكال عديدة من الزواج، ما هو حكم الشرع في كل منها، وكيف عرفناها؟

الزواج العرفي يقصد به الزواج غير الموثق، الذي ليس مسجلًا عند القاضي الشرعي أو عند المأذون، وهو زواج مستوف أركانه الشرعية فيه إيجاب وقبول ومهر وشهود، وفي بعض البلاد يكون فيه ولي أيضًا، بينما

بعض البلاد لا تشترك الولي فالأحناف لا يشترطون الولي، ولكن يشترطون أن تتزوج المرأة بكفء لها، ولو تزوجت بغير كفء؛ من حق أوليائها أن يعترضوا، كأن تكون مثقفة، وتزوجت رجلًا أميًّا، أو لو تزوجت رجلًا من مستوى أدنى بكثير من مستوى أسرتها، أو نحو ذلك فمن حق أوليائها أن يعترضوا.

فالزواج العرفي هو الزواج الذي يتم بشروطه الشرعية، لكنه لا يسجل لأسباب معينة عند الزوج أو عند الزوجة، كأن يخشى الزوج من زوجته الأولى، أو نحو ذلك، فهو يفعل هذا ويشهد عليه الشهود ويكتب ورقة للزوجة لكنه زواج غير مسجل، وهذا كان زواج المسلمين طوال العصور الماضية، ولم يكن الزواج يسجل في محكمة أو عند مأذون، ولكن في العصر الحديث وجد أن الناس قد يتنكرون، فقد يتزوج الرجل المرأة ثم يقول لها: لم أتزوجك، أو تدعي امرأة على الرجل أنه زوجها، وتقول بعد وفاته مثلًا: إنه زوجها، وربما تحضر شهودًا على ذلك فترث من تركته؛ ولذلك رؤي أنه من المصلحة أن يكون الزواج موثقًا مسجلًا، ولذلك عندما ترفع زوجة على زوجها دعوى نفقة، وكان زواجهما عرفيًّا فإن المحكمة لا تسمع هذه الدعوى.

في السر:

وماذا عن الزواج السري؟

الزواج السري يقصد به عند بعض الناس الزواج العرفي، فالزواج السري عندهم هو الزواج العرفي، ويطلقون عليه السري على أساس أنه غير معلن، إنما فيه الحد الأدنى من الإشهار وهو الشهود، وفي مذهب المالكية

يشترط ألا يقول الزوج عند العقد: اكتموا هذا. فإذا قال عند العقد: اكتموا هذا الزواج. فإنه يبطل عندهم، إنما إذا قال بعد العقد مثلًا: «إنه من المصلحة عدم إشاعة الخبر»، فإن العقد صحيح، والمهم أنه عند العقد لا يوصي بالكتمان، وإذا كان ما يقصد بالزواج السري هو الزواج العرفي غير المسجل وغير المعلن إعلانًا فهذا زواج صحيح.

أما إذا كان المقصود بالزواج السري ذلك الذي يتم بين الرجل والمرأة، كأن تقول له: «زوجتك نفسي» أو «قبلت»، وغيره دون شهود، فهذا ليس زواجًا؛ لأنه غير مستوف أركان العقد، وليس فيه الحد الأدنى من الإشهار وهو الشهود؛ فهذا الزواج حرام.

أما زواج المتعة فهو زواج بين الرجل والمرأة مدة معينة بمبلغ معين، كأن يقول لها: «تزوجتكِ مدة سنة بمبلغ كذا»، وهو مُحرَّم عند أهل السنة، ويجيزه أهل الشيعة.

وماذا عن زواج المسيار؟

إنه زواج ينتقل فيه الرجل إلى بيت المرأة ولا تنتقل فيه المرأة إلى بيت الرجل، وسمي مسيارًا؛ لأن الرجل يسير إلى المرأة من حين إلى آخر، وكثيرًا ما يسير إليها في النهار، وكأن يكون عند زوجته الأخرى ليلًا حتى لا تعرف بأنه متزوج، فيذهب إلى هذه في النهار وتلك في الليل، أو نحو ذلك.

إنه زواج شرعي حتى إن بعض البلاد تسجله وتوثقه، مثل: المملكة العربية السعودية، وفي هذا الزواج تقول الزوجة للزوج: إنها لا تريد منه شيئًا، فهي لديها أموالها من وظيفة أو إرث، ولكن ربما فاتها القطار أو

ترملت أو طُلقت وهي في سن مبكرة فأصبحت بحاجة إلى «ظل رجل» كما يقولون، فتتزوج الرجل المناسب لها وتقول له: إنها متنازلة عن النفقة والسكن ويتفقان على ذلك.

والواقع أن ذلك كان يقع في مجتمعاتنا في الماضي، وهذا هو زواج المسيار، وهو زواج مستوفي الشروط من: شهود، ومهر، وإيجاب وقبول، وفي بعض الحالات يكون الولي نفسه موجودًا، فإذا نظرنا إلى الزواج العرفي فهو زواج شرعي من حيث المشروعية، وكذلك زواج المسيار، وحتى زواج المتعة عند الشيعة ليس زواجًا كاملًا؛ ولذلك يبيحون للرجل أن يتزوج متعة وعنده أربع نساء؛ لأن زوجة المتعة لا تعتبر من الزوجات الأساسيات اللاتي لهن حقوق كاملة.

عسر العسل:

ولماذا ظهرت هذه الأشكال من الزواج؟

زواج المسيار والزواج العرفي يحققان أهدافًا معينة لبعض الناس في مراحل معينة، وهذا من السعة الموجودة في الشريعة والمرونة الموجودة في الفقه الإسلامي، حيث يمكن تحقيق احتياجات الناس في ظروف معينة، والزواج العرفي موجود منذ زمن، ففي الماضي كان الناس يعرفون أن فلانًا تزوج فلانة دون تسجيل أو ورقة، وربما في عصرنا هذا اتسعت حاجات الناس وكثرت مشكلاتهم وأصبحت نفقات الزواج غير مقدر عليها عند الكثيرين من الشباب، حيث لا يستطيع الشاب في أول حياته أن يحقق هذا الأمر؛ لأنه يحتاج إلى المهر وإلى تأثيث البيت وإلى شبكة وإلى احتفالات عديدة، وكل هذه تكاليف عسَّر الناس بها ما يسَّر الله، فكانت النتيجة أن بعض

الناس أخذوا يفكرون في هذه الأنواع من الزواج.

ولكن أريد أن أنبه إلى شيء ما يتعلق بالزواج العرفي، وهو ما يجري الآن في بعض البلاد مثل مصر، وذلك في الجامعات من تزوج الطلاب والطالبات زواجًا عرفيًّا، ولكنه في الحقيقة ليس الزواج العرفي المألوف فهذا الزواج ليس فيه إلا الاستمتاع الجنسي فقط، ولا يريد الزوج أن يستمر مع زوجته بعد ذلك، فهو زواج مدة الطلب فقط، ولذا فهما يكتمان ذلك، حتى عن أقرب الناس إليهما، ثم تصبح الزوجة بعد ذلك في مشكلة بعد أن يطلقها؛ لأنها لم تعد بكرًا ولا تستطيع أن تصارح أهلها بما حدث فتمتنع عن الزواج. وهذه آفة كبيرة، وهذا النوع من الزواج لا أقره، ولكنني أقر ذلك النوع من الزواج العرفي الذي كان يحدث في القِدم ويستمر الزوج مع زوجته سنوات طويلة، وقد ينجب منها ويعترف بالأبناء.

وعلمتُ أن قانون الأحوال الشخصية الجديد في مصر اعترف بالزواج العرفي في أمر واحد وهو أن تطلب المرأة الطلاق. وهذا معقول جدًّا لأنني أعرف حالة معينة أراد أحد الآباء فيها أن يزوج ابنته بخاطبها زواجًا عرفيًّا في فترة الخطبة، حتى يدخل البيت ويستطيع أن يخلو إلى خطيبته، وأن تراه أمها دون حرج، ورأى الوالد لذلك أن يعقد زواجًا عرفيًّا بين ابنته والشاب، خلال هذه الفترة حتى يتعرف كلاهما على الآخر، ولكن بعد مدة وجد أنهما لا يصلحان لبعضهما البعض، فطلب من الشاب أن يطلقها فرفض إلا إذا دفع له مبلغًا كبيرًا من المال. وكنا في حيرة ماذا نفعل؟ فلو ذهبت الفتاة إلى المحكمة فلن تقبل دعواها لأن الزواج عرفي، ولكن القانون الجديد يجعل المحكمة تنظر في مثل هذه الحالات.

معوقات الزواج الشرعي:

وماذا عن مؤسسة الزواج الشرعي بشكلها المعروف؟ هل يعني ظهور تلك الأنماط من الزواج أنها تواجه أزمة؟ أم أنها من وجهة نظر البعض، أصبحت غير قادرة على مواكبة احتياجات ومتطلبات إنسان هذا العصر؟

لا أجد أن هناك خطرًا ولكني أجد أن هناك مشكلات تعوق الزواج الشرعي الطبيعي المألوف والمعتاد، ومنها: مشكلات اقتصادية مثل التعسف في طلب مهور عالية جدًّا كما هو في بلاد الخليج، وبلاد الشام. وأحيانًا العكس في بلاد مثل: مصر وباكستان حيث يطلب من الأب أن يجهز بناته ويتكفل بجزء كبير من نفقات الزواج، إن لم تكن جميعها، وهناك أحيانًا مشكلات اجتماعية، مثل تلك الموجودة في بلاد الخليج حيث لا يتزوج الخليجي إلا خليجية والبنات يشكين من هذا الأمر الذي قد يكون بالنسبة للشباب فيه حماية لبناتهم، أما بالنسبة للفتيات فإنه لا يحقق شيئًا حينما يتقدم للفتاة من هو سوري أو مصري أو سوداني أو عراقي وهو لائق بها ومناسب لها من ناحية مركزه المالي والاجتماعي.

وهناك أحيانًا أيضًا اعتبارات اجتماعية كأن يقول: هذا من أسرة أدنى من أسرتنا، أو من قبيلة دون قبيلتنا. أو أن لونه أسمر. هذه أيضًا مشكلات لا بد من النظر فيها. وهناك النفقات الهائلة التي يتكلفها الناس في الزواج.

وهنا في دولة الإمارات، فكرة جيدة لصاحب السمو الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الدولة، وهي إنشاء صندوق للزواج يساهم في حل مشكلات الزواج وإعانة غير القادرين وتيسير الأمور وتسهيل الصعاب بالنسبة لهم.

وهذا ما ينبغي أن يحدث في كل بلد على قدر استطاعته.

الخُلع:

ما هو المقصود بالخلع؟ وماذا أضاف للمرأة والأسرة، واعتماده ضمن قانون الأحوال الشخصية في مصر؟ ألا يعني القبول به إن الزوجة كانت محرومة بموجب القانون من أحد حقوقها الشرعية التي منحها لها الإسلام؟

الخلع هو تمكين المرأة من أن تخلع نفسها من الارتباط بالزوج، وهو مأخوذ من خلع الثياب. قال الله تعالى: **{هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ}** [البقرة: 187] – صدق الله العظيم، وسُمي الخُلع أحيانًا: الفدية، الافتداء، أخذًا بما جاء في القرآن الكريم: **{وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَأْخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ شَيْـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا فِيمَا ٱفْتَدَتْ بِهِۦ}** [البقرة: 229] صدق الله العظيم، أي أنه لا يحل للرجل أن يأخذ من المرأة شيئًا في حالة اضطراب الحياة الزوجية وأن يخافا ألا يؤدي كل منهما حقوق هذه الحياة الزوجية، ويكون الخُلع من قبل الزوجة، بمعنى أنها هي التي تريد إنهاء العلاقة بينها وبين الرجل. أما إذا كان الرجل هو الكاره للمرأة ويُريد أن يتزوج امرأة أخرى، فلا يجوز له أن يُضيق عليها ويؤذيها لتفتدي نفسها منه، فهذا حرام. فإن كان الرجل هو الكاره للمرأة لا يجوز له أن يأخذ منها شيئًا، وإنما يأخذ منها في حالة كراهتها وبُغضها له.

لما جاءت امرأة ثابت بن قيس، وهو أحد الصحابة وقالت: «يا رسول الله، إني لا أعيب على قيس في خُلق ولا دين، ولكني أكره الكفر في الإسلام». وكانت تعني: كفر العشير، فهي لا تريد أن تكفر هذا العشير ولا

تؤدي إليه حقوق الزوجية، ولذلك تريد فراقه. وفي بعض الروايات إضافة: «إني لا أطيقه بغضًا»، فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم : «**ماذا أعطاكِ؟**» قالت: «أعطاني حديقة». قال صلى الله عليه وسلم : «**أتُردين عليه حديقته؟**» قالت: «نعم». وفي بعض الروايات قالت: «نعم، وزيادة». فقال النبي صلى الله عليه وسلم لزوجها: «**اقبل الحديقة وطلّقها تطليقة**».

فهل قوله صلى الله عليه وسلم : «**اقبل الحديقة**» من باب المشورة على الرجل أم من باب الإلزام؟ قال أكثر الفقهاء: إنه من باب المشورة إليه والنصيحة له، وليس من باب الإيجاب والإلزام له. ولذلك قالوا: إن الخُلع لا يتم إلا بموافقة الزوج.

وهذا هو ما كان ساريًا في المدة الماضية حيث كان الخُلع يتم إذا وافق الزوج. والجديد في قانون الأحوال الشخصية «المصري» أنه أخذ بالرأي الآخر الذي يقول: إن من حق القاضي أن يلزم الزوج بالخُلع. وهنا جرى الكلام واعترض المعترضون. وأنا لا أرى مانعًا من أن يحكم القاضي بالخُلع، ولكن بعد أن يتريث في هذا؛ لأن المرأة تتسرع في النفرة من الرجل، ونجد في الحياة أنه لمجرد أن تغضب الزوجة تقول لزوجها: طلقني! فالمرأة يمكن أن تتسرع وتهدم بيتها من أجل عاطفة طارئة. والطلاق هو أبغض الحلال إلى الله، والتفريق بين المرء وزوجه من أعمال السحرة الكفرة ومن الكبائر. فالرجل لا ينبغي أن يسارع في الطلاق، والمرأة لا ينبغي أن تسارع في طلب الخُلع لِمَا جاء في الحديث الشريف: «**أيما امرأة سألت زوجها الطلاق من غير ما بأس فحرام عليها رائحة الجنة**»؛ لأنها تهدم هذه المؤسسة وتنقض هذا الميثاق الغليظ فحرام عليها رائحة الجنة. وجاء في

الحديث أيضًا: «**المختلعات هن المنافقات**». والمقصود بذلك الزوجة التي تطلب الخُلع بلا سبب. وهذا الحديث ينفر المرأة من نقض الحياة الزوجية والإبقاء على هذه المؤسسة.

محاذير:

هل تجد محاذير في الخُلع؟

إن كثيرًا من العلماء يخشون من أن هذا يفتح الباب أمام أي امرأة فتلطب الخُلع من زوجها، ويُسارع بعض القضاة المتعجلين فتنفصل عروة الحياة الزوجية وهذه الرابطة المقدسة. وينبغي كذلك، التريث في الاستجابة لطلب المرأة الخُلع، حتى يتأكد القاضي من أن الحياة الزوجية بينهما مستحيلة وليست مجرد غضب مؤقت أو أن المرأة أغواها زميل لها في العمل أو جار لها، أو شيء من هذا وتريد أن تترك زوجها وأحيانًا زوجها وأولادها. إنّ قانون الخُلع أضاف للمرأة الكثير، وليس معنى هذا أن الشريعة تغيرت أو أن حقًّا شرعيًّا لها كان غائبًا، وإنما هو اجتهاد جديد في ضبط أحكام الشريعة.

الفهم الخاطئ مسئولية المجتمع:

هناك مجموعة من الامتيازات التي خصّ بها الله ععع الرجل دون المرأة مثل: حق الطلاق، وتعدد الزوجات، والقوامة، والحصة في الميراث. وما نلاحظه في مجتمعاتنا أن الرجال أصبحوا يبالغون في تفسير تلك المزايا والصلاحيات بما يتماشى مع أهوائهم. كيف ترون «المفهوم الشعبي» لتلك المزايا؟

المفهوم الشعبي هذا لا يُسأل عنه الإسلام إنما يُسأل عنه المجتمع،

والمجتمع مطالب بأن يتعلم الإسلام الصحيح وعلى العلماء والمربين أن يثقفوا الشعب ثقافة إسلامية صحيحة، وأن ينوروا الشعب بالثقافة الإسلامية الصحيحة. فهذا بعض من آثار الثقافة الغازية، ويجب أن نخرج من هذه الشقة. ولا ينبغي للرجل أن يفهم أنه مطلق العنان يطلّق متى شاء، ويتزوج متى شاء؛ فهذه أشياء لها ضوابطها، والطلاق لا يجوز في كل حالة، وهو من الكبائر إذا لم يكن لسبب معين، والتفريق بين الزوجين من أكبر الذنوب لكن المسلمين ضيعوا للأسف، الحق وأسرفوا في استعمال الطلاق، وساند الفقه التقليدي ذلك بحيث إن الرجل إذا حلف في السوق على شخص آخر بالطلاق أن يفعل كذا وكذا ولم يفعل إنَّ امرأته تصبح «طالقًا». وأحيانًا «طالقًا» بالثلاث، أي ليس له حتى حق الرجعة! وهذه الاجتهادات موجودة وسائدة ولكن الإسلام ضيق في الطلاق. وقد أسرف المجتمع في استخدام الطلاق في غير موضعه، وكان الشاعر العراقي معروف الرصافي قد وقع في مشكلة مشابهة حينما طلق امرأته بالثلاث عقب مشادة معها، وأفتاه الجميع بوقوع الطلاق وأنه لا سبيل لعودتها إليه إلا بعد زواجها بما يدعى «المحلل» وهو ملعون في الإسلام، حتى أفتاه البعض بمذهب ابن تيمية. وحتى بالنسبة لتعدد الزوجات فهذا ليس متاحًا للرجل كلما شاء وإنما لا بد أن يكون قادرًا على النفقة على بيتين، ولا بد أن يكون قادرًا على إحصان الزوجين، ولا بد أن يكون واثقًا من العدل بينهما: **{فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُواْ فَوَٰحِدَةً}** [النساء: 3] صدق الله العظيم.

حوار في التحديات الجادة أمام العقيدة (2)

الشيخ القرضاوي

العلاج بالقرآن كما يعرض اليوم بدعة لم تمارسها عصورنا الزاهرة

تناول الجزء الأول من هذا الحوار الممتع مع الدكتور يوسف القرضاوي، موقف الإسلام من الأحوال الشخصية، مع اهتمام خاص بالزواج بأنواعه وما يقرّه الشرع الإسلامي، أو يرفضه، بالإضافة إلى الطلاق وتعدد الزوجات، كما عرض للموقف من «الخلع» بما يثيره من جدال في الوقت الحالي.

ويركز الجزء الثاني هنا على قضايا معاصرة عدة، مثل العلوم والطب والتكنولوجيا، ومفهوم الأخلاق، والسلوكيات الصحيحة.

ويضع الشيخ القرضاوي في هذا الحوار النقاط على الحروف فيقدم الموقف الإسلامي الواضح، انسجامًا مع حقيقة وضوح العقيدة الإسلامية ذاتها.

ثقافة مغلوطة وأخرى غازية:

تحدثتم في مقدمتكم للكتاب التعريفي بخدمة «إسلام أون لاين» عبر شبكة الإنترنت عن نوعين من الثقافات ينبغي التصدي لهما: الأول هو الثقافة الموروثة المغلوطة، والنوع الثاني هو الثقافة الوافدة الغازية. فما هو المقصود بذلك؟ وكيف تقيمون حجم خطر كل منهما؟

ما أريده بالثقافة الموروثة المغلوطة هو التخلف في تاريخنا الإسلامي.

ونحن نعلم أن تاريخنا الإسلامي قد مر بمراحل. فهناك عصر الازدهار والتجديد والاجتهاد والإبداع في العلم، وفي الأدب، والتطور في الصناعة، ثم جاءت عصور فيها انحطاط وتخلف، كانت لها رواسب في الأفكار، مثل شيوع عقيدة الجبر التي ترى أن الإنسان ليس له إرادة ولا اختيار، وشيوع الاعتقادات الشركية، والاعتقادات في القبور والأولياء والأضرحة، وتفسير التوكل على أنه تواكل، وإهمال الأخذ بالأسباب، وتفسير الزهد على أنه إعراض عن الحياة وعن الإنتاج للحياة والحبس العلني للمرأة والتضييق عليها، حتى رأينا بعضهم يقول: إن المرأة الصالحة لا تخرج من بيت أبيها إلا مرتين: مرة إلى بيت زوجها، ومرة إلى قبرها.

وهذه الأشياء هي ما أقصده بالثقافة الموروثة المغلوطة، ثقافة عصور التخلف، وهي لا تمثل الثقافة الإسلامية الصحيحة، ولا تمثل الإسلام كما هو في ينابيعه الصافية، وكما فهمه الصحابة والتابعون لهم بإحسان والقرون الأولى.

أما الأمر الثاني، وهو الثقافة الوافدة الغازية فقد أضيفت إلى الثقافة الموروثة المغلوطة، وهي ثقافة عصور الانحطاط، وجاءت هذه الثقافة الوافدة إلينا في فترة ضعفنا ووصول الحضارة الغربية إلى الأوج، ودخول الاستعمار الغربي إلى بلاد المسلمين، وتمكنه منهم، وانبهار المسلمين بهذه الثقافة أو هذه الحضارة، وما حملته من أفكار ومفاهيم وتقاليد وشرائع وأنظمة. وأصبنا في فترة الانبهار هذه بأشياء كثيرة، فهذه الثقافة لها فلسفة معينة، ومن ضمن فلسفتها، المادية، أي أنها لا تؤمن كثيرًا بالروحانيات ولا بما وراء الطبيعة. وهذه الأشياء - كما قال ليوبولد فايز -: «إن الحضارة

الغربية لا تجحد الله ألبتة». يعني ليس جحودًا صريحًا ومطلقًا، ولكن ليس لله مكان في نظامها الفكري.

فالثقافة الغربية ثقافة تغلب عليها المادية والحسية، كما تغلب عليها النفعية أي أنها لا تعتبر المبادئ أولًا ثم المصالح ثانيًا. ولكن المصالح أولًا ثم المبادئ ثانيًا إن كان ولا بد منها، وشاعت الإباحية في هذه الثقافة التي انتهت إلى ما نراه الآن من إباحة الشذوذ الجنسي وإطلاق إباحة العلاقات الجنسية بين الرجال والنساء وزواج الرجال بالرجال والنساء بالنساء، ونوادي العراة «العري المطلق». فهذه هي الثقافة الوافدة الغازية.

ونحن مبتلون بهاتين الثقافتين: الثقافة الأولى بتأثيرها غالبًا على الجماهير، والثقافة الثانية بتأثيرها غالبًا على النخب والصفوة المثقفة، ومهمتنا، نحن المفكرين والدعاة في عصرنا، أن نستخدم الأدوات المختلفة، ومنها الإنترنت لمقاومة هذين النوعين من الثقافة لنبرز الثقافة الإسلامية الصحيحة التي تمثل الإسلام بشموله وتوازنه وعمق نظرته إلى الكون والحياة والإنسان، وإلى الله، وإلى الوجود، وإلى التاريخ.

الربا البنكي حرام:

ما زالت مسائل البنوك وفوائدها غير واضحة بالنسبة لكثير من الناس، خاصة ما يتعلق بحدود الحلال والحرام فيها. ما هو رأي فضيلتكم؟

لقد أجمعت كل المجامع الفقهية الإسلامية ابتداءً من مجمع البحوث في الأزهر الشريف، الذي أجمع سنة (1965م) برئاسة الإمام الأكبر الشيخ حسن المأمون وبحضور ممثلين من العلماء من (35) دولة إسلامية على أن

فوائد البنوك هي الربا الحرام، وأكد هذا المجمع الفقهي، ورابطة العالم الإسلامي، وأكده المجمع الفقهي الإسلامي المنبثق من منظمة العمل الإسلامي، وأكد هذا أيضًا مؤتمر الفقه الإسلامي العالمي، المنعقد في السبعينات وأكدته مؤتمرات المصارف الإسلامية التي انعقدت في دبي والكويت وإسطنبول والقاهرة.

وأصبح هذا أمرًا معلومًا، وكاد هذا الملف يغلق لولا أن أحد العلماء ظهر برأي جديد، غير معتبر حقيقة. والعلماء متفقون أو شبه متفقين على أن فوائد البنوك حرام، ومن أجل هذا قامت البنوك الإسلامية، كان الاتفاق على تحريم الفوائد نظريًّا أول الأمر، وحينما تساءل الناس: أين البديل؟

وجدت البدائل، وهي البنوك والمصارف الإسلامية التي انتشرت في العالم الإسلامي كله. ونحن الآن في مرحلة تحسين هذه البدائل؛ لأن فيها أيضًا بعض نقاط الضعف التي نحاول تفاديها وتطوير وتحسين آليات تلك البنوك.

الاستنساخ بين الإجازة والتحريم:

أتاح الاستنساخ الوراثي التكاثر بجنس واحد دون الآخر. ... ما هو حكم الشرع في ذلك خاصة في حالة تطبيق الاستنساخ على الإنسان؟ وما مدى أهمية سلطة الدين على العلم؟

الاستنساخ إذا كان في النبات فلا حرج فيه بهدف زيادة الإنتاج وتحسين النوعية إلى آخره. أما بالنسبة للحيوان فلا أقول بإجازته بإطلاق، ولكن يجوز إذا لم يكن فيه إيذاء للحيوان، الذي أمرنا أن نرحمه، ويقول النبي صلى الله عليه وسلم : «**دخلت امرأة النار في هرة حبستها ... فلا هي أطعمتها، ولا**

هي تركتها تأكل من خشاش الأرض». فإذا كان الاستنساخ لا يؤذي الحيوان فلا مانع منه. وهو غير جائز إن كان فيه أذى للحيوان.

أما إجراء الاستنساخ على الإنسان فهذا لا يجوز - بأي حال من الأحوال - لما فيه من فساد للحياة التي أقرها الله سبحانه وتعالى بألوان مختلفة. كما أخبرنا بذلك في كتابه العزيز بقوله: **{مُّخۡتَلِفٌ أَلۡوَٰنُهُۥ}** [النحل: 69] صدق الله العظيم. ويعني ذلك أنواعًا مختلفة ولكن ليس شيئًا واحدًا يتكرر. لذا نجد أن كل إنسان مخالف للآخر في الملامح والمظهر والبصمة وما إلى ذلك ... فإذا تم استنساخ شخصين متطابقين كيف يمكن أن تتعرف المرأة على زوجها، مثلًا، أو نعرف أن هذه العلامة خاصة بفلان؟ وغير ذلك الكثير ما يعني ظهور مفاسد في الحياة الاجتماعية والحياة العامة. ومن أجل هذا لا يجوز إدخال الاستنساخ إلى المجال الإنساني.

ويستطرد القرضاوي قائلًا:

تتمثل الفطرة السوية في إقامة حياة زوجية بين الزوجين؛ لتحقيق السكن والمودة والرحمة، وفي ذلك يقول تعالى: **{وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنۡ خَلَقَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا لِّتَسۡكُنُوٓاْ إِلَيۡهَا وَجَعَلَ بَيۡنَكُم مَّوَدَّةٗ وَرَحۡمَةً}** [الروم: 21] صدق الله العظيم. كما أن الحياة الزوجية والأسرية السوية ضرورية. حتى ينشأ الأولاد في ظل أسرة يتعلمون خلالها المحبة والتعاطف والتعاون والإيثار واحترام الملكيات. بينما يعني الاستنساخ الاستغناء عن الأسرة التي تمثل ضرورة حيوية واجتماعية للإنسان. وهذا أمر لا يمكن أن تقبل به الشريعة القويمة.

العلم والدين:

ويخلص الدكتور يوسف القرضاوي من ذلك إلى القول: إنه ينبغي لهذا ألا يعطى العلم الحل في أن يفعل ما يشاء، وإنما يجب أن نقيد العلم بالدين والأخلاق والقيم، وقد أقمنا منذ سنوات ندوة في جامعة قطر كان موضوعها «العلم والدين والتشريع» واشتركت فيها كلية العلوم، وكلية الشريعة في الجامعة، والمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم، وجمعية الدعوة الإسلامية في ليبيا.

وقد أجمعنا جميعًا من كافة الاختصاصات غير أنه لا يمكن أن يطلق الحبل على غاربه للعلماء، يفعلون ما يشاءون، بل لا بد أن نقف لهذا الأمر للتأكد من أن السبل التي يسلكها العلم مقبولة دينيًّا وأخلاقيًّا واجتماعيًّا، ولا بد أن تكون هناك سلطة للقيم الدينية والأخلاقية على العلم. ويستدرك قائلًا:

ومما يعنيه هذا أنه لا يوجد ما يمنع من استخدام النافع من الاستنساخ بما لا يؤثر على الثوابت الدينية والقيم الأخلاقية التي يعترف بها المجتمع ويجمع عليها، تمامًا كما هو الحال مثلًا بالنسبة لعلوم الذرة. التي يمكن الاستفادة منها سلميًّا في مجالات عديدة منها: الطب والصناعة وإنتاج الطاقة وغيرها والابتعاد عن استخداماتها المدمرة والمهلكة كما فعلت أمريكا بضرب هيروشيما ونجازاكي في نهاية الحرب العالمية الثانية.

بدعة العلاج بالقرآن:

شهدنا حديثًا وجدالًا واسعًا حول العلاج بالقرآن ومشروعيته وجدواه وموقعه من العلوم الطبية ... فما قولكم؟

هذه بدعة ابتدعها أناس في عصرنا ولم نعرف في العصور الإسلامية الزاهرة أناسًا فتحوا عيادات ليعالجوا الناس بالقرآن، بل حدث العكس إذ عرفت عصور الازدهار الإسلامي الأطباء الكبار. وعرفت الكتب الطبية التي مثلت مراجع للعالم عرفت «القانون» لابن سينا، و«الحاوي» للزاري، و«الكليات» لابن رشد، و«التعريف لمن عجز عن التأليف» للزهراوي. وعرفت أطباء كبارًا كان بعضهم علماء دين في الوقت ذاته، فصاحب «الكليات» ابن رشد، كان طبيبًا. وهو نفس صاحب كتاب «بداية المجتهد ونهاية المقتصد»، والفخر الرازي هو صاحب «تفسير الرازي» و«المحصول في علم الأصول» وغيرها. وقال الذين ترجموا له تاريخه: إن شهرته في الطب لم تكن تقل عن شهرته في علوم الدين. وابن النفيس مكتشف الدورة الدموية الصغرى فقيه من فقهاء الشافعية، ترجم له تاج الدين السبكي في كتابه الشهير «طبقات الشافعية».

وعلينا أن ننظر إلى الطب من هذه الناحية. وقد قال النبي عليه الصلاة والسلام: «**ما أنزل الله من داء إلا أنزل له شفاء. علمه من علمه، وجهله من جهله**»، وقال عليه الصلاة والسلام: «**لكل داء دواء. فإذا أصيب دواء الداء برئ بإذن الله**». وهذا يعطي الأمل للمريض أنه ليس هناك داء عضال، ويعطي الأمل للطبيب فيبحث عن الدواء للداء. ونحن، كمسلمين، لا نقول إن السرطان مثلًا لا دواء له. فهو له دواء ولكن لم نصل إليه بعد، وكذلك الإيدز له دواء، ولكن لم نصل إليه بعد.

ويضيف الدكتور القرضاوي:

كيف نأتي اليوم ونرى أناسًا يفتحون عيادات للعلاج بالقرآن؟ القرآن شرع

الأدوية الروحية وهي التعاويذ والرقى. فالإنسان يرقي نفسه أو يرقيه غيره، والرقى: أن يرقي الإنسان نفسه فيقرأ الفاتحة وآية الكرسي وسورة الإخلاص مثلًا، أو يرقيه أحد أهل بيته ولا يشترط أن يكون شيخًا أو مطوعًا، ولذلك استعمل النبي صلى الله عليه وسلم الطب، وكان يحث بعض الناس على أن يتداووا عند الطبيب الثقة المعروف في ذلك الوقت الحارث بن كلدة، ولم يكن قد أسلم بعد. وهذا يعني جواز العلاج عند طبيب غير مسلم إذا كان طبيبًا مأمونًا وثقة واشتهر بالطب أكثر من غيره. وقد جاء طبيبان ليفحصا بعض المسلمين فسألهما النبي صلى الله عليه وسلم : «**أيكما أطبب؟**» أي أيكما أمهر وأحذق؟ فقيل: هذا. فقال صلى الله عليه وسلم : «**يعالج هذا**». ويعني بذلك المفاضلة بين الأطباء واختيار الأرجح علمًا والأكثر حذقًا.

أما أن يدعي أحدهم أنه يعالج بالقرآن ويمسك واحدًا فيضربه حتى يخرج منه الجن والشيطان، فهذا ما أنزل الله به من سلطان، ولم نر أحدًا من الصحابة الأجلاء مثل ابن عباس أو ابن مسعود فتح عيادات لذلك. فابن عباس كان اسمه ترجمان القرآن. ولكننا ما عرفنا أن أحدًا جاء له وقال: يا ابن عم رسول الله، عالجني بالقرآن. ولو حدث ذلك، لقال له: «أعيذك بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة ومن كل عين لامة»، أو قرأ عليه سورة الفلق أو الناس.

تريث وليس تأخيرًا:

هناك عدد من القضايا الحديثة التي تستجد على الساحة ولا يتم إعلان الحكم بشأن مدى مشروعيتها بالسرعة الكافية من جانب المحافل الفقهية الإسلامية ما قد يؤدي إلى وقوع كثير من الناس ضحايا الآراء والاجتهادات

الشخصية لحين صدور الحكم بشأنها، ومن ذلك نقل وزراعة الأعضاء وزواج المسيار والاستنساخ وفوائد البنوك ... فما مدى صحة هذا الرأي؟

أولًا بالنسبة لفوائد البنوك، فقد أفتت بشأنها كل المجامع الإسلامية، إذن هذا الرأي ليس صحيحًا. والقضية الثانية: نقل وزراعة الأعضاء، فقد عقدت ندوات عديدة في هذا المجال أفتى فيها المجمع الفقهي حيث عقدت ندوة في الرباط اجتمع فيها الأطباء والفقهاء. وحدث مثل هذا في الكويت في مؤسسة المنظمة الإسلامية للعلوم الطبية التي تجمع بين الأطباء والفقهاء. وأنا عضو فيها. وتعقد كل سنتين تقريبًا ندوة حول موضوع مختلف. وأخذ موضوع نقل وزراعة الأعضاء أكثر من حلقة من الحلقات. حتى صدرت الفتوى بشأنه، ولي فتوى في كتاب «فتاوى معاصرة» وهي فتوى مطولة حول زراعة الأعضاء. ونوقش هذا الأمر العام الماضي في الكويت أثناء الاحتفال بمرور 20 عامًا على تأسيس جمعية نقل وزراعة الأعضاء. وقد قدمت ورقة فيه إلى جانب أوراق عديدة أخرى قدمها عدد من الفقهاء والأطباء. فهذا الرأي ليس صحيحًا، حيث أخذت هذه الأمور حقها من البحث.

ولكن المؤسسات والمجامع الفقهية لا تستطيع أن تفتي في كل الأمور بسرعة؛ لأن كل أمر منها يتم عرضه على الفقهاء. ويُطلب منهم إعداد بحوث حوله، تمهيدًا لتقديمها ونقاشها في دورة من دوراتها السنوية لينتهوا بعدها إلى رأي. وقد يتم تقديم تلك البحوث ولكنها تكون غير كافية لإنضاج الرأي فيؤجل إصدار الفتوى بشأنه إلى دورة قادمة حيث لا يراد سلق الأمور سلقًا، إنما يراد أن يُخدَم الأمر خدمة جيدة.

الديمقراطية ليست حكم الشعب في مقابل حكم الله

منذ شيخت الجماهير يوسف القرضاوي وهو ظاهرة فريدة، لا تقتصر على كونه عالمًا من علماء الأزهر الشريف، ولا فقيهًا من فقهاء الشريعة، ولكنه مفكر للصحوة الإسلامية استطاع - مع المعتدلين - أن ينقلها من تيار التشدد في بكورة نشأتها في السبعينات - إلى تيار الاعتدال. إنه رائد الفكر الإسلامي الوسطي المعتدل. ومع أن فضيلة العلامة د. يوسف القرضاوي نشأ في الأزهر، والتحق بجماعة الإخوان المسلمين التي أنشأها الإمام حسن البنا في (1928م) في مصر وانتشرت في أنحاء العالم حتى صار لها تمثيل في أكثر من «70» بلدًا، مع وجود هذين المؤثرين في شخصية الرجل، فإنه قد وصل بعلمه وفقهه وجهده إلى أن يكون الآن عالمًا ومفكرًا مستقلًّا غير مرتبط بأي تنظيم إسلامي سواء أكان الإخوان المسلمين الذين يدافع عنهم ويعتز بهم أو غيره من الجماعات الإسلامية التي يثق أغلبها في فتاواه وفقهه ... كل ذلك دفعه إلى أن يكون محلًّا لثقة الكثير من جماهير الأمة الإسلامية عبر ما يظهر في أكثر من فضائية عربية تستضيفه وتسارع الجماهير لمعرفة رأيه وفتاواه في كثير من القضايا الإسلامية المعاصرة العامة والخاصة. لذلك فنحن لا نبالغ إذا قلنا إنه عالم صاحب مشروع حضاري واضح له ثوابت، كما أن له مرجعيته الإسلامية التي تحكم ظلال فتاواه والتي تثير دائمًا جدلًا كبيرًا خاصة ما يتعلق منها بالشق السياسي مثل فتواه بتحريم الصلح مع «إسرائيل» والتنازل عن أي جزء من أرضها للصهيونيين، ومثل تحريمه تناول الإفطار في القاهرة على مائدة السفير الصهيوني، إضافة لفتاواه في مسائل الحلال والحرام التي أصدرها في كتاب منذ أكثر من

أربعين عامًا.

إنه شاهد على أحداث القرن العشرين وهو معاصر لكثير من أحداثه ... لذلك كان الحوار معه ساخنًا في منزله بمنطقة الخليج العربي «الدفنة بالدوحة» لم تنقصه الصراحة التي تناولت أدق القضايا السياسية؛ لعل أكثرها إثارة للجدل هي علاقة الإخوان المسلمين بثورة (23) يوليو (1952م).

إنها علاقة جدلية لا ينتهي البحث فيها ... لقد تحدث عن كثير من هذه العلاقة وقال رأيه في شخصية الزعيم جمال عبد الناصر، وعلل أسباب خلافه مع رجال الثورة. وفي الشأن الحاضر لم يخف موافقته على قيام أحزاب غير إسلامية في الدول الإسلامية، ولكنه طالب الحكومات بأن تسمح للشباب الإسلامي بأن يمارس العمل السياسي الديمقراطي الذي بدأ يتوجه إليه بدلًا من أن يتحول للعمل السري، وأكد في الوقت نفسه على أهمية العمل الجماعي للإسلام مبغضًا العمل الفردي ... وإذا كان للقرضاوي موقع خاص على شبكة الإنترنت فإن المشروع الكبير الذي دشنه القرضاوي في العام الماضي «الإسلام على الإنترنت» قد أطلق عليه «جهاد العصر»؛ إذ يقدم الإسلام بشموله ووسطيته إلى البشرية على شبكة الإنترنت ... إنه حوار ساخن، لكنه حوار فتح فيه القرضاوي كل الملفات وتميز بالصراحة والحرية في الطرح والإجابة:

العلامة القرضاوي شاهدًا على أحداث القرن العشرين

اتصالي بالإخوان المسلمين كان نقلة نوعية لي من التدين الفردي إلى الوعي بالإسلام كمنهج شامل:

نـود أن نتوقـف معـك عنـد لحظـة وصـالك الأولـى بالحركـة الإسـلامية وانتمائك إلى جماعة «الإخوان المسلمين» خاصـة أنك ولدت قبل عـامين من إعـلان الإمـام حسـن البنـا عـن تشـكيل هـذه الجماعـة فـي (1928م) ... كيـف التحقت بالجماعة؟ وكيف تخلّق لديك الوعي «الصمودي الإسلامي» إن صح التعبير، هل من خلال دراستك في الأزهر أم من خلال تفاعلك مع عناصر من الجماعة؟

في الحقيقة عرفت الإخوان حينما كنت طالبًا في السنة الأولى الابتدائية بمعهد طنطا الديني.

فقد كان من عادة جماعة «الإخوان المسلمين» الاحتفال بالمناسبات الدينية كبدء السنة الهجرية وغزوة بدر وليلة الإسراء والمعراج وغيرها من المناسبات، وذلك كوسيلة لربط الناس بالإسلام وتذكيرهم بالمعاني والبطولات الإسلامية ... في هذه السنة كان الشيخ حسن البنا مدعوًّا للاحتفال بالسنة الهجرية النبوية في طنطا، وقد أبلغني ابن عمتي الذي كان في السنة الرابعة الابتدائية، وكنت أقيم معه في السكن، أن أنتظر بينما هو سيتوجه مع زملائه إلى حضور الاحتفال، لكنني رفضت وألححت في أن أرافقهم مُصرًّا ... وبالفعل توجهت معهم إلى مقر الاحتفال واستمعت إلى عدد من الخطباء، ثم انبرى الشيخ البنا خطيبًا فوجدتني استمع إلى كلام جديد ومضمون مغاير لم أسمعه من قبل، فمنذ الصغر أستمع في مثل هذه المناسبة إلى ذات الكلمات وذات المضامين عن العنكبوت والحمام والغار ومختلف أبعاد القصة, غير أن الشيخ البنا تحدث بلغة وفهم جديد عن الهجرة ووصفها بأنها كانت حدًّا فاصلًا بين عهدين: عهد تكوين الفرد في مكة، وعهد تكوين المجتمع في المدينة

وأسس هذا المجتمع ... وكدت أحفظ ما قاله الشيخ. فقد كان مرتب الذهن والفكر ... وكان واضح الأسلوب وناصع البيان. وبعد أن عدت إلى السكن كررت ما قاله الشيخ معجبًا؛ فأبدوا دهشتهم من هذا الولد الذي حفظ كلمات الشيخ ...

من هذا اليوم أخذ إعجابي بالشيخ يترسخ في ذهني ويتزايد يومًا بعد يوم، وأنتظر قدومه إلى طنطا متلهفًا في المناسبات الدينية المختلفة ... ولم أترك أي مناسبة إلا وأتوجه إليها للاستماع إليه.

جوالة الإخوان:

وثمة أمر آخر شدني لـ «الإخوان المسلمي» فقد كان لديهم «الجوالة» الذين كانوا يطوفون بمدينة طنطا يتقدمهم شخص يحمل مصحفًا وعلم الإخوان ويهتفون بنداءات كانت تهز مشاعر المرء هزًّا من قبيل: الله غايتنا والرسول زعيمنا والقرآن دستورنا والجهاد سبيلنا والموت في سبيل الله أسمى أمانينا ... لا إله إلا الله محمد رسول الله عليها نحيا وعليها نموت وفي سبيلها نجاهد حتى نلقى الله ... الله أكبر الله أكبر ولله الحمد، ولعلي شاهدتُ هذا المشهد واستمعت إلى تلك الكلمات قبل أن أستمع للشيخ البنا، وهو ما دفعني للسؤال عن هؤلاء الشباب، فأبلغوني أنهم شباب جماعة «الإخوان المسلمين»، ولم أكن أعلم شيئًا عن هذه الجماعة، فأخبروني أنها جماعة تسعى للحكم بالقرآن، ووجدت ذلك يتجاوب مع فطرتي كشاب مسلم وأزهري، وهو ما دفعني لأن أحب «الإخوان» وأتردد على مقريهما في طنطا، حيث كانت لهما شعبتان بقسم أول وقسم ثان، وذلك دون أن أسجل نفسي عضوًا بالجماعة حتى السنة الرابعة الابتدائية بالمعهد الديني ... فقد

دعيت في هذه السنة لإلقاء قصيدة شعر أمام شعبة الإخوان، فنالت الإجاب والاستحسان، وما زلت أذكر مطلعها الذي يقول:

قلبـــي يحـــس برحمـــة تتـــدفق ويـــرى الملائـــك قـــد أحـــدقوا

فسألوني لماذا لا تنتظم عضوًا في الجماعة؟ فقلت لهم: إنني أعد نفسي من ضمنهم لكنهم طلبوا مني أن أملأ استمارة البيانات، وهو ما فعلته، ومن ذلك الوقت وكان في العام الدراسي (1944/43م) بدأت علاقتي التنظيمية بجماعة الإخوان، وأخذت أمارس نشاطي عبر قسمين، أحدهما: خاص بالطلاب، والثاني: يتعلق بنشر الدعوة، وهو ما أتاح لي التوجه إلى البلاد المحيطة بطنطا في مهمات تتصل بالدعوة الإسلامية وتوعية الناس بالقضية الوطنية، والتي بدأت في البروز والتصاعد في ذلك الأوان. وأذكر أن الشيخ البنا كان يتجول في مختلف الأقاليم والمحافظات المصرية لعقد مؤتمرات كانت في غاية القوة وتوهج الروح، ولم نفهم أبعاد القضية الوطنية إلا من الشيخ البنا الذي كان يقدم شرحًا وافيًا لمختلف هذه الأبعاد في حماس منقطع النظير لا ينقصه المنطق. ولعلي أذكر المؤتمر الذي عقده الشيخ في مدينة طنطا بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، والذي تحدث فيه عن ثلاثة محاور، وهي طبقًا لتوصيفه: قضيتنا، وسيلتنا، دعوتنا. فيما يتعلق بالمحور الأول «قضيتنا» تحدث عن قضية الوطن الصغير، وهو وادي النيل شماله وجنوبه وليس مصر فقط، وكان يقول: مصر هي السودان الشمالي والسودان هو مصر الجنوبية، وحصر هذه القضية في بعدين الجلاء ... ووحدة وادي النيل، ثم عن قضية الوطن الكبير وهو الوطن العربي الذي يبدأ من الخليج «الفارسي»، كما كان يطلق عليه في ذلك الوقت حتى المحيط الأطلسي، ولا

أخفيك أنني لأول مرة كنت أعلم حدود الوطن العربي ... ثم عن قضية الوطن الأكبر، وهو الوطن الإسلامي من المحيط إلى المحيط، أي من المحيط الهادي إلى المحيط الأطلسي.

من جاكرتا إلى الدار البيضاء، هكذا كان يقول الشيخ رحمه الله.

ثم تحدث عن وسيلتنا ودعوتنا ... باستفاضة في إطار رؤية «الإخوان المسلمين».

أريد أن أخلص من ذلك إلى أنني منذ أن توجهت للدراسة بمعهد طنطا الديني ارتبطت بحركة «الإخوان المسلمين» وانتظمت فيها رسميًّا من السنة الرابعة الابتدائية.

نقلة نوعية:

في هذه الفترة، هل تكوَّن لديك وعي سياسي بدور جماعة «الإخوان المسلمين»؟ أم أن انتماءك إليها كان منطلقًا من العاطفة الدينية كمسلم وكدارس في الأزهر؟

لقد كان اتصالي بجماعة «الإخوان المسلمين» بمثابة نقلة نوعية من التدين الفردي الذي عرفناه في القرية وتلقيناه من مشايخها في المواعظ والدروس وخطب الجمعة وليالي رمضان إلى الوعي بالإسلام العام كمنهج شامل وحركة في الحياة تبتغي الإصلاح ... وفي ظل ارتباطي بالإخوان تمكنت من تصحيح مفهومي للإسلام ... من مجرد كونه تدينًا فرديًّا إلى رسالة شاملة. وقد كان الشيخ البنا حريصًا في لقاءاته ورسائله على تكريس هذه المفاهيم، فالإسلام في منظوره: دين ودولة ومصحف وسيف وصلاة وجهاد وعبادة

وقيادة ... فضلًا عن تكثيف الاهتمام بقضايا المسلمين «**ومن لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**»، كذلك ونحن طلاب ... حسبما أتذكر كنا نخرج في الثاني من نوفمبر من كل عام احتجاجًا على وعد بلفور، وهو ما كان مؤشرًا على أن قضية فلسطين كانت حية في وجدان عناصر الجماعة وغيرها من القضايا المثارة في ذلك الوقت كقضية تونس والجزائر ومراكش «المغرب» فضلًا عن قضية كشمير.

إلى جانب ذلك كانت الدعوة قوية إلى أن نحكم بالقرآن وبالشريعة الإسلامية عوضًا عن الحكم بالقوانين الوضعية التي فرضها الاستعمار على البلاد.

أول لقاء بالشيخ البنا:

هل تذكر أول لقاء لك بالشيخ البنا ... وكيف كان تفاعلك معه على المستوى الشخصي؟

لقاءاتي بالشيخ البنا كانت عبارة عن لقاء تلميذ وطالب بقائد كبير، وكما ذكرت سابقًا، كنت حريصًا على اللقاء به وحضور المناسبات التي يشارك فيها في طنطا ... بل كنت أحيانًا أتوجه إلى المدن الأخرى ككفر الزيات أو دسوق لمتابعة لقاءاته الجماهيرية ومحاضراته، وأذكر أنني سافرت إلى دسوق عبر قطار كان يسمى قطار «الدلتا» يتحرك بين المدن والقرى والمزارع في منطقة الدلتا، وكان بوسع أي شخص أن يوقفه ليركبه من مجرد الإشارة، وكان أهم ما يميزه رخص أجرته ... وتابعنا الشيخ أيضًا عندما زار «المحلة الكبرى» و«محلة أبو علي»، والتقينا معه في بعض

الأحيان في طنطا، ولكن أول لقاء لي معه بشكل مباشر كان لدى زيارته لطنطا وألقيت أمامه قصيدة نشرتها في ديوان «نفحات ولفحات»، وقد أبدى إعجابًا بالقصيدة وأذكر أنه وصفني آنذاك بالشاعر المطبوع وكان معه سكرتيره الخاص الأستاذ سعد الدين الوليلي الذي أخذ القصيدة معه ... ثم التقيت بالشيخ في بعض المناسبات الأخرى في المركز العام ولكنه وكَّل الشيخ الباقوري ليواصل معنا اللقاء لارتباطه، ومرة توجهنا إليه للحصول على إذن منه بخصوص أحد زملائنا من طلاب معهد طنطا الذي كان بالغ الحماس للتطوع في حرب فلسطين واسمه «عبد الوهاب البتانوني»، فالشيخ لم يكن يسمح لشباب المرحلة الثانوية بالتطوع في هذه الحرب، وكنا من قبل قد حصلنا على موافقة والدته بشق الأنفس، ولكن مع زميل آخر هو أحمد العسال، استطعنا إقناعها بعد أن حدثناها عن الجهاد فدمعت عيناها وقال لابنها: أستودعك الله ... فهو خير حافظ، وقد استشهد هذا الشاب في حرب فلسطين. وأذكر بهذه المناسبة أنني وعبد الوهاب البتانوني كنا نذهب إلى الشيخ البهي الخولي في جلسة نسميها «كتيبة الذبيح» نصلي فيها معه الفجر ونتدارس فيها أمور القرآن والفقه، وقد كان الشيخ الخولي يقول: كلما رأيت عبد الوهاب رأيت دم الشهادة يترقرق في وجهه وكان يناديه سيدي عبد الوهاب البتانوني.

اندماج كلي:

كيف تطورت علاقتك بجماعة الإخوان المسلمين فيما بعد هل أصبحت عضوًا نشطًا خلال دراستك الجماعية فيما بعد ... خاصة أن الصراع بدأ يبرز بين الجماعة والسلطة في ذلك الوقت؟

كنت مندمجًا بكلي في الإخوان ... حتى حلت الجماعة في (8) ديسمبر (1948م) ردًّا على مقتل النقراشي باشا رئيس الوزراء في ذلك الوقت من قبل نفر من شباب الجماعة المتحمسين، وقد تبين من الوثائق فيما بعد أن سفراء كل من الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا في «فايد» بالقرب من الإسماعيلية اتفقوا على أن يطلبوا من النقراشي - وهو ما حدث بالفعل - حل جماعة الإخوان المسلمين. وقد اتضح أن ذلك كله يصب في صالح الدولة الوليدة «إسرائيل» في ذلك الوقت. فقد كان الإخوان من المناهضين بقوة لقيام هذه الدولة، وكان لهم متطوعوهم في الميدان وهو ما حتم الصدام ... وحلت جماعة الإخوان المسلمين وتعرض أعضاؤها للاعتقال غير أن قليلًا من أعضائها من طلاب المرحلة الثانوية الذين تم اعتقالهم، وذكر أنهم كانوا أربعة أو خمسة من طلاب معهد طنطا الديني وكنت واحدًا منهم.

أول اعتقال:

كيف حدث الاعتقال؟

لقد طلبتنا قوات الشرطة أنا وزميل آخر لي اسمه محمد الدمرداش - انتقل إلى رحمة الله -، وقد كنا دومًا متلازمين في الدراسة وفي السكن وفي الانتماء للجماعة وفي الدعوة وحتى في المحنة ... وبعد أن علمنا بنية الشرطة لاعتقالنا توجهنا إلى قريته للاختباء فيها، وهو ما ينبئ عن سذاجة تفكيرنا، فبعد أن لاحظت الشرطة اختفاءنا معًا توجهت إلى قريتي ولم تعثر علينا وعلى الفور توجهت إلى قرية محمد الدمرداش، وعندما شعرنا بحركة القوات سارعنا إلى الصعود إلى السطح والهبوط منه إلى منزل الجيران فاختبأنا، لكن قوات الشرطة أمسكت بوالدة زميلي كرهينة، وهو الأمر الذي

دعانا فيما بعد إلى تسليم أنفسنا، وأخذونا إلى نقطة البلدة التي تسمى «مهطاي» ثم إلى مركز زفتى الذي تتبعه هذه القرية وأمضينا ليلة به ومنه أحلنا إلى قسم أول طنطا، وأمضينا نحو أربعين يومًا بسجن المركز، ثم تقرر ترحلينا إلى سجن آخر، وعندئذ صافحت عيوننا عنوانًا عريضًا في صحيفة «المصري» «مصرع الشيخ البنا».

كيف كان وقع الخبر عليكما؟

هزنا بعنف ... أقضَّ مضاجعنا ... فقد كان أملًا بالنسبة للمسلمين ولنا بما منحه الله من مواهب وقدرات في فهم الحياة والسياسة وما تميز به في كيفية السعي إلى الناس بمختلف ألوانهم واتجاهاتهم وما يتسم به من مرونة وانفتاح، لذلك كان الحزن عليه أعمق من أي حزن مر بي.

ماذا لو لم يقتل الشيخ البنا في ذلك الوقت ما هي الصورة التي كان يمكن أن تكون عليها جماعة الإخوان المسلمين؟

المرء لا يرغب في أن يتأول «على الله» لكني أعتقد أنه لو أراد الله أن يطيل في عمره فلا شك أنه سيكون له تأثير في سير الحياة غير ما حدث فيما بعد. وأذكر في هذا الصدد مقاله لمفكر أمريكي وصف الشيخ البنا في مقال عنه بالرجل القرآني، وقال عنه: لا ندري ماذا تفعل به الأحداث فقد يغير وجه التاريخ. وبعد استشهاد الشيخ عاد وذكر هذه المعاني مرة أخرى عنه. وأحسب أن الشيخ البنا كان فلتة من فلتات ذلك الزمان رغم صغر سنه فقد استشهد ولديه (42) عامًا، في حين بدأ حركته في الدعوة وهو في سن العشرين أي أنه أمضى نحو عشرين عامًا في تأسيس الجماعة وتطويرها

وهو في مقتبل الشباب.

«الترحيل»:

ربما قطع تسلسل الأحداث فيما يتعلق بقضية اعتقالك للمرة الأولى ... لقد توقفنا فيما قبل عند ترحيلك مع زميلك محمد الدمرداش من سجن قسم أول طنطا ... ما الذي جرى بعد ذلك؟

لقد تم ترحيلنا يوم استشهاد الشيخ إلى معتقل «هايكستب» بضواحي القاهرة لنرحل منه مرة أخرى إلى معتقل «الطور» والذي أمضينا فيه فترة زمنية لا أذكرها بالضبط ثم تقرر إعادة المعتقلين من طلاب المرحلة الثانوية إلى معتقل «هايكستب» تمهيدًا للإفراج عنا، ولكن لم يقع الإفراج ثم أعيد ترحيلنا مرة أخرى إلى معتقل «الطور» ومع سقوط وزارة إبراهيم عبد الهادي تقرر الإفراج عنا بعد أن أمضينا في المعتقلات نحو تسعة أشهر.

شهور الاعتقال:

ما الذي كنت تفعله في شهور الاعتقال؟ هل أعدت قراءة موقفك من الانتماء إلى جماعة الإخوان المسلمين؟

لا شك أن هذه الفترة عمقت انتمائي لجماعة الإخوان المسلمين وعمقت انتماء غيري من المعتقلين، فالمعتقل كان فرصة هائلة لتعميق والتثبيت والمزيد من التوعية والتثقيف، وأشير هنا إلى كيف كنت أقضي يومي في المعتقل ... لقد كنا نصلي الصلوات الخمس في المسجد، وهو عبارة عن منطقة محاطة بالطوب وموقع محدد للمحراب بالطبع أبنية ... وكان إمامنا في ذلك الوقت - أنا هنا أتحدث عن معتقل الطور بالتحديد الذي أقمنا فيه فترة

زمنية أطول - فضيلة الشيخ محمد الغزالي - رحمه الله ... كنا نستيقظ قبل صلاة الفجر بساعتين حيث تبدأ الحركة في عنابر المعتقل الذي كان مقسّمًا إلى سلسلة من الممرات، وكان أحد الأخوة يمر على النائمين ليوقظهم بصوت رخيم ينادي فيه بقوله: يا نائمًا مستغرقًا في المنام ... قم فاذكر الحي الذي لا ينام. مولاك يدعوك إلى ذكره وأنت مشغول بطيب المنام ... وهكذا. وكنا نستيقظ لدى سماعنا هذا الصوت الرقيق الرخيم المحبب إلى نفوسنا، ثم يدوي في العنابر صوت قراءة القرآن، فإذا أذن الفجر توجهنا إلى المسجد للصلاة، وبعد انتهائها وختامها ننتظم في حلقات علمية مع الشيوخ الذين نرافقهم في المعتقل، كالشيخ الغزالي والشيخ سيد سابق والشيخ عبد المعز عبد الستار وهم جميعًا من شيوخ الجماعة، حتى قبيل طلوع الشمس، فنبدأ في أداء تمرينات رياضية، ثم نتوجه بعد ذلك لتناول طعام إفطارنا، ثم إلى عمليات تنظيف العنابر والأسرة والقيام بمهام الطبخ، والتي كانت توزع دوريًّا على كل عنبر، ثم يبدأ شيوخنا في إلقاء المحاضرات الدينية والفكرية، وأذكر أن المرحوم الشيخ الغزالي جمع سلسلة محاضرات في معتقل الطور في كتاب أسماه «الإسلام والاستبداد السياسي»، فضلًا عن الاشتراك في المناقشات وترديد الأناشيد الدينية ...

لذلك أطلقت عبارة أصبحت مثلًا فيما بعد وهي أن معتقل الطور هو المعسكر الدائم للإخوان المسلمين لسنة (1949م) السفر والمصاريف والنفقات والتكاليف على حساب الحكومة المصرية. وأذكر أن بعضًا من زملاء المعتقل لم تكن لديه القدرة على المشاركة معنا، ومن هؤلاء زميل اسمه حسن الزمزمي، ولم يكن يستطيع أن يقشر إصبع الموز، كان دائمًا في

حاجة إلى عون الآخرين، هكذا هي حياته؛ لذلك أطلقنا عليه رئيس لجنة العكننة وقد أفرج عنه معنا، وقد كنا نحن أول دفعة يتقرر الإفراج عنها، وكان ذلك قبل امتحان الدور الثاني في الشهادة الثانوية بنحو (17) يومًا، وقد فاتني الدور الأول، ورغم أننا قدمنا - زملائي وأنا - العديد من الطلبات ليسهلوا لنا أداء امتحان هذا الدور غير أن أحدًا لم يعرنا بالًا ... وعندما عدت إلى البيت تفرغت بشكل كامل لمراجعة دروسي، وقد أكرمني الله عز وجل بنجاحي متفوقًا وصاحب الترتيب الثاني في الشهادة الثانوية الأزهرية على المملكة المصرية في ذلك الحين، وكان الفارق بيني وبين صاحب الترتيب الأول نصف درجة؛ لذلك اقتسمنا هو وأنا الجائزة التي تمنح للأول على المملكة سويًّا، وكانت قيمتها ثلاثة وثلاثين جنيهًا، فحصل كل منا على ستة عشر جنيهًا ونصف الجنيه.

قرار غير محسوب:

ثمة من يقول يا فضيلة الشيخ: إن قرار الإخوان بالمشاركة في حرب (1948م) لم يكن محسوبًا، فقد لفت الانتباه إلى الجماعة وألّب عليها الكثير من القوى المناهضة داخليًّا وخارجيًّا، هل توافق على ذلك الطرح؟

هذا ما يقع فيه دائمًا الإسلاميون ... فهم يكونون بين أمرين، الأول: هل يبرزون للناس تنظيمًا وقوة حتى يلتفوا حولهم وينجذبوا إليهم أو يختفوا حتى لا يعلم الأعداء مدى قوتهم وألا يدبروا لهم المزالق والمخاطر، وهذا ما وقعت فيه الصحوة الإسلامية الأخيرة، فشبابها بمجرد أن لمسوا في أنفسهم قوة أخذوا يستعرضون عضلاتهم ويدعون إلى صلاة العيد في ميدان عابدين بالقاهرة التي كان يحضرها أكثر من نصف مليون، وكنت أقوم بالخطابة فيهم

... وأشير هنا إلى واقعة من تداعيات هذه الحالة فقد كنت بالولايات المتحدة عندما أقدم الرئيس المصري السابق أنور السادات على اعتقالات سبتمبر (1981م)، وكنت في ذلك اليوم مدعوًّا على مائدة غداء أحد الأشخاص، فأبلغنا أن نشرة الأخبار في التليفزيون بعد نصف ساعة حتى نتابع تطورات الأحداث في مصر، وعندما فتحنا التليفزيون فوجئنا بصورة شخص معمم وصاح مضيفي على الفور أليست تلك صورتك ... ؟ وأجبت على الفور أجل واستعدت بسرعة هؤلاء الأشخاص الذين كانوا يحملون كاميرات التصوير التليفزيونية خلال إمامتي لصلاة العيد بميدان عابدين التي يحتشد فيها مئات الألوف ... أو كما ذكرت سابقًا نحو نصف مليون، وكانت الكاميرات ترصد بالصورة والصوت كل كل حركاتي ... سواء لحظة الخطابة أو لحظة السجود أو الركوع أو غير ذلك، وحتى لحظة تقديمي لأحد شباب الجماعات ليلقي كلمة في الجمع، ولكني بعد ذلك لا ألمس أثرًا لهذه الصور وأتساءل في نفسي أين تذهب هذه الصور واللقطات خصوصًا أنه لم تكن تظهر بالمرة في وسائط الإعلام الرسمية، بل بالعكس كان ثمة تعتيم على مثل هذه الأمور وأذكر فقط أن الرئيس السادات أشار إلى مثل هذه التجمعات في أحد خطاباته: «بيقولوا إنها تضم ربع مليون شخص، والحقيقة أنها تضم مائة ألف فقط ... »، وأذكر أنني كنت أواجه صعوبة شديدة في الوصول إلى ميدان عابدين، وكنت في بعض الأحيان اضطر إلى أن أركن سيارتي ربما على بعد يتجاوز الكيلو مترًا أو أكثر، وذلك من جراء الأعداد المشاركة في صلاة العيد التي لا تقل عن نصف مليون في ذلك الوقت.

الجماعة منحلة:

كيف تفاعلت مع جماعة «الإخوان المسلمين» بعد التحاقك بكلية أصول الدين وجامعة الأزهر؟

عندما التحقت بالجامعة كانت جماعة الإخوان المسلمين منحلة بعد أن صدر قرار من الحكومة بحلها، وكان يقال في ذلك الوقت: «إسرائيل المزعومة والجماعة المنحلة»، أي أنه من الناحية الرسمية لم يكن ثمة وجود للإخوان، ولكن هذه الفترة شهدت نشاطًا هائلًا لشباب الإخوان، لم تكن هناك لافتات أو علامات أو أي مظاهر ذات طابع عام ... لكن عملنا وحركتنا كانت بعيدة عن ذلك كله وهو ما أدى إلى أن إنتاجنا كان في هذه الفترة ضخمًا ولا نظير له، فانتشرت الدعوة انتشارًا كبيرًا.

ألم تكن ثمة ملاحقة أمنية لكم؟

كانت هذه الفترة تعيش حالة فتور أمني تجاهنا ... بعد سقوط حكومة إبراهيم عبد الهادي، خاصة بعد فترة الصراع الشديد بين الإخوان والسلطة، الأمر الذي دفع ببعض شباب الجماعة المتحمس إلى قتل النقراشي في حين ردت السلطة على ذلك بقتل حسن البنا، وهو ما أشعل المزيد من الزيت في نار الصراع، ولم يتوقف إلا بعد سقوط وزارة إبراهيم عبد الهادي. وكنا وقتها في معتقل الطور، وأذكر أننا كنا في ليلة السابع والعشرين من شهر رمضان واحتفلنا بليلة القدر وشاركت في الاحتفال بقصيدة من تأليفي وفي آخر القصيدة كانت ثمة مناجاة لله سبحانه وتعالى ودعوات عدة، وفي ليلة التاسع والعشرين من رمضان وكانت ليلة العيد أقيلت وزارة إبراهيم عبد الهادي

فصاح الإخوان: لقد استجاب الله لدعواتك في ليلة القدر ... وبعد ذلك حدثت فترة هدوء في العلاقة بين الجماعة والسلطة، ثم أجريت انتخابات نيابية تقدم فيها عدد من رموز الإخوان بالترشيح، لكن أحدًا منهم لهم ينجح ولكن المعركة الانتخابية في حد ذاتها كانت فرصة لإحياء الدعوة وشاركت شخصيًّا في الدعاية للمرشحين من الجماعة في مدن عدة وبالذات في صعيد مصر ... ولعل عدم وجود ملاحقة أمنية أتاح لنا حرية التحرك والدعوة رغم أنه عند الإفراج عنا حصلوا منا على تعهد بتجنب المشاركة في أي نشاط سياسي للجماعة. وأذكر أنه بعد الإفراج عني عدت إلى منزلي في قريتي وبعد تجمع الناس الذين جاءوا للمباركة بالإفراج أخذت أتحدث إليهم عن قوة الإخوان وحركتهم وأهدافهم فينظر إلى البعض وكأنه يقول لي: ألم تتعلم من درس اعتقالك.

واتسمت الفترة التي سبقت قيام ثورة (23) يوليو بخصوبة إنتاج الإخوان ... فقد شهدت تكريسًا لوجودها وخاصة في الأزهر الذي كاد يضحى كله منتخبًا للإخوان من شيخ الأزهر الشيح محمد الخضري إلى كبار العلماء وعمداء الكليات والطلاب ... كانت درجة انتشار الجماعة هائلة في كل المواقع في مصر للدرجة التي ظننا معها أنه عند قيام ثورة (23) يوليو أنها ثورتنا في أول الأمر، فقد قيل إن الضباط قادة الثورة إسلاميون ... ولكن بعد ذلك بفترة بدا لنا أن الثورة لم تقم إلا لضرب الحركة الإسلامية التي كادت تستولي على مصر سلميًّا في ذلك الوقت، المسألة لم تكن في حاجة إلى عنف، فالشعب كان متجاوبًا مع أفكار الجماعة بعمق في كل مكان وموقع ...

حركة وطنية شاملة:

كيف تصورتم أن الثورة قامت لضرب الحركة الإسلامية بينما كانت هي حركة وطنية شاملة؟

أجل حركة وطنية ... لكن رجال الثورة قالوا في البداية إنها من أبناء وأتباع الشيخ محمد الأودن وتربوا على يديه وأنهم حملوا المصاحف وعاهدوا الله على حماية دينه، كان الوجه الإسلامي واضحًا بالنسبة لنا ... أقصد جماعة «الإخوان المسلمين» وراج أن لهؤلاء الضباط صلة الإخوان ... لذلك فإن عناصر الإخوان ساهمت في حراسة المنشآت المهمة الوطنية والأجنبية خشية تعرضها للتخريب من قبل العناصر المناوئة سواء شيوعية أو غير شيوعية.

لكن البعض اعتبر هذه الخطوة محاولة مبكرة لاستيعاب الثورة التي في محتواها تجمع بين كافة الاتجاهات السياسية والفكرية في مصر ولم تكن ثورة لتيار بعينه؟

ذلك كان من ضمن رأي الثورة ذاتها، فهي كانت في حاجة إلى سند شعبي حيث كانت في ذلك الوقت تفتقر إلى هذا السند ولم تكن قد بدأت التكفير في تنظيماتها السياسية الخاصة التي بدأت بهيئة التحرير ثم الاتحاد القومي ثم الاتحاد الاشتراكي فيما بعد، لذلك اعتمدت في أول الأمر على حركة «الإخوان المسلمين»؛ لأنها حركة منظمة ولها امتداد شعبي في كل الآفاق.

إشكالية الصراع:

دعنا نتوقف عند إشكالية الصراع بين ثورة يوليو وحركة الإخوان

المسلمين والسؤال: لماذا لم يحاول الإخوان استيعاب الثورة، بل حاولوا في البداية فرض وصايتهم عليها، وقد قرأت قبل أيام في مقال لأمين هويدي أن الإخوان حاولوا فرض وصايتهم على الثورة منذ أيامها الأولى من خلال اشتراط تحرير كافة القرارات والخطوات التي تتخذها الثورة على قيادة الإخوان قبل إعلانها، وهو ما اعتبر ازدواجية في السلطة إلى جانب كونه وصاية؟

لقد فهم الإخوان المسألة أنهم شركاء في الثورة في أول الأمر ومن مقتضى الشراكة أن الشريك لا يبرم أمرًا ذا بال إلا بمشاورة شريكه الآخر، لكن تبين بعد ذلك أن رجال الثورة لم يقبلوا هذه الشراكة وقد نشروا وأذاعوا ذلك بالفعل وقالوا: إن الثورة لا تقبل وصاية من أحد وأحسب أن تلك المسألة بالذات هي نقطة الخلاف بين كثيرين من قيادات الجماعة والأستاذ حسن الهضيبي المرشد العام للجماعة ... فقد كانوا يظنون أن يوليو ثورة تعبر عن الإخوان المسلمين، بينما هو رفض ذلك التصور وأعلن أنها ليست ثورة الإخوان؛ ولذلك سرعان ما تكشفت الأمور ووقع الصدام بين الثورة والإخوان.

شخصية الهضيبي:

يرى البعض أنه لولا شخصية الهضيبي كقاض وعدم إدراكه لطبيعة رجال الثورة وبشكل خاص جمال عبد الناصر، ولو أنه رأى الهضيبي أحسن التعامل مع هؤلاء الضباط ونسي شيئًا من طبيعته القضائية لما احتدم الصراع بين الجانبين ولسارت العلاقة بين الثورة والإخوان في توازن مطلوب، هل توافق على هذا الطرح؟

أعتقد أن ذلك ينطوي على ظلم لشخصية الأستاذ الهضيبي، فلقد تبين أن نظرته تجاه الثورة كانت أبعد وأعمق من هؤلاء الذين ظنوا أن الثورة للإخوان وأن رجالها ينتمون إليهم، وأذكر أنني في أوائل الثورة توجهت إلى الصعيد في رحلة دعوية بدأت من الفيوم وبني سويف والمنيا وأسيوط وسوهاج وقنا والأقصر وإسنا وكوم أمبو وأسوان، وإنني قابلت في قنا بعض ضباط الشرطة من المنتمين إلى جماعة الإخوان وشكوا لي أنهم نفوا إلى الصعيد بعد قيام الثورة. بأوامر من جمال عبد الناصر.

هل ذكروا جمال عبد الناصر بالاسم؟

نعم ... ذكروه بالاسم وقد عرفنا من البداية مدى تأثير وقوة ونفوذ جمال عبد الناصر.

أريد أن أخلص من ذلك إلى أن الصراع وقع مبكرًا بين الجانبين، وكان لا بد أن يحدث حتى ولو لم يكن هناك الأستاذ الهضيبي ... غير أنني أرى أنه لم يكن هناك ضرورة لهذا الصدام الدامي.

لم يكن ضروريًّا:

هل ترى أن الثورة كانت سببًا في احتدام هذا الصدام الدامي؟

في اعتقادي إنه لم يكن ضروريًّا الصدام مع الإخوان بهذا العنف ... لقد اصطدمت الثورة مع الإخوان منذ يناير (1954م).

قاطعنا الشيخ: مع ملاحظة أن الثورة عندما قررت حل جميع الأحزاب التي كانت قائمة في عهد الملكية ابقت فقط على تنظيم «الإخوان المسلمين»، كما أن عبد الناصر بعد قيام الثورة توجه إلى قبر الشيخ حسن البنا ... ألا

يعتبر ذلك مؤشرات ودية تجاه الإخوان وليس مبعثًا للصدام؟

هذا ما طمأن الإخوان في البداية وكانوا يصفون ضباط الثورة «بأنهم جماعتنا» خاصة أن عبد الناصر آثر عندما زار قبر الشيخ البنا المضي في منهجه ... وهو ما أعطى نوعًا من الطمأنينة على هذا الصعيد غير أنه في الوقت الذي توجه فيه عبد الناصر إلى قبر البنا كنا نحن في المعتقل ... ولا شك أن العنصر الشخصي بين الأستاذ الهضيبي والرئيس جمال عبد الناصر وعدم الاستلطاف بين الرجلين كان له تأثيره في حدوث الصدام بين الثورة والإخوان وصل إلى حد العنف، فما وقع على الإخوان من جراء العنف لم يكون هينًا، وأذكر في هذا الصدد أنه في يناير (1954م) جرت حملة اعتقالات موسعة ضد الإخوان ... وفي أواخر شهر مارس أفرج عنهم إبان أزمة مارس بين محمد نجيب من ناحية ومجلس قيادة الثورة بزعامة عبد الناصر من ناحية أخرى، وقد زار عبد الناصر بعد الإفراج عن الإخوان الأستاذ حسن الهضيبي في منزله كمبادرة على المصالحة واعتذار وبدء صفحة جديدة في العلاقة بين الطرفين، ولكن يبدو لي أنه كان من قبيل التكتيك حتى تمر أزمة مارس ويتمكن عبد الناصر من فرض قبضته والإمساك بزمام الأمور. فما كاد يتخلص من محمد نجيب حتى بدأت اعتقالات الإخوان من جديد.

أخطأ الإخوان:

لكن يبدو لي أنك تلقي المسئولية في احتدام الصراع بين الطرفين على الثورة وتحديدًا زعيمها عبد الناصر ... ألا تعتقد أن ثمة أخطاء من قبل الإخوان تجاه الثورة أسهمت في تأجيج الصراع، و ... ألم يكن بوسع الإخوان

أن يقدموا على بعض الممارسات التي تخفف من التوتر مع الثورة؟

أجل ... كان يمكن ذلك لو اتخذت أساليب أكثر ليونة بشرط أن يكون هناك تجاوب من الطرفين أيضًا، فإذا أقدم طرف على خطوة إلى الأمام يتعين أن يقابل بخطوة مماثلة حتى تكون النتيجة في محصلتها إيجابية.

هل تعتقد أن ثمة قوى خارجية أذكت هذا الصدام ودفعت باتجاه تعميقه بين الثورة والإخوان؟

لا أستبعد ذلك وإن كنت عادة في تفسيري للأحداث لا أحاول أن أركز على مسألة التفسير التآمري ولكن قطعًا كانت ثمة جهات يهمها إذكاء هذا الصراع حتى ولو عن طريق إيحاءات معينة.

وأتوقف هنا عند واقعة ذات دلالة فقد كلفت الثورة الأستاذ حسن الهضيبي باللقاء مع مسئول إنجليزي اسمه «إيفانز» وطلبت منه أن يتشدد على صعيد المطالب الوطنية حتى يمكن توظيف هذا التشدد في مفاوضات الجلاء، ولكن بعد ذلك اعتبر ذلك خيانة من الهضيبي وأنه اتصل بالإنجليز من وراء الثورة.

على أية حال ... إنني أرى أنه ليس هناك ما يمنع من اختلاف القوى المتباينة في وجهات النظر ... لكن ما أنكره على ثورة يوليو في هذا السياق هو ضربها بعنف وبيد من حديد واستعمال البطش والتعذيب والتنكيل إلى الحد الذي رأيناه في السجون الحربية.

ألا تعتقد أن ثمة مبالغة من قبل الإخوان على هذا الصعيد؟

لا ... إنني أعتقد أن كل ما قيل عن هذه العمليات لا يمكن أن يصور

الحقيقة كما شوهدت ... إن القلم يعجز عن تصويرها ...

هل كان يعلم؟

هل كانت عمليات التعذيب بعلم زعيم الثورة جمال عبد الناصر؟

إنني أستعين هنا بقول شاعر عربي قديم:

إذا كنت لا تدري فتلك مصيبة أو كنت تدري فالمصيبة أعظم

فإذا كان لا يدري وتركنا لحمزة البسيوني وهؤلاء الناس الغلاظ والقساة الذين تحدوا الله في سمائه. لقد كان يقول حمزة: هاتوا ربكم وأنا أضعه في زنزانة.

هل هناك ما يوثق مثل هذه الأقاويل ... ألا ترى أن المبالغة تصبغها؟

هذا كلام شهدناه وسمعناه وشخصيًّا تعرضت لتعذيب حمزة البسيوني في الاعتقال الثاني لي ضمن مجموعات الإخوان الذين اعتقلوا بعد حادثة المنشية في (1954م).

حادث المنشية:

لنتوقف قليلًا عند حادث المنشية. هل في رأيكم من تدبير «الإخوان المسلمين» أم محض تمثيلية كما تقول قيادات إخوانية عدة آخرها مأمون الهضيبي؟

إنني أستطيع أن أؤكد يقينًا أن «الإخوان المسلمين» كجماعة لم تدبر أو تنفذ عملية حادث المنشية إنما يحتمل أن يكون قد قام بها «هنداوي وجماعته».

أشرت إلى أنك تعرضت للتعذيب على يد حمزة البسيوني؟

بداية أشير إلى أنه بعد حادث المنشية وقعت حملة اعتقالات ضد عناصر الإخوان المسلمين في مطلع نوفمبر (1954م)، ولكن تمكنتُ من الهرب والاختباء فترة من الزمن، وأخذت أنتقل من مكان إلى آخر، وانتهى بي المطاف لدى بيت خالتي، واستطاعت أجهزة الأمن أن تتعرف على مخبئي وقبضت عليَّ بالفعل ... كما قبضت على خالتي وسُجنت بتهمة التستر عليَّ ... وظلت قضيتها مؤجلة في القضاء حتى هدأت الأمور بعد ثلاث سنوات وحكم عليها بالبراءة ... ويوم محاكمتي أنا أنكرت بالطبع كل التهم التي نسبت إليَّ كما فعل غيري من الزملاء ...

ولكن حمزة بسيوني كان يواجه هذا الإنكار من أي شخص بعقاب شديد ... ووقتها كنا مجموعة من المحلة وبسيون وطنطا ... نحاكم معًا ... وفي منتصف الليل فوجئنا بمن ينادي علينا ثم أوقفونا في طابور وأمرونا بالجري والركض والسياط تلهبنا على مدى ساعتين ... ثم جاءني حمزة البسيوني وطلب مني أن ألقي خطبة، فقلت له: إن المجال لا يناسب ذلك، فطلب مني أن أغني، فقلت له: لست مغنيًا، فطلب مني مرة أخرى أن أختار بينهما إما أن ألقي خطبة أو أن أغني «غنيوة» على حد قوله.

وكان البسيوني قد حدد ثلاث فئات للعقاب تتراوح بين (10 و20 و50) كرباجًا، وكنت مصنفًا ضمن فئة الـ (50) كرباجًا (فلكة)، وبالفعل ضربتُ بالكرباج (50) مرة، وما زالت آثار الضرب في ساقي ... تؤلمني إذا ما تعرضت لأي «خبطة» فيها.

ورفع الشيخ جلبابه قليلًا، وأرانا بقايا الضرب، لكنه لم يشأ أن يلتقط المصور صورة لها.

وذات مرة سمعتُ من ينادي باسمي، فخرجت من زنزانتي، فسألني الشاويش المسئول عن التعذيب، وأذكر أن اسمه الأول «أمين»، فسألني عما فعلته، فنفيت له، فقال لي: أنت معروف لك (15) كرباجًا، فسألته: على أي أساس، ويبدو أن الرجل تعاطف معي؛ لأنني لم أرتكب ما أستحق عليه الضرب بالكرباج، فأبلغني أنه سيقوم بتوجيه الضربات على الأرض، وعليَّ أن أصرخ مدعيًا شعوري بالألم ... والمفارقة أن هذا الشاويش من أقسى مسئولي السجن، ولكنه كما يبدو لم يجد مبررًا حقيقيًّا لمعاقبتي، وبالفعل حدث ما اتفقنا عليه، وطلب مني بعد آخر ضربة أن أركض حافيًا حتى يشعر من يتابعني أنني غير قادر على ارتداء الحذاء من شدة الألم.

وأخذت أسأل عن سر هذا القرار بمعاقبتي فجأة، فأرجعته إلى حمزة البسيوني؛ لأنه زاره في اليوم ذاته شقيق له اسمه عمر البسيوني يعيش في المحلة، وربما حدثه عني وعما كنت أصنعه في المحلة ... ولم أجد تفسيرًا لهذه الحادثة سوى ذلك ... وأحسب أن تلك المعاملة القاسية تركت بصماتها في نفوس الإخوان، ومهما تحاول أن تداوي جراحاتنا فإن المرارة لا تغادرنا، وهو ما أكدته بعد ذلك محنة العام (1965م)، والتي أخذت «الحابل بالنابل»، وهي المحنة المرتبطة بقضية سيد قطب رغم أن تنظيمه كان محدودًا بمجرد مجموعة صغيرة من الإخوان، لكن الأمن اعتقل الآلاف من عناصر الإخوان والذين اعتقلوا من قبل، واستخدمت معهم من أدوات التعذيب ما لم يستعمله أحد.

لماذا استمر العنف؟

لماذا استمر هذا العنف الشديد بين الثورة والإخوان؟ معنى ذلك أن الأمر لم يكن مجرد رد فعل على أحداث معينة كحادث المنشية واستمر العنف حتى مع محدودية التنظيم في (1965م).

في ذلك الوقت كان الشيوعيون قد وثبوا إلى السلطة وأجهزة الإعلام والتوجيه، وكان لهم بدون شك تأثيرهم، وأعتقد أن ذلك حدث بعد (1961م) عقب الإعلان عن القرارات الاشتراكية والبدء في عمليات التأميم، وقد بدا لنا أن الشيوعيين أصبحوا هم المتحكمين ... وأحسب أن ذلك من الأمور التي أثرت على فكر المرحوم سيد قطب ... وربما استطاع الشيوعيون أن يقنعوا عبد الناصر أن الإخوان هم خطر مستمر على الثورة، وإذا لم يسارع بالقضاء عليهم سيبادرون هم بالقضاء عليه «يتغدى بهم قبل أن يتعشوا به».

إجهاض التجربة:

لكن ألم يكن لدى الإخوان توجه حقيقي للسيطرة على الثورة وإجهاض تجربتها، خاصة أن الإخوان كان لديهم «تنظيم سري قوي».

إنني أرى أن الإخوان لم يكن لديهم توجه للاستيلاء على السلطة سواء في الخمسينات أو السيتنات ... كانوا يدركون أن ذلك يتطلب مقومات معينة.

لكن بماذا تفسر وجود تنظيم سري لدى الإخوان؟

هل يستطيع التنظيم السري بمفرده أن يقلب نظامًا يقوم على قوة عسكرية وبحوزته الجيش والشرطة ... ذلك لم يكن واردًا في تفكير الإخوان مطلقًا في تلك الفترة، وهو ما فكر فيه تنظيم صالح سرية عندما حاول أن يسيطر على

الكلية الفنية العسكرية وغيرها من المنشآت بهدف طلب الاستيلاء على الحكم ... وهو تفكير صبياني.

باب القصور الذاتي:

لكن الإخوان لم يحلوا تنظيمهم السري واستمر العمل؟

استمر من باب القصور الذاتي يؤدي بعض الأدوار، من ضمنها التربية العسكرية والأمور الجهادية، ولكن لم يكن الهدف الاستيلاء على الحكم، فذلك يتطلب شروطًا معينة ربما الهدف من وجوده كان يتمثل في الدفاع عند اللزوم إذا ما تعرضت الجماعة أو الدعوة لاعتداء ... ربما كان ذلك واردًا في حسبان القائمين على التنظيم الخاص للإخوان ...

على أي حال أقول بوضوح وصراحة: إن الصراع بين ثورة يوليو وجماعة الإخوان المسلمين، لم يكن في مصلحة مصر ولا من مصلحة العرب ولا من مصلحة المسلمين ... فلو أن هاتين القوتين: الثورة والإخوان اتفقتا لكان في ذلك الخير لهذه الدوائر أو المستويات الثلاثة.

كيف تفسر انضمام بعض العناصر القيادية في جماعة الإخوان لثورة يوليو؟ والبعض منهم أصبح وزيرًا؟

لا أحب أن أتهم أحدًا، ولكن الثورة طلبت من الإخوان ترشيح بعض الأسماء للدخول في الوزارة الأولى فرشح الأستاذ الهضيبي وحسن عشماوي وثالثًا لا أذكره، لكن عبد الناصر كان يريد أسماء ذات بريق ... مثل الشيخ أحمد حسن الباقوري والشيخ محمد الغزالي، ولكن الجماعة رفضت؛ لذلك استقال الشيخ الباقوري من الإخوان ودخل الوزارة، ثم دخل وزارات الثورة

فيما بعد الدكتور عبد العزيز كامل بعد أن خرج من السجن واستمر وزيرًا للأوقاف وشئون الأزهر ثم نائبًا لرئيس الوزراء. كما دخل وزارات الثورة فيما بعد الدكتور أحمد كمال أبو المجد.

هل اعتبرت قيادة الإخوان قبول هذه الشخصيات بدخول وزارات الثورة إيذانًا بانفكاكهم عن الالتزام بحبل الجماعة؟

البعض اعتبره كذلك بالفعل والبعض الآخر استفاد من وجود شخص كالشيخ محمد الغزالي مسئولًا في وزارة الأوقاف والشيخ سيد سابق، فقد كان الغزالي رحمه الله هو الباب المفتوح والصدر الحنون لكل صاحب مشكلة من عناصر الجماعة، ولعل حكمة إلهية كانت وراء عدم اعتقاله في ذلك الحين.

صعود رغم الصراع:

رغم الصراع بين الإخوان والثورة واصلت صعودك خلال التحاقك بكلية أصول الدين وكنت الأول على (500) طالب من خريجي خمس كليات بجامعة الأزهر، ثم حصلت على شهادة تعادل الماجستير، ثم حصلت على الدكتوراه. ألا يشكل ذلك نوعًا من التسامح من قبل الثورة تجاه عناصر الإخوان، وبالذات تجاه شخص كانت له أدوار وأنشطة ضمن الجماعة واعتقل مرتين؟

الثورة في ذلك الوقت لم تكن تتدخل في شئون التعليم والكليات والجامعات إلى حد أن تأمر بنجاح هذا أو رسوب ذاك ... ربما حدث شيء من هذا القبيل في فترات لاحقة، وفي الحقيقة لم تتدخل الثورة في مساري التعليمي، ولكن تدخلت بعد ذلك في منعي من الوصول إلى حقي ففي عام (1954م) عندما

حصلت على الشهادة العالمية أو إجازة التدريس، وكان كما قلت ترتيبي الأول عينت مدرسًا في معاهد الأزهر، ثم اعتقلت، وبالتالي سقط تعييني. وبعد أن تم الإفراج عني في (1956م) قدمت طلبًا للالتحاق مدرسًا بالمعاهد الأزهرية، وكان اسمي أول المقبولين لأن مجموعي هو الأكبر بين المتقدمين، ولكن المباحث العامة اعترضت على اسمي، والتي أصبح اسمها بعد ذلك مباحث أمن الدولة ... فمنعت من أي عمل يتصل بالجمهور سواء في التدريس أو الوعظ أو الخطابة ... غير أنهم عندما احتاجوني أيام العدوان الثلاثي في (1956م) طلبوني من قريتي وملكوني مسجدًا بالزمالك بالقاهرة لأخطب فيه للمساهمة في استنهاض الهمم ورفع الروح المعنوية، وأمضيتُ عامًا في المسجد، وبعد أن رأوا أن الناس يلتفون حولي مُنعتُ مرة أخرى.

قراءة مغايرة للصراع:

ثمة قراءة للصراع بين الثورة والإخوان تقول: إنه لم يكن موقفًا من الثورة ضد الإسلام ... وأن الأمر هو مجرد صراع بين مجموعتين سياسيتين كلتيهما تحاول أن تقصي الأخرى وليس صراعًا بين علمانية وإسلام وشيوعية وإلحاد وإسلام كما يحاول البعض أن يفسره؟

لقد تناولت ذلك بقدر من التفصيل في كتاب لي بعنوان «الحلول المستوردة ... وكيف جنت على أمتنا؟» ... وأوضحت هذا الصراع وأسسه الأيديولوجية والعسكرية ونظرية القومية، وذكرت أن القومية ارتدت لباسًا علمانيًّا، وقلت: إنه ليس هناك ما يمنع من الإيمان بالقومية العادية كالقومية العربية، فصلتها بالإسلام قوية فالعربية لسان الإسلام والعروبة وعاء الإسلام ورسول الإسلام عربي وكتاب الإسلام عربي والأرض التي انطلق منها الإسلام عربية

والصحابة هم الذين نشروا الإسلام في العالم وحفظوا لنا القرآن ورووا لنا السنن وهم من العرب.

المساجد الكبرى في أرض العرب: المسجد الحرام - المسجد النبوي - المسجد الأقصى ... إذن الصلة بين العروبة والإسلام قوية جدًّا، لكن المشكلة أن القومية في ذلك الوقت ارتدت لباسًا علمانيًّا ... لدرجة أن البعض اعتبر القومية العربية نبوة جديدة: وقد ذكر أحدهم ذلك بالفعل. وقد أشار إلى ذلك بعض الغربيين عندما قالوا عنها: «أديان بغير وحي»، وبالتالي فإن أصحاب القومية بهذه الصيغة أرادوا أن يجعلوا منها مضادًا للفكرة الإسلامية. وهنا يكمن الخطر ثم أعطوها مضمونًا اشتراكيًّا علمانيًّا مستندًا إلى بعض أفكار الماركسية، وهو ما بدا واضحًا في الميثاق الوطني الذي وصفه البعض للأسف بأنه قرآن الثورة ... لذلك حينما وقف الشيخ محمد الغزالي في المؤتمر القومي الذي عقد لمناقشة الميثاق في (1962م)، إن لم تخني الذاكرة وتحدث فيه عن وجوب العودة إلى التشريع الإسلامي وضرورة أن يكون لنا شخصيتنا ... تجاوب معه المشاركون في المؤتمر وبالتصفيق الحاد.

وقد علق على ذلك الصحفي المشهور في ذلك الوقت محمد التابعي بقوله: إنني أعجب من الذين صفقوا للشيخ الغزالي، وكنت أعتقد أن الذين صفقوا له ثلاثة أرباع أعضاء المؤتمر، لكن أحدهم صحح لي ذلك بأنهم تسعة أعشار، وقد انهالت على الشيخ الغزالي بعد ذلك الشتائم من هنا وهناك ورسوم كاريكتارية انتقدته بشدة على طرحه، ومنها رسوم صلاح جاهين لدرجة أن الناس هاجت ونظمت مظاهرات للدفاع عن الشيخ الغزالي ...

إذن القومية العربية المضمنة بالمحتوي الاشتراكي المستند إلى كثير من

الأفكار الماركسية هو الذي أعطى للثورة هذا الوجه الذي تتحدث عنه.

الثورة والإسلام:

ما زلت أسأل ... هل كان لثورة يوليو موقف مناهض للإسلام؟

أجل ... لم يكن للثورة موقف مناهض ضد الإسلام كدين ... ولكنها اتخذت موقفًا منه كشريعة ... والإسلام كما يعلم الجميع عقيدة وشريعة دين ودولة، والثورة لم ترفض الإسلام كعقيدة، لكنها رفضت الإسلام كمنهاج يصبغ الحياة العامة.

لكن الطرح الإخواني كان ملتصقًا ببعض أدوات العنف، وبعض محاولات الاحتواء للثورة ألم يكن ممكنًا أن يقدم الإخوان طرحًا يستميل عقول وقلوب رجال الثورة؟

أولًا: لم يستخدم الإخوان العنف مع الثورة، لا قبل الحل الأول - للإخوان - في يناير (1954م) ولا بعد ذلك، غير قضية المنشية، وهذه يشكك البعض - مثل حسن التهامي وغيره - في مصداقياتها، وأقصى ما عندي فيها أنها يقينًا ليست من تدبير جماعة الإخوان.

لماذا تستبعد قيام الإخوان بحادثة المنشية؟

لأنه لا دليل على ذلك إطلاقًا.

ألا يعد الأمر صراعًا بين جماعتين كلتاها تريد الإمساك بالأمور؟

الإخوان لم يكونوا يريدون الإمساك بالأمور، لكنهم كانوا يريدون أن يكون لهم خط في الصورة، وكثير من ضباطهم لهم دور فيها، فعبد المنعم عبد

الرءوف، وهو الذي حاصر سرايا رأس التين، وعدد من ضباط الإخوان: عبد المنعم أمين وغيره لهم دور، وتعرفون أنه في بداية الثورة حدث صدام مع بعض الضباط ذوي الاتجاه الديني مثل رشاد مهنا ومحسن عبد الخالق ... وبدأ وجه غير مريح للثورة أول الأمر.

أقول: إن الثورة لم تقف ضد الإسلام كعقيدة، لكنها لم تقبل الإسلام كمنهاج للحياة واختارت القومية العربية بالصيغة التي ذكرتها من قبل، كأساس أيديولوجي للحياة.

أي علمانية؟

نعم أيديولوجية علمانية.

دعنا نكون في مصارحة: لقد حققت الثورة عددًا من الإنجازات والحقائق على الأرض - اجتماعيًّا وسياسيًّا - فيما يتعلق بالإنسان المصري: العلاج المجاني، التعليم، المساكن التي ما زالت رخصية «جنيهان» حتى لو كان عليها ملاحظات، التصنيع ... هل تتعارض هذه الإنجازات التي حققتها الثورة مع رؤية الإسلام، بمعنى أنه هل ما أنجزته الثورة على هذا الصعيد كان ضد رغبة الإخوان المسلمين، ألم تكن هذه الإنجازات مدخلًا لتوافق الإخوان مع الثورة؟

إنجازات الثورة:

رحَّب الإخوان بمنجزات الثورة الاجتماعية هذه، وكان لهم ملاحظات أظهروها في بعض بياناتهم، وكان لهم بيان مشهور أظهروه بعد الثورة وبه بعض نظراتهم في الإصلاح الاجتماعي والاقتصادي ... كان أول من دعا

من الإخوان إلى تحديد قانون الملكية هو الشيخ محمد الغزالي في بعض كتبه، وأعد مشروعًا بذلك، وكان الأستاذ الهضيبي موافقًا على ذلك مع اختلاف على كمّ الملكية، هذه الإنجازات باركها الإخوان.

ما هو موقفك منها شخصيًّا؟

أنا شخصيًّا أباركها وأرحب بها.

رغم إنها أجهضت في عصر الانفتاح، فلم تعد هذه الإنجازات تمثل إلا تاريخًا؟

أرى أن هناك مظالم حدثت في تطبيقات هذه الإنجازات الاجتماعية للثورة؛ ففي الإصلاح الزراعي حدثت مظالم لأصحاب الأراضي الزراعية وأهين الكبار في دورهم وعوملوا معاملة ظالمة وقاسية، وبعض هذه الممتلكات استفاد منها بعض الضباط - ضباط الثورة -، وهذه أشياء كتبت وكشفت ...

الثورة والمجانية:

اتهم ضباط الثورة بأنهم نقلوا مجوهرات أسرة محمد علي وباعوها في أوروبا، أخيرًا صدر تقرير هذا الأسبوع نفى ذلك تمامًا وكل المجوهرات موجودة في متحف بالإسكندرية لم يخرج منها شيء، إنها حرب من أطراف أخرى ضد ضباط الثورة ... ألم يمارس الإقطاع مع الفلاحين أسوأ من تلك المظالم قبل الثورة ... ونحن الجيل الجديد لم نتعلم إلا من الثورة؟

الاتجاه إلى مجانية التعليم بدأ حقيقة قبل الثورة، فنحن نذكر كلمة طه حسين، وهو وزير في وزارة الوفد «ينبغي أن يكون التعليم كالماء والهواء».

وقد وسعت الثورة الأمر، لكن الشعار كان موجودًا وبدأ فعلًا قبل الثورة، وما أنجزته الثورة في هذا المجال ينبغي أن يُرحب به.

وحينما أعلن جمال عبد الناصر قرار تأميم قناة السويس بعد خروجنا من السجن الحربي بشهر، وقد خرجنا في (16) يونيو (1956م)، بعدها احتفل بعيد الجلاء، وبعدها بمدة في (26) يوليو حدث هذا التأميم، وتصور أن الإخوان كلهم وقفوا مع قرار التأميم، وكلنا أيدنا هذه الخطوة، وبعض الإخوان ذهب ليتطوع في جهات التطوع المختلفة وسلموا أنفسهم لها، ونسوا جراحاتهم وآلامهم ... هذا يجب أن يذكر للإخوان. وقد ذكرت من قبل أن الإخوان أحضروني من قريتي «صفط تراب» لأخطب في هذا الأمر وأشعل الروح المعنوية في الناس ...

أذكر أنه بعد قيام الجمهورية العربية المتحدة، أي الوحدة مع سوريا، وكنت أخطب في جامع الزمالك، وجاء بعض الضباط لحضور خطبتي عقب هذه الوحدة وقالوا: والله، هذه كان يجب أن تسجل وتوزع على مستوى الجمهورية. وكان الأستاذ محمد أنس الحجاجي من الأقصر حاضرًا، وهو أحد أدباء الإخوان، وكان متيمًا بحسن البنا ... وعلق قائلًا: حتى تعرفوا أنه لا أحد يقوم مقام الإخوان في مثل هذه القضايا ... ولقد وفقني الله في الكلام عن الوحدة، وأهمية الوحدة، وما قامت به في التاريخ، وما يمكن أن تقوم به في الحاضر.

فالإنجازات التي قامت بها الثورة لا ننكرها، ولكن شابتها شوائب، وكما ذكرتم جاء عصر الانفتاح وذهب وصار تاريخًا. وبعض هذه الأشياء فيها كثير من المظالم: والله فيها ظلم كثير، بعض الناس يعيشون في شقق في حي

جاردن سيتي والزمالك في أرقى مناطق القاهرة بجنيهات قليلة وهي تساوي آلافًا الآن ...

لقد حدث تعديل الآن في هذا القانون المتعلق بإيجارات المساكن القديمة؟

كان هناك أسر تعيش من هذا الدخل، وربما كان دخل هذه المساكن لا يساوي دخل البواب القائم على هذه العمارة.

هل انتهت ثورة يوليو؟

يقول بعضهم إن الثورة قد انتهت بموت عبد الناصر، لكن شرعيتها ما زالت مستمرة، ومنها تستمد الأنظمة والحكومات المختلفة في مصر شرعيتها. ما هي رؤيتكم؟

ما زلت أرى أن ثورة (23) يوليو هي التي تحكم مصر إلى الآن، وهذا هو الواقع من خلال المبادئ، ومن خلال الامتداد والأيدلوجيا العلمانية.

ولكن لي كتاب يظهر قريبًا قسمت فيه العلمانية إلى مستويين: علمانية قريبة ومعتدلة، وعلمانية متطرفة، فعلمانية مصر ليست من النوع المتطرف. وذكرت نموذجين للعلمانية المتطرفة: نموذج تركيا، ونموذج تونس، لكن العلمانية في مصر ليست من هذا النوع الذي يرفض الإسلام، فيعتبر الصلاة كأنها جريمة كما في تركيا، والحجاب جريمة، والأخت التي تلبس الحجاب لا يجوز لها أن تدخل المدرسة أو الوظيفة الحكومية أو أي وظيفة من وظائف القطاع العام، أو تدخل المستشفى للعلاج أو الولادة وهذا لا يوجد في مصر، ففيها نوع من العلمانية، لكنها ليست العلمانية المتطرفة المغالية في بعض البلاد.

مع تولي السادات السلطة حدث توافق بين النظام في مصر وجماعة الإخوان المسلمين، هل كان ذلك رد فعل لموت عبد الناصر؟

أعتقد أن السادات أراد أن يتجه وجهة جديدة تظهر تميز شخصيته وسياسته عمن سبقه، فبدأ يتيح الفرصة للجماعات الإسلامية.

هل هي إتاحة فرصة أم تحالف حقيقي؟

لا. لم يكن هناك تحالف، وكل ما في الأمر أنه لم يُضيّق عليهم، ترك لهم الحرية في التعبير، والبعض يقول: إن السادات هو الذي صنع الصحوة الإسلامية. وهذا غلط؛ كل ما صنعه هو أنه ترك لهم الفرصة كما كانت متروكة للعلمانيين، وللشيوعيين وللقوميين، وللفئات المختلفة ... والإسلام إذا تُركت له الحرية، فلا شك أنه يسبق ويتفوق ويمتلك الساحة؛ لأنه هو التيار الوحيد المعبر عن ضمير الأمة، نحن في مصر خاصة وأكثر البلاد العربية والإسلامية: الدين هو جوهر الحياة، وهو المحرك الأول للناس، وهو المتجاوب مع فطرة الشعب؛ ولذلك حينما تتهيأ له الفرصة يتجاوب الناس معه، وقد جربنا هذا: ففي حرب (1967م) كانوا يقولون: الاشتراكية والثورية، ومثل ذلك. وفي حرب (1973م) أو (1393هـ، كما أفضل) في العاشر من رمضان وليس (6) أكتوبر (73) كان الشعار: الله أكبر. وحينما هبّت نفحات رمضان على الجنود المصريين صنعوا الأعاجيب في القناة، واقتحموا خط بارليف، وأبطلوا القوة التي لا تقهر؛ قوة «إسرائيل»، فالدين أساس في هذه الحياة.

أقول: لا نريد معونة من حاكم، لكن كل ما نريده هو إتاحة الفرصة،

فالمعركة بين الحركة الإسلامية والحكومات هي أن الحكومات لا تريد أن تعطيها الفرصة.

عنف الحركة الإسلامية:

لكن هذه الحركة الإسلامية تستخدم العنف أحيانًا في حوارها مع السلطة، فالسلطة هنا لا بد أن تثبت وجودها، حيث تفكر الحركة الإسلامية وتظن أن بمقدرتها التغلب على الدولة الحديثة؟

أي عنف في الحوار؟

هناك ممارسات خاطئة تمت لبعض هذه الجماعات، واستخدمت الجنازير في الصراعات بين بعضهم بعضًا في الجامعات.

هذا تيار آخر ... ليس هو تيار الإخوان ...

في رأيكم: هل استخدم السادات الجماعات الإسلامية بالفعل في حربه ضد الناصريين والشيوعيين، وكانت هناك مساجلات بين محمد عثمان إسماعيل محافظ أسيوط السابق وآخرين حول دوره في إنشاء هذه الجماعات؟

هذه الجماعات تشكلت تشكلًا طبيعيًّا حينما أتيحت الفرصة، ولم تكن هناك جماعة رسمية ينضم إليها هؤلاء الشباب، فبدأ هؤلاء الشباب في الجامعات ينشئون هذه الجماعات، وكانت مفصولة تمامًا عن الإخوان حقيقة، وعن أي تيار تنظيمي.

إذًا، الجماعات الإسلامية ليست من عباءة الإخوان كما شاع؟

أبدًا، في أول أمرهم لم يكونوا من عباءة الإخوان، هذه الجماعات نشأت

نشأة تلقائية، وربما كان للإخوان تأثير فيهم، كانوا في فترة من الفترات ليس لهم ارتباط تنظيمي بالإخوان؛ لأنني عاصرت ذلك، وكان يغلب على هذه الجماعات تيار التشدد في أول الأمر، وما زال الدعاة المعتدلون ومنهم: شيخنا الشيخ الغزالي رحمه الله، والفقير إلى ربه - يعني: الشيخ القرضاوي نفسه - كنا من المتابعين لهؤلاء الشباب في الجامعات، نحضر مخيماتهم، ونلقي فيها المحاضرات، ويزوروننا في البيوت ...

كان تيار التطرف والتشدد يغلب عليهم أول الأمر، فما زلنا بهم حتى تحولوا إلى تيار الاعتدال، وأصبح التيار المعتدل هو الغالب على هذه الجماعات الإسلامية، خصوصًا الفئات الأولى منهم: عصام العريان، عبد المنعم أبو الفتوح، حلمي الجزار.

أذكر أنه في فترة من الفترات كان هؤلاء الشباب يتساءلون: هل من المصلحة أن ننتمي إلى جماعة الإخوان أم نبقى هكذا؟!

بِمَ كنت تشير عليهم؟

والله، أقول لك بصراحة: إنني كنت أول الأمر أميل إلى أن يبقوا تيارًا عامًّا عائمًا، وليس ملتزمًا بتنظيم لا يمكن ضبطه أو القضاء عليه بسهولة.

وحتى لا يجهض!

نعم ... لكنهم هم أنفسهم رأوا أن هناك منعطفات في طريقهم، وخشوا أن هذه المنعطفات تضيعهم؛ لأن الشباب يأتي له منعطف الوظيفة. ومنعطف التجنيد بالجيش، وعندما يتزوج ... فتتفك الصلة بالشاب ... قالوا: نحن في حاجة إلى إطار يضبط هؤلاء الشباب حتى لا يتفلتوا ... حيث لم يعد هناك

اتصال بين هؤلاء الشباب بعد تخرجهم ... فقد رأوا أن الانضمام إلى جماعة منظمة يكون أضبط لأمرهم وأدعى إلى الاستمرار؛ لأن الخشية أن يظل الشاب شعلة من الحماس ما دام طالبًا في الجامعة، ثم تنطفئ هذه الشعلة بعد التجنيد أو التخرج أو الزواج؛ لذلك انتهوا بالانضمام إلى تنظيم الإخوان - وهذا بالنسبة للأكثرية من هؤلاء الشباب، والإخوان شجعوهم على تيار الاعتدال، فالإخوان حقيقة بعد أن خرجوا من السجون أيام السادات تركوا مسألة العنف تمامًا، واتجهوا إلى تيار التثقيف والتربية والتوجيه والتغيير السلمي في المجتمع، ولم يُعرف عنهم حادثة واحدة من ذلك الوقت أنهم استعملوا العنف أو شاركوا في حادثة من حوادث العنف؛ وهذا للتاريخ.

عنف الإخوان والجماعات:

إذا كانوا حسب قولكم: قد تركوا العنف منذ خرجوا من السجون أيام السادات، فهل يعني ذلك أن تاريخهم قبل ذلك قد اتصل بدائرة العنف؟

أقول لكم بصراحة: الإخوان لم يكونوا من دعاة العنف في وقت من الأوقات، العنف الذي عرفت به جماعة الجهاد أو الجماعة الإسلامية أو الجماعات المسلحة في الجزائر؛ لم يكن هذا شأن الإخوان في وقت من الأوقات، ما هو العنف الذي اتهم به الإخوان؟ بعض حوادث كانت ضد الوجود اليهودي في القاهرة، شركة الإعلانات الشرقية ...

هذا عمل وطني ... لكن قتل النقراشي ألا يعد عملًا متصلًا بالعنف؟

نعم، وقتل النقراشي كان رد فعل لحل الإخوان.

هل كان تصرفًا فرديًّا أم بأمر من قيادة الجماعة؟

ثبت في التحقيق أنه كان عملًا فرديًّا - عبد المجيد حسين وعدد معه، فالإخوان غير مسئولة عن هذا العمل بصورة طبيعية؛ لأنها لم تكن موجودة رسميًّا، فلا يجوز لا قانونًا ولا شرعًا أن تحمّل جماعة - أنت قمت بحلها.

وماذا عن قضية قتل الخازندار في رأيكم؟

هذه قضية ثبت بتأكيد ويقين أنها عملت بغير رأي الأستاذ البنا، وأنه أنكرها بعد حدوثها، وكانت الحادثة من رأي عبد الرحمن السندي رئيس التنظيم الخاص في ذلك الوقت، ومما يدل على هذا أن الإخوان حوكموا محاكمات عسكرية ظالمة، وحكم عليهم بأقصى أنواع الأحكام في عهد الثورة أكثر من مرة، ومع ذلك لم يفكروا في أن ينتقموا من هؤلاء القضاة، حتى القضاة العسكريين ... فلم يفكر الإخوان في قتل حسين الشافعي أو أنور السادات ... حتى حمزة البسيوني فإن الله هو الذي قتله شر قتلة، انتقم القدر منه ... فكل الأحداث التي نسبت إليهم لها مبرراتها ومعظمها حوادث وطنية.

مقتل السادات:

كيف تفسر ارتباط العنف ببعض فصائل الحركة الإسلامية في مصر والجزائر والذي بلغ مداه - مثالًا - في مصر بمقتل السادات؟

الحركة الإسلامية، أو الصحوة الإسلامية ليست فصيلًا واحدًا، دائمًا هناك فصائل عدة، وأنا أتحدث عن التيار الأوسع قاعدة، والأعرض جمهورًا، والأقدم تاريخًا، والأرسخ قدمًا، والأطول عمرًا، وهو التيار المعتدل، التيار الوسطي، للأسف: جماعة التكفير والهجرة، الجهاد، الجماعة الإسلامية هي جماعات محدودة العدد، ومساحتها محدودة، ولكن للأسف الإعلام هو الذي

يضخمها لحاجة في نفس يعقوب! وليس لها انتشار في الشعب، ولكن ضخم هؤلاء دورهم ومعظم هذه الجماعات بدأت في الصعيد، وأنتم تعرفون أن الصعيد له خصوصيته، في أنه لا يقبل الضيم أو الإهانة، فكيف تأخذ واحدًا من بيته وتصفعه ... هذه فيها دماء. أو تهين أمه أو أباه وهذا كان يحدث.

إذن عنف السلطة هو الذي بدأ في مصر في عصر السادات؟

نعم ... عنف السلطة بدأ في عصر السادات، وبعض الناس تم الاعتداء عليهم في المسجد، وكانت هذه الجماعات مهيأة - التربة صالحة - ولذلك فإنهم كانوا يتهمون الإخوان أنهم خانوا مبدأهم، فقد دعوا للجهاد والآن تركوا مبدأ الجهاد، وكثيرًا ما كانت تحدث بينهم وبين الإخوان معارك بالجنازير في أسيوط والمنيا ... في الصعيد بالذات التي نمت فيها حركة العنف، والسلطة أيضًا لم تحسن معاملة هؤلاء كما ينبغي ... ظنت أن المعالجة الأمنية هي المعالجة الوحيدة ولكن العقلاء والحكماء كانوا يرون أن المعالجة الفكرية كان يجب أن تكون قبل المعالجة الأمنية ... ولذلك كاد الحكماء يصلون إلى حل مع هؤلاء الشباب حينما كان يذهب إليهم في السجون الشيخ الغزالي ود. عمارة وهويدي، واتفقوا معهم على أشياء ... لكن السلطة رفضت هذا، فالسلطة أيضًا دفعتهم للاستمرار في هذا العنف.

اتهام القرضاوي والغزالي:

ما رأيكم في الاتهام الموجه إلى فضيلتكم وإلى الشيخ الغزالي في أنكما السبب في صعود ظاهرة العنف في الجزائر؟

كان معي اليوم (الأربعاء: 2000/1/19) القائم بأعمال السفارة الجزائرية

في الدوحة زارني في المكتب، وكان من حديثه معي أن الشيخ الغزالي هو أول من دعا إلى الاعتدال. وكان التيار الغالب على الصحوة الإسلامية في الجزائر هو تيار الاعتدال، وتوّج هذا اعتراف السلطة بإنشاء حزب سياسي إسلامي، ولذلك ذهبت مع الشيخ الغزالي رحمه الله خصيصًا لنلقى الشاذلي بن جديد ونشكره ونحييه على هذه الخطوة الشجاعة بالسماح للإسلاميين بالعمل السياسي، وتحدثتْ عن ذلك صحف وإعلام الجزائر ... ونحن نريد أن نثبت هذا ...

وقد قلت لبعض ضباط الأمن الذين زاروني في القاهرة، سألوني عن رأيي في الإخوان، قلت: الإخوان طلقوا العنف، قالوا: لكنهم يقيمون تنظيمًا على خلاف القانون، قلت: ولماذا تلجئونهم إلى أن يعملوا تنظيمًا؟ اسمحوا لهم أن يقيموا تنظيمًا علنيًّا، على مرأى منكم، أهم قادمون من خارج الوطن أم نابعون من تراب أرض مصر، لماذا لا يكون لهم الحق مثل غيرهم، ويعملون كالآخرين ... لذلك، فإن خطوة رئاسة الجمهورية في الجزائر - حينما اتخذت هذه الخطوة - كانت خطوة مشكورة ... وقد اشتغل الإسلاميون في المجال السياسي على أساس اللعبة الديمقراطية ورشحوا أنفسهم في البلديات، ثم رشحوا أنفسهم في المجلس الوطني وأخذوا الأغلبية، ولكن هم الذين قطع عليهم الطريق، ولم يسمح للشعب أن يختار ما يشاء، وذلك بفعل المؤسسة العسكرية، على كل حال نرجو للجزائر في عهدها الجديد أن توفق ويوفق قانون الوئام المدني هذا ليستوعب فئات الشعب الجزائري وتحدث مصالحة ... وهذا ما نأمله في عهد الرئيس بوتفليقة، ونسأل الله أن يعمَّ السلام والاستقرار في الجزائر التي أهتم بها اهتمامًا خاصًّا.

الشباب المسلم في القرن الجديد:

ما هي الصورة التي تود أن يكون عليها الشباب المسلم في القرن الجديد؟ هل ولَّى عصر الانتماء إلى جماعة معينة؟ ما هي صورة التربية التي يجب أن يربى عليها هؤلاء الشباب؟ هل صورة الحزب السياسي في المجتمع هي الصورة المثلى؟

أرى أن العمل لخدمة الإسلام ونصرة قضاياه في هذا العصر لا يتم بالعمل الفردي ولا بالجهود المبعثرة، لا بد من عمل جماعي، والعمل الجماعي في نظري فريضة وضرورة: فريضة يحتمها الدين، وضرورة يحتمها الواقع، الدين يأمرنا أن نعتصم بحبل الله جميعًا ولا نتفرق «**وتعاونوا على البر والتقوى**»، و«**المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا**»، و«**يد الله مع الجماعة**»، «**إنما يأكل الذئب من الغنم القاصية**» ... فلا دين يأمرنا بأن نتجمع حتى نؤثر، والآن في الاقتصاد هناك ما يسمونه «الإنتاج العريض»، فالإنتاج الصغير ما عاد يستطيع أن ينافس وأن يقدر على عمل شيء أمام القوى الكبرى المنتجة، وأيضًا العمل الإسلامي في حاجة إلى عمل عريض وكبير ولذلك أقول: إن الواقع أيضًا يحتم علينا هذا، أن نحقق أهدافًا كبرى تحرر الأوطان المستعبدة، تقاوم الأخطار الأجنبية، توحد الأمة الممزقة تحقق آمال الأمة في العدالة الاجتماعية، في الحرية، في إقامة نظم شورية ترعى حقوق الإنسان وحرماته ... وهذا لا يمكن أن يتحقق بعمل فردي أو بجهود ضعيفة.

لذلك نرى غير المسلمين خصوم الإسلام يعملون بشكل تكتلات، قوى كبيرة، مؤسسات، لا يعملون فرادى، جماعات وجمعيات، فكيف نبقى نحن

نعمل وحدنا، خصوصًا أننا نحمل هموم أمة كبرى، وقضايا التخلف وقضايا التمزق وقضايا الضياع هذه لا يمكن أن تتم إلا بعمل جماعي، ولكن المسلم عليه أن يختار الجماعة التي يعمل من خلالها.

الجماعة المثلى:

هل لا بد من جماعة للعمل إذًا، وما هي صورة هذه الجماعة المثلى؟

العمل الجماعي يعني أن تنشئ جمعية أو مؤسسة أو رابطة أو اتحاد.

ليس شرطًا إذًا، أن يكون العمل الجماعي سريًّا؟

بالعكس يجب أن يكون العمل علنيًّا، فالأصل في العمل أن يكون علنيًّا، وكل ما نشكو منه السرية ولذلك نقول لماذا تجبرون العمل الإسلامي على أن يعمل سرًّا، دعوه يعمل في الهواء الطلق، افتحوا النوافذ لتهب منها النسمات.

لذلك كنت من أشد الناس الذين فرحوا بالعمل العلني في النقابات مثلًا في مصر، والعمل من خلال اتحادات الجامعات، واتحاد هيئات التدريس، واتحادات الطلاب ... لكن للأسف السلطات لم تقبل هذا، وحاربته، وأرادت أن يُحرم العمل الإسلامي من أن يعمل كغيره، سدت عليه الأبواب وأغلقت عليه الطرق.

هل كانت السرية هي البديل؟

نعم لذلك أرى أنه لا بد من عمل جماعي وعلني وأمام الناس.

وإذا رفض البديل هو العمل الجماعي السري أم العمل الفردي؟

العمل الفردي لا يجدي، فكيف تستطيع أن تقف أمام المنظمات الصهيونية

وحركاتها أو الماسوني وألاعيبها أو الماركسية وجماعاتها أو الفلسفات المختلفة وهي تعمل بشكل منظم لمؤسسات ... لا بد أن يعمل الجميع بتعاون في شكل ما، مؤسسات ثقافية لمن يعمل في الثقافة، اقتصادية لمن يعمل في الاقتصاد، خيرية لمن يعمل في الخير، تربوية لمن يعمل في التعليم ... كل واحد يعمل في الجهة التي يحبها.

يقول البعض: لا بد من حركة عالمية تستوعب جميع الحركات والجماعات في العالم ... فكيف يمكن أن يتحقق ذلك؟ وهل يمكن - إذا لم تقم تلك الحركة العالمية - أن تتعدد الجماعات والحركات في رأيكم؟

هذا حلم، لكنه ليس واقعيًّا، وليس ممكنًا أن نجمع الناس في جماعة واحدة أو حركة واحدة؛ فالناس يختلفون في الأهداف، وفي ترتيب الأهداف حتى لو اتفقوا عليها يختلفون في الوسائل والمناهج الموصلة للأهداف، ويختلفون في المفاهيم المشتركة التي تحكم هذه الحركة ... ويختلفون على الأشخاص أنفسهم ... فكيف تجمع الناس على هذا كله؟ إنه ليس من السهل ... ولكن نحن لا نرى بأسًا من تعدد الجماعات العاملة للإسلام، والحركات التي تعمل في ساحته، بشرط أن يكون بينها قدر من التنسيق والتفاهم، والتعاون، بدل أن يحاول بعضها أن يهدم الآخر ليبني نفسه، تحاول أن يكون تعاون بينها في الأمور الإيجابية، وأن يقف الجميع صفًّا واحدًا في القضايا المصيرية مثل قضية الشيشان الآن، البوسنة والهرسك، وكوسوفو من قبل، وقضية فلسطين القضية المحورية والمركزية الأولى للمسلمين، قضية أولى القبلتين والمسجد الأقصى ... هذا ما أراه بالنسبة للصحوة الإسلامية ووحدة فصائلها المختلفة.

هل تحولت الجماعة إلى تاريخ؟

باعتبار جماعة الإخوان المسلمين الجماعة الأقدم في تاريخ العمل للإسلام في العصر الحديث، هل يمكن اعتبارها تاريخًا الآن بحكم واقعها العملي في مصر وفي البلدان الأخرى، وسواء أكان مضيقًا عليها أم لا، لكنها لم تقدم بعد رسائل البنا سوى المفكرين الذين هم غير مرتبطين معها برباط تنظيمي ... والسؤال الآن: أين جماعة الإخوان المسلمين الآن؟

جماعة الإخوان المسلمين توجد في أكثر من (70) قطرًا من أقطار العالم.

ما هي مظاهر هذا الوجود؟

هناك وجود علني في الأردن «جبهة العمل الإسلامي»، في اليمن «التجمع والإصلاح» في إندونيسيا «حزب العدالة» ... في بعض البلدان لها وجود عملي، وفي الآخر لها وجود ثقافي أو اقتصادي أو خيري ... ادعاء بأن الأخوان المسلمين صارت تاريخًا ادعاء غير صحيح، ومن يقول ذلك لا يعرف شيئًا عن الإخوان، فالإخوان حركة إيجابية، وحركة متوازنة، وحركة شاملة، تشبع النهم الروحي عند الشباب المسلم، وتملأ كثيرًا من الفراغ عندهم.

وما ذكرت عن عدم تقديمها شيئًا بعد رسائل البنا ليس صحيحًا، فكل إنتاجنا هذا هو إنتاج للإخوان المسلمين، وإن كنت غير مرتبط بربط تنظيمي، لكني في خط الإخوان، وفي هذا المنهج الشمولي المتوازن، وما أنتجه البنا، وما أنتجه سيد قطب، وما أنتجه حسن الترابي، ومصطفى السباعي، وعبد القادر عودة، هناك عشرات في تراث الإخوان.

وهناك أناس ليسوا من الإخوان لكنهم في هذا الخط مثل إنتاج د. محمد عمارة، ود. كمال أبو المجد، فهمي هويدي، عادل حسين ... وهؤلاء يمشون في هذا الخط ويصبون في هذا النهر الكبير.

فالإخوان لم تعد الآن جماعة محدودة، أصبحت خطًّا إسلاميًّا، وتيارًا عامًّا، فكل من يتبع هذا التيار وينادي بالإسلام بوصفه منهاجًا للحياة ويقف في مواجهة المناهج الأخرى الليبرالية أو الماركسية، ويتميز بشموله ووضوحه وربانيته وإنسانيته وأخلاقيته وتوازنه؛ أرى أن ذلك تيار الإخوان فليس الإخوان تاريخًا.

طروحات القرضاوي:

ما هو موقف جماعة الإخوان من فكر د. القرضاوي وطروحاته؟

تبنى الإخوان مقولاتي في السنوات الأخيرة حول التعددية، وكانت مرفوضة في أول الأمر، خاصة من خلال كلام الأستاذ البنا بأن الإسلام لا يقر الحزبية ... كان يتحدث عن أحزاب زمنه، وكيف فرقت الأمة واستفاد الاستعمار من هذا التمزق ... لكنهم أقروا التعددية ... وصدر بيان منهم بذلك. وحول المرأة أيضًا، تبنوا القضايا التي تعطي المرأة حق الانتخاب وحق الترشيح وهذا تطور، استفاد الإخوان من هذا التيار وأفكاره.

تعتبر فتاوى القرضاوي علامة بارزة في الفكر الإسلامي في القرن العشرين. ما هو المنظار الذي يحكم رؤيتكم في وسطية الفتوى التي صارت مقبولة ومحل ثقة من جماهير العالم الإسلامي في كل مكان؟

في فتواي أحمد الله أني أنظر إلى الإسلام بعين، وإلى العصر بعين

أخرى، إلى الإسلام وأصوله وتراثه، والعصر وتياراته ومشكلاته، في نظري إلى الإسلام لا يهمني أن أرضي أطرافًا معينة فلا يهمني أن أرضي أصحاب السلطان، كما يفعل بعض الناس يفتون فتاوى بما تريده السلطة، أحمد الله أني لم أفعل هذا أبدًا، وقد يتفق رأيي مع بعض السلطات أو تستفيد منه، وهذا لا يضيرني، كما لا يهمني أن أرضي العوام. بعض الناس لا ترضي السلطات لكنها تحاول إرضاء الجماهير، تبحث عن أهواء الناس، فإذا كان الناس يحبون التشدد يزايدون على التشدد، وهذا للأسف ما يقع فيه بعض الناس، وهذا أخطر، أن يفتي الذي يتبع أهواء العوام لإرضائهم والمزايدة على ما يحبون: هذا أشد خطرًا ممن يتبع أهواء السلاطين.

ولماذا هذه الخطورة؟

لأن الذي يتبع أهواء السلاطين سرعان ما يكتشف ويتبين زيفه، إنما الذي يتبع أهواء العامة يصعب أن يكشف إلا عند الخاصة وذوي البصيرة من الناس ... أنا لا أتجه في فتواي إلا أن تكون الفتوى مبنية على مراعاة النصوص الجزئية والمقاصد الكلية للشريعة، فبعض الناس يتمسك بالنص الجزئي فقط، ويغفل مقصد الشرع فيقع في الأخطاء، والبعض يقول أمسك بالمقصد ولا علاقة لي بالنصوص مثل معظم الذين يدعون التجديد من العلمانيين. يقولون: إن مهمتنا أن نتمسك بالروح الإسلامية ونهمل النص؛ هذا لا يجوز، فهذه النصوص لم تنزل عبثًا، بل لها ضوابط لا بد منها، فأنا أحاول أن أوازن بين الأمرين.

هل هناك قضية محددة يمكن أن تكون نموذجًا لفتواك التي تراعي فيها النص الجزئي والمقصد الكلي للشريعة؟

أحدث هذه القضايا هي قضية رؤية الهلال في رمضان وفي العيد، وهذا كتبته في كتابى «كيف نتعامل مع السنة؟». أنا أرى أن هناك مقاصد ثابتة للشرع ووسائل متغيرة، يجب أن نتمسك بالمقاصد الثابتة، والوسائل يمكن أن تتغير، فالشرع قد قال: **{وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ}** [الأنفال: 60]، فجهاد الأعداء هو المقصد، ورباط الخيل هو الوسيلة، فإذا كان هناك الآن رباط الدبابات ورباط المدرعات فهو قد أصبح رباط الخيل في عصرنا.

فالرسول صلى الله عليه وسلم قال: «**صوموا لرؤيته، وأفطروا لرؤيته**»؛ لأن الرؤية كانت السبب الوحيد لمعرفة الشهر، الوسيلة الوحيدة، الآن أصبح عندنا وسائل أكثر قدرة على معرفة بداية الشهر ونهايته، وهو الحساب الفلكي، فلماذا لا نستخدمها؟! كيف أترك الأقوى وأستخدم الأضعف هناك من العلماء من قال: نأخذ بالحساب الفلكي: الشيخ أحمد شاكر، والشيخ مصطفى الزرقا رحمه اللهب. وقد عرضت على مجمع الفقه رأيًا، هو أنه لا مانع أن نأخذ بالرؤية ونجعل الرؤية البصرية الأساس في اعتماد إثبات الشهر، ولكن بشرط ألا يقول الحساب العلمي الفلكي إن الرؤية مستحيلة، فإذا قال إن الرؤية مستحيلة فلا آخذ بشهادة الشهود ... مثلما قال الحساب في ليلة العيد ... قال: رؤية الهلال ليلة الجمعة مستحيلة في أي مكان في العالم ... ولكن ...

فإذا أخذنا بهذه الفتوى - وهي فتوى قديمة قال بها الإمام تقي الدين السبكي قال: إن القاضي إذا جاءه شاهد أو شاهدان، وشهد أنهما رأيًا الهلال والحساب يقول بعدم إمكان ذلك، على القاضي أن يرد الشهود؛ لأن شهادة الشهود ظنية

والحساب قطعي، والظني لا يقاوم القطعي فضلًا عن أن يقدم عليه ... وهذا عرضته على مجمع الفقه الإسلامي لكنهم للأسف لم يوافقوا عليه، قام من قال: لو كان الحساب قطعيًّا كما يقول الشيخ القرضاوي لانتهت القضية، لكن من قال: إن الحساب قطعي، إنه ظني بدليل أن الحاسبين يختلفون بعضهم مع بعض، وهو يقصد بالحاسبين جماعة الرزنامات مثل: العجيري في الكويت، وفي قطر وأم القرى، وأنا لا أقصد ذلك الحساب، وإنما أقصد الحساب العلمي الذي على أساسه وصل الإنسان إلى القمر، وحاول أن يذهب إلى المريخ، والذي قال لنا: إن كسوف الشمس سيقع في يوم كذا، والدقيقة كذا، والثانية كذا ... وقبل أن يقع بسنين، ويقع كما أخبرنا تمامًا.

وفي البلد الفلاني يكون كليًّا، وفي الآخر جزئيًّا، وفي الثالث حلقيًّا كما أخبر.

هذا هو أساس فتاواي ... وأحمد الله أن المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث تبني هذا الرأي وأصدر فتوى جماعية باعتماد الرؤية بشرط ألا تخالف الحساب الفلكي ولا يقول الحساب إن الرؤية غير ممكنة.

40 عامًا في قطر:

ما مدى تدخل قطر في فتاواك وأنت تقيم بها منذ ما يقرب من أربعين عامًا؟

لم يتدخل أحد في قطر في فتاواي في يوم ما، وهذا يجب أن يذكر للتاريخ ولم يقل لي أحد يومًا من الأيام: أنت تشددت في الخطبة الفلانية أو في الفتوى الفلانية أو برنامج هدي الإسلام «تليفزيون قطر»، أو الشريعة والحياة «قناة

الجزيرة»، لم يحدث هذا طوال وجودي في قطر.

حتى إنني كنت أخطب أحيانًا بعض الخطب النارية ثم أسافر عدة أسابيع، فيقول بعض الناس: إنهم منعوا القرضاوي من الخطابة ... مثل الخطبة الأخيرة ... ثم أعود مرة أخرى فيتبين أنه لم يمنعني أحد.

ولم يلفت أحد نظرك من بعيد إلى شيء من شدة الفتوى؟

لم يلفت أحد نظري لا من قريب أو من بعيد، بالتصريح ولا بالتلميح إلى شيء من هذا، ... أنا حر نفسي ... أنا الذي أراعي الأمور أيضًا، فلست أحمق بحيث أقول أشياء لا تليق أو تورط ... أزن الأمور بحكمة وميزان لكن أقول الحق دائمًا.

لكن بعض الناس خاصة السفراء ينزعجون من بعض الخطب والفتاوى؟

بالفعل، بعض السفراء يشتكون إلى سمو أمير قطر حفظه الله، لكن حقيقة - أشكر الله لأمير البلاد الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني - يردهم ردًّا حسنًا ويقول لهم: نحن لا نتدخل في شئون علمائنا وعرفهم هذا، والحمد لله علاقتي بالأمير وبالناس علاقة طيبة قائمة على المودة والتقدير ... أحمد الله عز وجل على هذا.

ترى ما هي الأسباب التي أدت لرؤيتكم باستبداد جمال عبد الناصر؟

مما أذكره أن الثورة في بدايتها أنشأت جريدة الجمهورية، كان يكتب فيها قادة الثورة كلمة كل يوم، مثل السادات وصلاح سالم، ومما أذكره أن عبد الناصر كتب كلمة قال فيها: لماذا يبدأ الناس صالحين ثم ينقلبون مستبدين؟! ومثل لذلك بالملك فاروق الذي كان الناس يحبونه ويهتفون بحياة الملك

الصالح، ومصطفى النحاس بدأ رجلًا صالحًا والتف حوله المصريون ... وذكر عددًا من الشخصيات، بدأت صالحة وانتهت بنوع من الاستبداد والطغيان، ثم ذكر وقال: أظن أن السبب في ذلك يرجع إلى ما يقوله المصريون وهو الشعب نفسه هو الذي يمكن هؤلاء، فالشعب عندنا يقول: «المال السايب يعلم السرقة»، والحكمة تقول: «الثقة المطلقة تعلم الطغيان».

فيبدو أن المال السايب والثقة المطلقة التي أعطيت لعبد الناصر هي التي دفعت به إلى الاستبداد والطغيان.

لكن حب الجماهير الغفيرة من مختلف الفصائل لعبد الناصر، وخروج أكثر من خمسة ملايين مسلم مصري في مصر بالذات وغيرهم في الدول العربية في جنازته ... لو كان طاغيًا إلى هذا الحد، ومستبدًّا؛ فلماذا حبته الجماهير والجماهير ليس عليها سيف مسلط، ليست مجبورة للخروج للهتاف بحياة الزعيم؟

لا شك أنه كانت هناك جماهير كثيرة تحبه وتتعاطف معه، والشعب المصري شعب عاطفي، وعبد الناصر مات كأنه أخذ، يقول المصريون: «اتاخد غدر» مات فجأة، فالناس قد تأثروا بهذا، ومن رأيي أن هبَّة الشعب التي يقولون عليها (9) يونيو، كانت تأثيرًا عاطفيًّا من الناس أن عبد الناصر ظهر بنفسه، وقال: أنا أتحمل المسئولية كاملة بصوت فيه الحزن والتأثر، صحيح أنه كانت هناك خطة لإخراج الجماهير، إنما آخرون كثيرون خرجوا تلقائيًّا ... هذا التأثر العاطفي عند الشعب المصري لا ينكره أحد.

شاركتَ مؤخرًا في المؤتمر القومي الإسلامي ببيروت، كيف تنظر إلى

أهمية هذا المؤتمر؟

بدأ المؤتمر القومي الإسلامي عام (1994م)، وقد حضرت مؤتمره الأول الافتتاحي ببيروت اللجنة التأسيسية، وأُعتبر عضوًا به؛ لأنني أريد تجميع عناصر له، فلا يستفيد من تفتيت الأمة غير أعدائها، فنحن ننادي كل من فيه خير يجب أن نلتقي به ... ولذلك فقد قلت في هذا اللقاء الافتتاحي: إن هذا المؤتمر هو للمعتدلين من التيارين: من التيار الإسلامي، ومن التيار القومي؛ لأن هناك متشددين في التيار الإسلامي لا يقبلون ذلك، وهناك متشددون أيضًا في التيار القومي مثل: العلمانيين واللادينيين لا يقبلون ذلك، أما نحن نجمع المعتدلين.

بل إني حضرت في بيروت نفسها أيضًا مؤتمرًا بعد ذلك تحت شعار «مسلمون ومسيحيون من أجل القدس»، وحضره كثير من القساوسة ورجال الدين المسيحيين في لبنان وسوريا ومصر وفلسطين والأردن، وحضر الأنبا شنودة؛ فما دام من أجل القدس فلا مانع ... وأنا آخذ بالقاعدة الذهبية التي أتبعها دائمًا في تعاملي مع الجماعات الإسلامية المختلفة، والجماعات القومية وغيرها؛ هي هذه القاعدة: نتعاون فيما اتفقنا عليه، ويسامح بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.

تقدمت فصائل عدة من الجماعات الإسلامية ومن شباب سابق في الإخوان بطلبات للعمل السياسي من خلال عدد من الأحزاب، ورفضت السلطات طلب الجميع. هل يتحول الشباب الإسلامي من العمل السري إلى العمل السياسي كثمرة لتجارب عدة مروا بها، وكانت نتيجتها عمليات إجهاض مستمرة للعمل السري؟ وهل هناك قبول لفكرة الديمقراطية الآن لدى

الإسلاميين؟

الحركة الإسلامية كائن حي يتفاعل مع المجتمع، ومع العالم من حوله، ويتجاوب مع الأحداث، ولا يمكن أن تعيش الحركة في قمقم معتزلة ما حولها وما يجري من قريب ومن بعيد في عالمها الخاص وفي عالمها العالم؛ ولذلك تتطور الأفكار والرؤى ما بين حين وآخر، وبعض هذه المفاهيم التي كنا نعرضها من سنين مثلًا حول مشروعية التعددية في الفكر الإسلامي وفي الفقه، ومشروعية الديمقراطية التي كان بعض الناس يصفها بالكفر، ولا زال بعضهم يردد هذا ويقول: الديمقراطية تعني حكم الشعب، والإسلام يعني حكم الله، وهما متناقضان ... وكم كنا نقول لهم: إن الديمقراطية ليس معناها حكم الشعب في مقابل حكم الله، ولكنها تعني: حكم الشعب في مقابلة حكم الفرد المطلق الذي يستبد بالأمور ولا يدع للشعب فرصة ليعبر عن نفسه ويقول: نعم أو لا بحرية ونزاهة، فنحمد الله أن بعض الحركات الإسلامية، وهناك عدد منها تبنى هذا الرأي وهذا دليل على الحيوية، فما دامت الحركات قادرة على أن تطور نفسها، وأن تغير من رأيها؛ فهذا دليل على التجدد والحيوية كما قلت؛ لهذا أحيي وأبارك هذا التوجه من الشباب نحو العمل السياسي الديمقراطي، وأرى أنه التوجه الصالح للتعامل مع الحياة المعاصرة ومع المعطيات الفكرية والسياسية والإقليمية والدولية والمحلية.

وكيف ترون موقف السلطات من هذا التوجه؟

إنني أطالب السلطات في بلادنا العربية والإسلامية أن تتجاوب مع هذا التوجه، وأن تعطي للإسلاميين الحق في هذا الوجود السياسي.

لكن القانون القائم يرفض قيام حزب ديني، كما أن هناك خشية أن يطالب المسيحيون بحزب ديني لهم؟

أي قانون؟ البشر هم الذين يضعونه، في بعض البلاد أجيز هذا، كنت في إندونيسيا من فترة قريبة، ووجدت هناك أحزابًا تتحدث باسم الإسلام منها: العدالة، وهو يمثل جماعة الإخوان المسلمين هناك، وهناك أحزاب تمثل المجلس الأعلى للدعوة الإسلامية الذي كان قد أسسه د. محمد ناصر رحمه الله، لا مانع من هذا، وفي اليمن: حزب التجمع والإصلاح، وتوجهه الإسلامي معروف، وفي الأردن: حزب جبهة العمل الإسلامي، وفي الجزائر: حزب الجبهة الإسلامية للإنقاذ ... والشاذلي بن جديد هو أول رئيس دولة سمح للإسلاميين بأن يكون لهم وجود رسمي على الساحة السياسية، وهو أمر مطلوب بدل أن يعمل هؤلاء في السراديب وتحت الأرض وبعيدًا عن الأعين ليظهروا أمام الناس، وليعملوا علنًا وعلى مرأى ومسمع حتى تتكشف أمورهم فيقال لهم: أصبتم أو أخطأتم، ولهذا أطالب بأن نقابل هذا التوجه بتوجه من السلطة لتؤيدهم ...

ولماذا نخاف؟ نخاف من الأقباط أن ينشئوا حزبًا، فلينشئوا حزبًا، وأنا أرى أن هذه الأحزاب الإسلامية يجب أن تتسع لغير المسلمين، وكان من المؤسسين في حزب الوسط د. رفيق حبيب، أنت تعرض مفاهيم في إصلاح المجتمع،؟؟؟ هذه المفاهيم فهو معك سواء كان مسلمًا أو مسيحيًّا.

ألا تمانع أنت أن يكون هناك حزب شيوعي أيضًا؟

لا مانع في ذلك، وأن يعرض على الناس، إذا كان المجتمع يقبل

بالشيوعية، فمعنى ذلك أن هناك خللًا بالمجتمع ونتوجه للمجتمع ونصلح من وعيه؛ لأن الحزب يحيا ويموت الناس، إذا كان له أنصاره وقاعدته الجماهيرية والشعبية يستطيع أن يحيا، وإذا لم يكن له مات بطبيعة الحال ...

جهاد العصر:

ماذا عن مشروعكم: الإسلام على الإنترنت الذي دعوتم إليه ودشنتم من أجله جمعية البلاغ الثقافية بالدوحة؟

في مشروعنا هذا مسلَّمات متفق عليها، لا يختلف فيها اثنان:

أولهما: إن الإسلام رسالة عالمية بلا ريب، وهذا ثابت في القرآن المكي في أكثر من عشر آيات ناصعة البيان، كقوله تعالى: **{وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ}** [الأنبياء: 107]، **{تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلۡفُرۡقَانَ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦ لِيَكُونَ لِلۡعَٰلَمِينَ نَذِيرًا}** [الفرقان: 1]، إلى غير ذلك من الآيات: وقال الرسول صلى الله عليه وسلم : «**وكان النبي يبعث إلى أمة خاصة، وأنا بعثت إلى الناس كافة**» متفق عليه.

ومع هذا قصرنا نحن المسلمين في تبليغ الأمم رسالة الإسلام، فهناك آلاف الملايين يعيشون ويموتون ولا يعرفون شيئًا عن الإسلام، وهناك ملايين أخرى تعرف عن الإسلام قشورًا مشوهة؛ عن: عقيدته وشريعته وكتابه ورسوله. فماذا فعلنا إزاء ذلك؟ أعتقد أننا مسئولون - إلى حد ما - عن ضلال هذه الأمم، وعلينا أن نجتهد في إيجاد الوسائل التي تمكننا من إيصال الإسلام إليهم حسب وسعنا.

الثانية: إن الإمة الإسلامية أمة دعوة، ليست أمة منغلقة على نفسها، والله

تعالى يقول: **{وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ}** [آل عمران: 104]، وأنا أرجح أن «من» هنا للبيان أو للتجريد، كما نقول: ليكن لي منك الصديق الوفي، أي كن لي الصديق الوفي، والمعنى إذن: ولتكونوا أمة يدعون إلى الخير ... إلخ، بدليل قصر الفلاح عليهم بقوله: **{وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ}** فهم وحدهم المفلحون، وسعي الأمة كلها إلى الفلاح واجب وجوبًا عينيًّا، ومن استقرأ النصوص القرآنية وجدها تفيد أن كل مسلم داعية، رجلًا كان أو امرأة، اقرأ قوله تعالى: **{قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ}** [يوسف: 108]. فإذا كنت ممن اتبع محمد صلى الله عليه وسلم فيجب أن تكون داعية إلى الله، وداعية على بصيرة.

الثالثة: إن مضمون الدعوة ثابت ولكن وسائل الدعوة وآلياتها تتغير وتتطور بتطور الحياة ومعارف الإنسان، والواجب علينا أن نستخدم في دعوتنا أفضل ما انتهى إليه تطور العلم وتقنياته، طبقًا لقاعدة: «ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب». ولهذا يجب على المسلمين الاستفادة من الطباعة والتصوير والكمبيوتر والإذاعة والتلفاز، وخصوصًا الإذاعات الموجهة، والقنوات الفضائية وغيرها، في الدعوة إلى الإسلام، والتوعية بالإسلام. كما يجب على الأمة استخدام هذه الأداة الجديدة الجبارة «الإنترنت» التي تخترق الأسوار وتجتاز القفار والبحار، لتغزو الأقطار، وتغير الأفكار، وهي صالحة لأن تهدم وأن تبني وأن تحيي وأن تميت، وأن تزرع الخير أو الشر، فلنستخدمها نحن في سبيل الحق والخير لا الباطل والشر، ولنجعل منها أداة بناء لا معول هدم.

وقد أكد ذلك أن غيرنا اتخذوا منها منبرًا لنشر أديانهم الباطلة، ونحلهم المضلة، وفلسفاتهم المدمرة. كما أن من الناس من اتخذها للحديث عن الإسلام في أكثر من (600) موقع، ومنهم غير مسلمين لا يؤمنون أصلًا بالإسلام، ومنهم من ينتمون إلى الإسلام من مبتدعين ومنحرفين، وبعضهم يملك إمكانات هائلة كالقاديانيين، فهؤلاء وأولئك يشوهون الإسلام، ومنهم مسلمون مخلصون ولكن لا يملكون القدرات العلمية ولا الفنية ولا المادية لحسن عرض الإسلام.

دورنا مهم وثقيل:

من هذه المسلَّمات وجب علينا أن نقوم بهذا الدور الجديد والمهم والضروري لخدمة الإسلام على الإنترنت. وقد أصبح علينا فريضة وضرورة: فريضة توجبها تعاليم الدين، وضرورة تحتمها تطورات العصر.

قدرنا أن نقوم بهذا الدور، وأن يكون على الإنترنت موقع إسلامي متميز موثوق به عند المسلمين وعند غير المسلمين، قادر على أن يناقش الآخرين، أن يتفوق عليهم. فالمسلم دائمًا يرنو ويهدف إلى الأحسن لا إلى «الحسن» فقط، ولقد قال تعالى في أكثر من آية في كتابه: **{لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا}** [هود: 7]، ولم يقل: ليبلوكم أيكم ذو عمل حسن.

إننا مطالبون أن نعمل ونجتهد ونبدع:

1- على مستوى الإسلام الذي نمثله وندعو إليه، وهو دين الله الذي لا دين غيره **{إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ}** [آل عمران: 19].

2- وعلى مستوى العصر الذي نعيش فيه: عصر الثورات الست: ثورة

التكنولوجيا، وثورة البيولوجيا، والثورة الفضائية، والثورة الإلكترونية، وثورة الاتصالات، وثورة المعلومات.

3- وعلى مستوى ما يعمل خصومنا، وما يقدمونه لأديانهم ومبادئهم من أموال وجهود وأوقات وتضحيات، لا تخفى على الدارسين. فأهل الحق أولى بالعطاء.

إن هذا المشروع الذي ننشده ونحشد له الجنود والجهود والنقود، هو في رأيي جهاد هذا العصر. فقهاؤنا قديمًا قالوا: الجهاد منه ما هو فرض كفاية، وما هو فرض عين. ويقولون عن الجهاد الأول: أن تغزو جيوش المسلمين أرض الكفار، وذلك لتبليغ كلمة الإسلام. فقد كانت البلاد قديمًا لا يمكن تبليغ الإسلام إلى أهلها إلا بإذن ملوكها وأمرائها، فإذا رفضوا ذلك لم نستطع الوصول إلى الرعية، ولا اختراق الأسوار إلا في ظل الجيوش، وهذا سر تحميل النبي صلى الله عليه وسلم في رسائله إلى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس وغيرهم إثمهم وإثم رعيتهم إذا رفضوا دعوة الإسلام؛ لأن الناس كانوا على دين ملوكهم، ولا يمكنهم مجرد سماع دعوة الإسلام إلا بإذنهم.

ونحن بهذه الآليات الحديثة - وعلى رأسها الإنترنت - نستطيع أن نصل إلى الشعوب ونخاطبها بألسنتها المختلفة في أنحاء الأرض، لا نحتاج إلى إذن الملوك والسلطات الحاكمة ... المهم أن تكون عندنا القدرات البشرية والعلمية والفنية لمخاطبة العالم بلغاته. وهذا يحتاج منا إلى تجنيد جيوش من العاملين، وإلى إعداد هائل لإطارات بشرية متنوعة مدربة قادرة على العطاء.

ملامح الموقع:

ما هي الملامح التي تحكم موقعكم على الإنترنت؟

هذا الموقع لا يعبر عن اتجاه بلد معين أو فئة من الناس، بل يعبر عن الإسلام الخاص الشامل بمقوماته وخصائصه، ونستطيع أن نحدد ذلك في الملامح التالية:

1- إنه يخاطب المسلمين وغير المسلمين بالإسلام، ليصحح المفاهيم، ويجيب عن التساؤلات، يفند الشبهات، ويرد على المفتريات.

ولهذا بدأ بلغتين: العربية والإنجليزية، ثم سيتوسع إن شاء الله في إدخاله للغات الأخرى بالتدريج، وحسب الإمكانات.

2- يقدم الإسلام بشموله وتكامله: عقيدة وعبادة وأخلاقًا وآدابًا وتشريعًا وحضارة **{وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ}** [النحل: 89] - يستمد تعاليم الإسلام وأحكامه وقيمه من ينابيعه الصافية: القرآن الكريم وصحيح السنة، كما فهمها خير قرون الأمة: الصحابة ومن تبعهم بإحسان، منطلقًا من أن هذه الأمة لا تجتمع على ضلالة.

3- يعتمد الوسطية في فهمه للإسلام وفهمه للواقع، فلا يجنح إلى غلو المفرطين، ولا إلى تقصير المفرطين، **{وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}** [البقرة: 143].

4- يعتمد التيسير في الفتوى والتبشير في الدعوة، امتثالًا لما أمر به الرسول الكريم: «**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا**» متفق عليه. وإذا كان الناس في حاجة إلى التيسير والتبشير في كل زمان، فهم أحوج ما

يكونون إليه في عصرنا.

5- يجمع بين الأصالة والمعاصرة، فهو يستلهم تراثنا الغني، ويرجع إلى أئمتنا الكبار، ليأخذ عنهم، ويستفيد منهم، ولكنه لا ينسى أنه يعيش في القرن الخامس عشر الهجري، والحادي والعشرين الميلادي، وفي الأثر: رحم الله امرأً عرف زمانه، واستقامت طريقته.

6- لا يتعصب لرأي قديم، ولا لفكر جديد، ولا لمدرسة أو شخص، فكل واحد يؤخذ من كلامه ويرد عليه إلا المعصوم صلى الله عليه وسلم . ولهذا يستفيد من كل المدارس وكل العلماء، ويأخذ الحكمة من أي وعاء خرجت، فالحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها.

7- يتعامل مع الناس - حتى المخالفين - باللين لا بالغلظة، وبالرفق لا بالعنف، وبالحوار بالتي هي أحسن لا بالتي هي أخشن، ويغلب الناس بالحب لا بالكراهية، وقد قال تعالى لرسوله: **{فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ}** [آل عمران: 159].

ولهذا لا يبدأ أحدًا بعداوة، ولا يستثير عداوة أحد، ولكنه يرد على من تطاول على الإسلام عامدًا، وأصر على ذلك مكابرًا، بالعلم لا بالسب.

8- يتكامل هذا الموقع مع غيره من المواقع الإسلامية، بحيث نستغني عن الازدواج والتكرار بغير حاجة ولا مبرر، ويتعاون مع كل العاملين في هذه الساحة، وينسق معها ما وجد إلى ذلك سبيلًا.

9- يجمع بين «العلمية في المضمون والتشويق في الشكل وأسلوب العرض»، فإن الله جميل يحب الجمال، وقد قال المشركون عن القرآن:

إن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة.

ولضمان «العلمية» تقوم عليه لجنة من كبار علماء الشريعة الثقات، ولضمان «التشويق» تقوم عليه جماعة من المتخصصين في علوم الحاسوب.

واجب الأمة نحو المشروع:

ما هو واجب الأمة نحو هذا المشروع كما ترونه؟

إن الذي أؤكده هنا: أن هذا المشروع الطموح هو مشروع الأمة الإسلامية في هذا القرن الجديد، لتؤدي بعض واجبها نحو دينها. لقد قال أحد الأجانب الذين قرأوا عن الإسلام وأعجبوا به: يا له من دين لو كان له رجال!

هذا مع أن الإسلام له مليار وثلث ينسبون إليه، ويحسبون عليه، ولكن كم من هؤلاء نعتبره من رجال الإسلام، ومن جنود الإسلام؟!

إن الأمة تستطيع أن تقدم الكثير إذا وعت وفقهت، وعرفت نفسها، وعرفت ربها، وعرفت غايتها وطريقها، وإذا وثقت بالذين يقودون سفينتها.

إني أدعو أمة الإسلام في كل مكان إلى المساهمة في هذا المشروع الكبير، كل بما يستطيع: صاحب المال يقدم من ماله، ومن زكاته المفروضة، من صدقاته التطوعية، من الصدقة الجارية ... من الوصايا ... من المال الذي عرضت له شبهة فهو يريد أن يتطهر منه، فهو حرام عليه، حلال للجهات الخيرية والمشاريع الإسلامية ... ومشروعنا منها.

وصاحب العلم يقدم من علمه، يتبرع لنا بإنتاجه العلمي، لتقديمه في موقعنا لينتفع به الناس.

وصاحب القدرة الفنية في هذا المجال يتبرع لنا بخبرته، ويضعها في خدمة الموقع.

ومن لم يملك مالًا ولا علمًا ولا خبرة، فعليه أن يسندنا بدعائه لنا بالتوفيق.

فهذا مدد روحي لا غنى لنا عنه.

إجابة عن أسئلة
«مركز يافا للدراسات والأبحاث» بالقاهرة

س1: كيف تنظرون إلى مسيرة الصراع العربي - الصهيوني - ومستقبل هذا الصراع من منظوركم الإسلامي؟

ج1: الصراع العربي الصهيوني: مستمر، وستظل جمرته مشتعلة، ورحاه دائمة الدوران، ما دام هناك مغتصب ظالم وصاحب دار مظلوم ...

وقد يتفوق المغتصب فترة من الزمن، يفرض نفسه بالحديد والنار، ويُدل بترسانته النووية، ولكن الزمن ليس في صالحه، ودوام الحال من المحال، **{وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ}** [آل عمران: 140]، سينتصر حقنا لا محالة على باطله، **{بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ}** [الأنبياء: 18].

وقد تستسلم الأنظمة والحكام والمنهزمون نفسيًّا ممن يحسبون أنفسهم من «المثقفين» ولكن الشعوب، والمنظمات الشعبية - لا سيما الإسلامية منها - ستظل تقاوم وتقاوم، ولو بالحجارة، ولن تلقي السلاح، ولن تعترف للغاصب بحق فيما اغتصب أبدًا. وهذا الرفض المبدئي - الذي يمثل جزءًا من الإيمان عند صاحبه - هو بذرة النصر، ونواة صناعة المستقبل.

وعندنا من المبشرات الدينية: ما يملأ قلوبنا ثقة وأملًا بأن النصر لنا، وإن طال الأمد.

حسبنا من القرآن هذه النصوص:

قوله تعالى: **{وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ}** [الأعراف: 167].

وقوله تعالى: **{ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ}** [آل عمران: 112].

فهم اليوم ينعمون بهذا الحبل من الناس، ولكنه لن يدوم، فإذا انقطع هذا الحبل، فلن يجدوا ما يتشبثون به؛ لأن حبلهم من الله مقطوع من قديم.

وقوله تعالى بعد أن حدثنا عن إفسادهم في الأرض مرتين، وعقوبتهم على كل مرة أفسدوا فيها: **{عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا}** [الإسراء: 8].

فهذا هو القانون الإلهي العادل والدائم: **{إِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا}** وقد عادوا بالإفساد والاغتصاب للأرض، والسفك للدماء، والانتهاك للحرمات، وقانون الله: أن يعود عليهم بالعقاب، وهو لهم بالمرصاد.

وحسبنا من السنة النبوية هذان الحديثان:

الأول: ما رواه ابن ماجه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من جابههم إلا ما أصابهم من لأواء «أي: أذى» حتى يأتيهم أمر الله وهم على ذلك**»، قالوا: وأين هم يا رسول الله؟ قال: «**في بيت المقدس وأكناف بيت المقدس**» رواه أحمد والطبراني ورواته ثقات أثبات.

والثاني: ما رواه ابن عمر وأبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «**لا تقوم الساعة حتى تقاتلوا اليهود، فيقتلهم المسلمون، حتى يختبئ اليهود وراء الحجر والشجر، فيقول الحجر والشجر: يا عبد الله، أو يا مسلم، هذا يهودي ورائي، فتعال، فاقتله**» متفق عليه.

س2: كيف ترون عمليات التطبيع والسلام والتسوية الراهنة في المنطقة؟

ج2: عمليات التطبيع والسلام والتسوية الراهنة في المنطقة: مرفوضة شرعًا؛ لأنها تقوم على أساس الاعتراف للغاصب بأن له حقًّا وسلطة شرعية على ما غصب من ديارنا، وأن مدننا العربية الإسلامية: حيفا ويافا وعكا وغيرها، ومن أرض فلسطين سقطت ملكيتنا لها، ونسبتها إلينا، وأصبحت أرضًا إسرائيلية. وهذا لا يجوز.

لو كان المراد هدنة بيننا وبين إسرائيل، تكف فيها الأيدي بعضها عن بعض، ونحقن الدماء فترة من الزمن، تطول أو تقصر، لرحبنا بذلك، وقد عقد صلاح الدين هدنات مع بعض أمراء الصليبيين.

أما التسويات القائمة، فهي أدخل في باب «الاستسلام» منها في باب «السلام»، وهي دليل الوهن واليأس، والمؤمن لا يهن ولا ييأس أبدًا، والله تعالى يقول: **{فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ}** [محمد: 35].

س3: الوجود الأجنبي في الوطن العربي، ما هو تحليلكم لأهدافه وتأثيره على التنمية المستقلة والقرار السياسي المستقل؟

ج3: الوجود الأجنبي في الوطن العربي: غزو استعماري جديد، وإن كان

في ظاهر أمره أنه جاء برضا أهل البلاد أو بطلب منهم، والواقع غير ذلك، فهو مفروض على تلك البلاد، رضوا أم سخطوا، قبلوا أو رفضوا، حتى الذين طلبوا هذا الوجود الأجنبي حينًا من الدهر، طلبوه لسبب قد زال.

إن هذا الوجود الأجنبي ليس لصالح المنطقة، بل لصالح إسرائيل أولًا، وللمصالح الاستعمارية والإمبريالية ثانيًا، ولضغط على المنطقة ثالثًا، ومراقبة تحركاتها عن كثب رابعًا، والعمل على تخويف بعضها من بعض خامسًا، والوقوف في وجه أي عمل وحدوي سادسًا، والتيقظ التام لتحركات الأصولية الإسلامية وأنشطتها سابعًا. وإنما أخرت هذا لأهميته، وإن كان حقه أن يكون أولًا.

إن الوجود الأجنبي خطر على المنطقة من كل ناحية: خطر على قرارها السياسي، وعلى تنميتها الشاملة، وعلى اتجاهها للوحدة، وهو - مع هذا - يحقق أهدافه من جيوب أهل المنطقة. فاعجبوا.

س4: ما هي الآثار المباشرة المستقبلية للحصار الراهن المفروض دوليًّا على بعض دول وشعوب المنطقة؟

ج4: إنما نجح هذا الحصار إلى حد كبير للأسف؛ لأنهم تعاملوا معنا واحدًا واحدًا، ولم يعاملونا كيانًا واحدًا، وقبلنا منهم - عمليًّا - هذا التعامل، فضربونا أفرادًا، ومزقونا أشلاءً، انفردوا بكل قطر، ووقف الآخرون يتفرجون عليه، بل ربما ساعدوه. هكذا تعاملوا مع ليبيا، هكذا تعاملوا مع العراق، وهكذا تعاملوا مع السودان.

وأملنا أن ينتصر المحاصرون على الحصار المضروب، بالصبر

والمصابرة والمرابطة، كما فعل أخوتنا في السودان، وأن ندرك جميعًا مغزى المثل العربي القديم «إنما أكلت يوم أكل الثور الأبيض».

س5: كيف ترون المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين بقيادة «حزب الله» و«الجهاد الإسلامي» و«حماس»؟ ورأيكم في سلاح العمليات الاستشهادية الذي ارتبط بالأداء الجهادي لهذه الحركات مؤخرًا؟

س6: ما هو موقفكم من الفتاوى التي صدرت بشأن شهداء المقاومة الإسلامية في لبنان وفلسطين وخاصة تلك الفتاوى التي صدرت ضد المقاومين ووصمتهم بالإرهاب؟

س7: كيف يمكن دعم هذه المقاومة الإسلامية من وجهة نظركم؟

المقاومة الإسلامية في فلسطين وفي لبنان بقيادة حماس والجهاد وحزب الله: وجه مشرف للأمة، ودليل على أن هذه الأمة لن تموت، وأن الخير لا يزال فيها إلى يوم القيامة، وأن فيها طائفة قائمة على الحق، تحيا له وتجاهد عليه، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

وقد أصدرتُ فتاوى في حينها تبارك وتؤيد هذه «العمليات الاستشهادية» التي يجعل فيها المجاهد من نفسه «قنبلة بشرية» تنفجر في أعداء الله، فتقذف في قلوبهم الرعب، في مجتمع «عسكر» أهله، فكلهم - رجالًا ونساء - جنود في جيش العدوان.

هؤلاء الأبطال الذين وضعوا رءوسهم على أكفهم، ينطبق عليهم قول الله تعالى: **{وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ}** [البقرة: 207].

أما الفتاوى التي صدرت ضد هؤلاء الأبطال، ووصمهم بالإرهاب، فلم تصدر من علماء ثقات، يوثق بحسن فقههم، وحسن دينهم، إنما هي من قوم دخلاء على العلم والدين، أو لعلهم من علماء السلطة، وعملاء الشرطة، ممن إذا سئلوا أفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا.

إن هؤلاء الأبطال من رجال المقاومة الإسلامية، يقومون عن الأمة الإسلامية كلها بفريضة الجهاد، التي أمست واجبًا عليهم جميعًا، لتحرير القدس الشريف، وإنقاذ المسجد الأقصى، وتخليص أرض الإسراء والمعراج، والقبلة الأولى من رجس الاعتداء الصهيوني.

إن هذا ليس واجب الفلسطينيين وحدهم، بل هو واجب العرب جميعًا، وواجب المسلمين كافة في مشارق الأرض ومغاربها.

وإذا كان كل يهودي في العالم يعتبر نفسه مسئولًا عن بقاء إسرائيل، وتفوق إسرائيل، فكذلك كل مسلم في العالم مسئول عن إنقاذ القدس والأقصى.

والواجب علينا - إذا لم نملك أن نذهب نحن لنجاهد - أن نمد المجاهدين بكل ما نستطيع من عون مادي وأدبي، وأن نحتال على ذلك بكل ما نقدر عليه، حتى يصمدوا ويثبتوا، ويظلوا مرابطين على نفوذهم، حتى يأتي نصر الله.

إن المقاومة هي قدرنا، وهي علينا فريضة، ولنا ضرورة، فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع.

وإذا كان مناحيم بيجن قال: «أنا أحارب،إذن أنا موجود! فإن الشيخ ياسين يقول: أنا أقاوم،إذن أنا موجود».

إن هذه المقاومة هي السنة الإلهية التي بدونها يتسلط أهل القوة على أهل الحق، وتسود شريعة الغاب، وقانون الظفر والغاب، وبهذا يفسد العالم، كما قال تعالى: **{وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ}** [البقرة: 251].

وأدنى درجات المقاومة: هي المقاطعة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ورفض كل محاولات «التطبيع» مع العدو الغاصب، وإبقاء الحاجز النفسي بيننا وبينهم، لا نسمح بكسره أو اختراقه بحال.

وعلينا أن نوعي الأمة بواجبها نحوهم، ونكشف ستر المشوشين عليهم، والمخذلين والمثبطين لهم، وأن نحذر الفلسطينيين أن يمد سلاحهم بعضه إلى بعض، فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا، والمسلمون يسعى بذمتهم أدناهم وهو يد على ما سواهم.

س8: ما رأيكم في مستقبل الإسلام والمسلمين في ظل التحديات القائمة؟

ج8: أرى أن المستقبل لهذه الحركة التي تتسم بالوسطية، وتلتزم بالمنهج الوسط، وعلى أفرادها ألا ييأسوا، فالمسلم دائمًا يعيش مؤملًا في الله عز وجل.

والقرآن الكريم ندد باليأس واليائسين، فقال: **{إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ}** [يوسف: 87]، وقال: **{قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ}** [الحجر: 56].

كما أن القرآن مملوء بالدلائل الواضحة على أن المستقبل لهذا الدين إذ يقول: **{هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ**

كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ} [التوبة: 33].

والسنة النبوية المطهرة ذاخرة بالمبشرات التي تبشرنا بنصر الله لجنوده الدعاة، إذ يقول صلى الله عليه وسلم : **«تكون النبوة فيكم إلى أن يشاء الله أن يرفعها فيرفعها، ثم تكون ملكًا عاضًّا «أي وراثيًّا» إلى أن يشاء الله أن يرفعها فيرفعها، ثم تكون خلافة على منهاج النبوة»**.

كما أن السنن الكونية تبشر، والواقع الإسلامي الذي نحياه يبشر بالنسبة لما كان عليه الحال من قبل، فقط علينا أن نعمل لنصرة هذا الدين، وعلى أبناء الصحوة ألا يتسرب اليأس إلى قلوبهم، فهذا هو مكمن الخطر. وأنصح للسائل أن يقرأ رسالتي عن «المبشرات بانتصار الإسلام».

س9: ما رأيكم في التعددية في الإسلام؟

ج9: رأيي الذي أعلنته من سنين في محاضرات عامة، ولقاءات خاصة: أنه لا يوجد مانع شرعي من وجود أكثر من حزب سياسي داخل الدولة الإسلامية، إذ المنع الشرعي يحتاج إلى نص ولا نص.

بل إن هذا التعدد قد يكون ضرورة في هذا العصر؛ لأنه يمثل صمام أمان من استبداد فرد أو فئة معينة بالحكم، وتسلطها على سائر الناس، وتحكمها في رقاب الآخرين، وفقدان أي قوة تستطيع أن تقول لها: لا، أو: لم؟ كما دل على ذلك قراءة التاريخ، واستقراء الواقع.

كل ما يشترط لتكتسب هذه الأحزاب شرعية وجودها أمران أساسيان:

1- أن تعترف بالإسلام - عقيدة وشريعة - ولا تعاديه أو تنتكر له، وإن كان لها اجتهاد خاص في فهمه، في ضوء الأصول العلمية المقررة.

2- ألا تعمل لحساب جهة معادية للإسلام ولأمته، أيًّا كان اسمها وموقعها. فلا يجوز أن ينشأ حزب يدعو إلى الإلحاد أو الإباحية أو اللادينية، أو يطعن في الأديان السماوية عامة، أو في الإسلام خاصة، أو يستخف بمقدسات الإسلام: عقيدته أو شريعته أو قرآنه، أو نبيه عليه الصلاة والسلام.

س10: ما رؤيتكم كمرجع إسلامي في الديمقراطية والاستبداد السياسي؟

ج10: إن جوهر الديمقراطية بعيدًا عن التعريفات والمصطلحات الأكاديمية - أن يختار الناس من يحكمهم ويسوس أمرهم، وألا يفرض عليهم حاكم يكرهونه، أو نظام يكرهونه، وأن يكون لهم حق محاسبة الحاكم إذا أخطأ، وحق عزله إذا انحرف، وألا يساق الناس إلى اتجاهات أو مناهج اقتصادية أو اجتماعية أو ثقافية أو سياسية لا يعرفونها ولا يرضون عنها. فإذا عارضها بعضهم كان جزاؤه التشريد والتنكيل، بل التعذيب والتقتيل.

هذا هو جوهر الديمقراطية الحقيقية التي وجدت البشرية لها صيغًا وأساليب عملية، مثل: الانتخاب والاستفتاء العام، وترجيح حكم الأكثرية، وتعدد الأحزاب السياسية، وحق الأقلية في المعارضة وحرية الصحافة، واستقلال القضاء ... إلخ.

فهل الديمقراطية - في جوهرها الذي ذكرناه - تنافي الإسلام؟ ومن أين تأتي هذه المنافاة؟ وأي دليل من محكمات الكتاب والسنة يدل على هذه الدعوى؟ والواقع أن الذي يتأمل جوهر الديمقراطية يجد أنه من صميم الإسلام، فهو ينكر أن يؤم الناس في الصلاة من يكرهونه، ولا يرضون عنه، وفي الحديث: «**ثلاث لا ترتفع صلاتهم فوق رءوسهم شبرًا ...** » وذكر

أولهم: «**رجل أَمَّ قومًا وهم له كارهون ...** »[2].

وإذا كان هذا في الصلاة فكيف في أمور الحياة والسياسة؟ وفي الحديث الصحيح: «**خيار أئمتكم - أي: حكامكم - الذين تحبونهم ويحبونكم، وتصلون عليهم - أي: تدعون لهم - ويصلون عليكم، وشرار أئمتكم الذين تبغضونهم ويبغضونكم، وتلعنونهم ويلعنونكم**»[3].

لقد شن القرآن حملة في غاية القسوة على الحكام المتألهين في الأرض، الذين يتخذون عباد الله عبادًا لهم مثل «نمرود» الذي ذكر القرآن موقفه من إبراهيم وموقف إبراهيم منه: {**أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِي حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِي رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْيِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِي بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ**} [البقرة: 258]. ومن روائع القرآن: أنه ربط بين الطغيان وانتشار الفساد، الذي هو سبب هلاك الأمم ودمارها، كما قال تعالى: {**أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ 6 إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ 7 ٱلَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي ٱلْبِلَٰدِ 8 وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ 9 وَفِرْعَوْنَ ذِي ٱلْأَوْتَادِ 10 ٱلَّذِينَ طَغَوْاْ فِي ٱلْبِلَٰدِ 11 فَأَكْثَرُواْ فِيهَا ٱلْفَسَادَ 12 فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ 13 إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ**} [الفجر: 6 - 14].

والسنة النبوية حملت كذلك على الأمراء الظلمة والجبابرة، والذين يسوقون الشعوب بالعصا الغليظة، وإذا تكلموا لا يرد أحد عليهم قولًا فهم الذين يتهافتون في النار تهافت الفراش.

---

(2) رواه ابن ماجه (971)، وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح، رجاله ثقات. وابن حبان في «صحيحه»، «الموارد» (377)، كلاهما عن ابن عباس.

(3) رواه مسلم عن عوف بن مالك.

كما حملت على الذين يمشون في ركابهم، ويحرقون البخور بين أيديهم، من أعوان الظلمة.

ونددت السنة بالأمة التي ينتشر فيها الخوف، حتى لا تقدر أن تقول للظالم: يا ظالم.

فعن أبي موسى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**إن فيجهنم واديًا، وفي الوادي بئر، يقال له: هبهب، حق على الله أن يسكنه كل جبار عنيد**»(4).

وعن معاوية مرفوعًا: «**لا تقدس أمة لا يقضى فيها بالحق، ولا يأخذ الضعيف حقه من القوي غير متعتع**»(5).

وعن عبد الله بن عمرو مرفوعًا: «**إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم؛ فقد تودع منهم**»(6).

س11: موقف الإسلام من بعض الأقليات في مصر والعالم العربي؟

ج11: إن علاقة الإسلام بغير المسلمين تحكمها آيتان: **{لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْۚ إِنَّ**

(4) رواه الطبراني بإسناد حسن كما قال المنذري في «الترغيب والترهيب»، والهيثمي في «المجمع» (197/5)، والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي (332/4).

(5) رواه الطبراني، ورواته ثقات، كما قال المنذري والهيثمي، كما رواه من حديث ابن مسعود بإسناد جيد (209/5)، ورواه ابن ماجه مطولًا من حديث أبي سعيد.

(6) رواه أحمد في «المسند»، وصحح شاكر إسناده «6521»، ونسبه الهيثمي للبزار أيضًا بإسنادين، رجال أحدهما رجال الصحيح (262/7)، والحاكم، وصححه ووافقه الذهبي (96/4).

ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ 8 إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ} [الممتحنة: 8، 9].

فالقرآن الكريم هنا قسم أهل الكتاب إلى قسمين: قسم يهادن الإسلام وأهله ولا يحاربه حربًا عسكرية أو يعين عدوًّا عليه، كما أنه لا يشكك في عقيدة الإسلام، معلنًا ذلك، أما إذا أسر الكراهية - في نفسه - لهذا الدين، فلا سبيل للإسلام عليه، فهذا القسم علاقتنا به البر والقسط.

وقسم يعادي ديننا ويحاربنا ويعين عدونا علينا، فهؤلاء يُسمَّون: أهل حرب.

هذه نظرة الإسلام عامة لغير المسلمين الذين هم خارج أرض الإسلام، أما غير المسلمين داخل أرض الإسلام، فهؤلاء لهم وضع خاص فهم يسمّون في الفقه الإسلامي: «أهل الذمة».

والفقهاء يسمونهم: أهل «دار الإسلام» أو بتعبيرنا المعاصر: «الجنسية»، أي أنهم متجنسون لهم حق «المواطنة»، كما أن لهم كل الحقوق التي للمسلم، ولذا اشتهرت عند فقهائنا هذه العبارة عن أهل الذمة: لهم ما لنا وعليهم ما علينا ...

وهذا ما جعل المحامي الشهير القبطي - الأستاذ مكرم عبيد يعلن - عن فهم منه لطبيعة الإسلام - أنه مسيحي ديانة، مسلم موطنًا.

س12: ما موقفكم الإسلامي من قضايا العلمانية والعولمة؟

ج12: نحن نرحب بالعلمية، ولكننا نرفض العلمانية؛ لأن العلمية فريضة

شرعية وضرورة قومية، وتأكيدها واجب الدعاة والمربين والمفكرين، وأجهزة التوجيه كلها، أما العلمانية فهي مرفوضة بكل معيار: معيار الدين، أو معيار الديمقراطية، أو معيار الدستور، أو معيار الأصالة، أو معيار المصلحة، وتفصيل ذلك يطول، فليرجع إليه في كتابنا «الإسلام والعلمانية: وجهًا لوجه».

هذا بالنسبة للعلمانية: أما بالنسبة للعولمة: فنحن مع العالمية لا العولمة؛ لأن رسالة الإسلام رسالة عالمية، ومن أهدافه: هداية العالم. أما العولمة فهي لون جديد من ألوان الهيمنة على الشعوب، والغزو المقنع لها. ولذا نقول: نحن مع التفاعل الثقافي، ونرحب به، ونرفض الغزو الثقافي.

فالتفاعل الثقافي مشروع، بل مطلوب، ولكن التفاعل إنما يكون من جانبين بين ندين، يعطي كل منهما ويأخذ، واعيًا مختارًا، غير مكره، ولا واقع تحت تأثير خاص، فهو يأخذ ما يحتاج إليه، وفق معايير مدروسة، ويدع ما يدع تبعًا لمنطق معلوم، محتفظًا بهويته وخصائصه، غير مفرط في قيمه ومبادئه ومقوماته المشخصة لذاته.

أما الغزو فهو من طرف قوي لطرف ضعيف، أي من غالب قاهر، لمغلوب مقهور مبهور بقوة غالبة، فهو يأخذ منه لا يعطيه، ويأخذ ما لا يحتاج إليه، بل يأخذ ما لا ينفعه، وإن كان ينفع صاحبه، بل كثيرًا ما يأخذ الضار ويدع النافع!

س13: كيف تنظرون إلى العلاقة بين العروبة والإسلام؟

ج13: العروبة في الواقع عميقة الصلة بالإسلام، فالعربية لسان قرآنه

وسنته ولغة عبادته، وثقافته، والعروبة وعاؤه، وأرض العرب معقلة وحصنة، بها مقدساته ومساجده التي لا تشد الرحال إلا إليها، والعرب هم حملة رسالة الإسلام إلى العالم والصحابة كلهم عرب، ومن لم يكن عربي العرق منهم أصبح عربي اللسان والقلب، «ومن تكلم العربية فهو عربي»، وقد جاء في الأثر: إذا عز العرب عز الإسلام، وإذا ذل العرب ذل الإسلام.

وفي مصر وبلاد المغرب العربي كله، لا يفرق الناس بين العروبة والإسلام، ولا بين العرب والمسلمين، وإذا قال الخطيب في المسجد: اللهم انصر العرب، فهي تساوي: اللهم انصر المسلمين، والعكس كذلك. وقد عبر عن هذا الشاعر المصري محمود غنيم رحمه الله بقوله:

إن العروبة لفظ إن نطقت به فالشرق والضاد والإسلام

العروبة إذن عميقة الصلة بالإسلام، والإسلام كذلك عميق الصلة بالعروبة، ولا تعارض بين العروبة والإسلام، إلا إذا كانت العروبة «علمانية»، وهي التي لا تقبل الإسلام حكمًا، أو كان الإسلام «شعوبيًّا» وهو الذي يعادي العرب، والواقع أن الإسلام يجعل للعرب مكانة خاصة، ويعرب مشاعر المسلمين من غير العرب، إن لم يعرب ألسنتهم وثقافتهم.

وإنما حدثت الجفوة بين العروبة والإسلام بدخول الغلاة من الفريقين في الميدان، فساء ظن كل منهما بالآخر، وساء تفسيره لفكرته، فرأينا في القوميين من يعتبر القومية العربية «نبوة جديدة» للعرب، ومن يعتبر الإسلام مجرد «انتفاضة عربية»، ومن يجعل القومية فوق الدين، ومن يقول في شعره:

سلام على كفر يوحد بيننا وأهلًا وسهلًا بعده بجهنم!!

ورأينا في الإسلاميين من يعتبر القوميين كلهم من هذا الصنف المذكور، ولا يفرق بين فصيل وفصيل، ويعتبر القومية كلها جاهلية، ولقد حدثت لقاءات وندوات للحوار بين الإسلاميين والقوميين قربت بين المنصفين والمعتدلين من التيارين، وتفهم كل طرف ما عند الآخر، والتفهم إذا اقترن بالإنصاف كثيرًا ما يؤدي إلى التقارب والتواصل، بدلًا من التجافي والتقاطع.

الداعية الكبير في عامه السبعين

الأنظمة المستبدة تخاف الإسلام المعتدل وتحاربه!!

منذ أيام بلغ الداعية الإسلامي الكبير الشيخ القرضاوي السبعين من عمره، وبهذه المناسبة التقيت به في بيته لإجراء حوار لجريدة «الشعب»، وأصابتني الحيرة في موضوع الحديث!! هل سيكون وقفة مع الماضي ورحلة عالِمنا الكبير في عالَم الدعوة إلى الله، حيث يجوب آفاقها منذ ما يقرب من أربعين سنة؟؟

لكنني فضلت أن يكون حديثي معه حول المستقبل، خصوصًا بعدما علمت أن زملاء الدكتور القرضاوي ومحبيه وتلاميذه يعدون كتابًا ضخمًا متكاملًا حول فكر شيخنا الجليل وأثره في الصحوة الإسلامية المعاصرة.

نتقدم ببطء السلحفاة!

في بدء حوارنا عن المستقبل سألت الداعية الكبير عن رأيه في مدى أخذ العالم الإسلامي بأسباب النهوض والتقدم ... وهل نحن جادون في هذا الصدد

أم أننا «محلك سر»؟

أجابني: التعميم ليس من الحكمة في شيء، فالعالم الإسلامي دوله شتى حاليًا، والتقدم ذاته له مجالات متعددة، لكن يمكن القول بإننا دون المستوى المنشود بمراحل، ونتقدم ببطء السلحفاة، والعالم يشهد ثورات علمية مختلفة ... في مجالات الطب والتكنولوجيا ... إلخ ... أين نحن منها؟ للأسف لا صلة لنا بها!! فلسنا على مستوى العصر ولا مستوى إسلامنا الذي يدعو إلى التقدم والتفكر والتدبر والأخذ بأسباب القوة.

وأكمل الشيخ يوسف إجابته عن سؤالي قائلًا: الدولة التي أراها أقرب إلى التقدم في عالمنا الإسلامي هي ماليزيا ... ففيها نهضة اقتصادية حقيقية وصحوة إسلامية كبيرة، وحريات سياسية واسعة.

الضربات المتلاحقة تزيدنا صلابة:

وبمناسبة الحديث عن الحريات السياسية الموجودة في ماليزيا! تذكرت بلادي وأصدقائي وراء الشمس ... د. عصام العريان، ود. عبد المنعم أبو الفتوح، ود. محمد حبيب، وغيرهم وغيرهم من خيار الناس المحكوم عليهم بالسجن ظلمًا وعدوانًا ... واضح أن الحركة الإسلامية تضرب بعنف.

سألت أستاذنا الجليل الدكتور يوسف القرضاوي عن مستقبل الصحوة الإسلامية ... هل هي في تراجع؟

نفى فضيلته ذلك بقوة قائلًا: صحيح إن الأنظمة الحاكمة في أجزاء عديدة في العالم الإسلامي تتآمر على المتدينين وتواجههم بالقوة والإرهاب، إلا أن هذه الضربات المتلاحقة غير مميتة، بل على العكس فهي تفرز الصف

الإسلامي وتميز الخبيث من الطيب، وتعطي للتجمعات المؤمنة صلابة وقوة ... لقد قامت الصحوة الإسلامية بالفعل وهيهات أن تموت.

هذه أسباب تفاؤلي:

سألت الشيخ يوسف القرضاوي عن أسباب تفاؤله بمستقبل الحركة الإسلامية، رغم «الظلام» الذي نعيش فيه ... من أين سيأتي «النور» يا فضيلة الشيخ؟

التفاؤل له أسباب كثيرة جدًّا مبنية على أرض ملموسة وليست أوهامًا! هكذا رد شيخنا الجليل وبدأ يشرح ما يعنيه قائلًا: انظر إلى التاريخ المعاصر والقديم ستجد ما يدفعك إلى الإيمان بمستقبل الحركة الإسلامية، لقد تلقت في العصر الحديث ضربات ساحقة بالعديد من الدول، ومع ذلك عادت إلى نشاطها من جديد وبأكثر مما كان يحلم به أي شخص ... السجون ليست كلها سلبيات كما نظن، فمنها أيضًا يتخرج الرجال، كما أنها فرصة لا تتكرر للتآخي والخلوة مع الله، فيزداد الإيمان في القلوب، ويشهد الصف مزيدًا من التماسك والوحدة.

وإذا نظرنا إلى التاريخ القديم نجد أن المسلمين قد ابتلوا بمصائب كبرى، لكنهم سرعان ما استعادوا قوتهم، فقد سقطت بغداد عاصمة الخلافة، ومع ذلك استطاع جند الإسلام في النهاية قهر التتار في عين جالوت، وسقطت القدس والعديد من المدة الإسلامية في أيدي الصليبيين، وجاء صلاح الدين لينزل الهزيمة بأعداء الإسلام، وشهدت الأندلس مذابح بشعة لأتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، لكن القسطنطينية سقطت في أيديهم على يد المجاهد

«محمد الفاتح».

وهناك أسباب أخرى تدعوني إلى التفاؤل، فلا يوجد شيء على حاله، والظلم لا يستمر إلى الأبد، **{وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ}** [آل عمران: 140]، فسنة التغيير وسنة التداول في صالحنا تمامًا.

والقرآن الكريم والسنة المطهرة من أهم المبشرات التي تدعو كل مسلم إلى التفاؤل، هناك الكثير من الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة التي تؤكد أن النصر في النهاية للمؤمنين وتحذر من اليأس والقنوط.

الإرهاب ... والأنظمة المستبدة:

لكن هل الإرهاب الذي شهدته بعض البلاد الإسلامية مثل: مصر والجزائر قد أثر سلبيًّا في الحركة الإسلامية إجمالًا لدى جماهير الشعب خصوصًا وأن أجهزة الإعلام قد استغلت العنف الذي وقع لتنفير الناس من المتدينيين عمومًا؟

لخص شيخنا الجليل يوسف القرضاوي إجابته في عدة نقاط:

أولها: أن أحدث العنف التي وقعت هي مسئولية الأنظمة المستبدة بالدرجة الأولى، حيث إن الحرب على التيار الإسلامي كله وإغلاق أبواب الحوار نتائجه وخيمة على الجميع.

ثانيها: أن الشباب المسلم المتدين بخير في غالبيته العظمى، وهو ينتمي إلى تيار الوسطية المعتدل الذي يرفض العنف، وينظر إلى الإسلام بطريقة شاملة.

ثالثها: أن أجهزة الإعلام استغلت بطريقة شيطانية تصرفات القلة الشاذة المنسوبة إلى الصف الإسلامي من أجل الاستغلال السيء إذا كان له تأثير في الجمهور فهو مؤقت؛ لأن الناس ستكشف بيسر وسهولة أن المتدين بحق لا يمكن أن يكون بهذه الصورة التي ظهر بها في أجهزة الإعلام.

آخرها وهو الغريب: أن الحكومات المستبدة في عالمنا الإسلامي لا تخشى من المتطرفين بقدر خشيتها من تيار الاعتدال؛ ولذلك شنت عليهم حربًا لا هوادة فيها مثل: إلقاء أبرز رموزهم في السجون، والعمل على ضرب النقابات وتزوير الانتخابات، فالكارهون لديننا يعلمون تمامًا مدى تأثير تيار الوسطية الإسلامية في جموع الشعب.

احترام الحكم ... ولكن!

بعض العلمانيين الذين انضموا إلى صف الاستبداد في محاربة التيار الإسلامي يزعمون أن الاتهام بالكفر والإلحاد والمروق هي «وصفات جاهزة» يستخدمها المتدينون ضد كل من يخالفهم في الرأي ... فما رأيك؟

منذ سنوات بعيدة قال مرشد الإخوان المسلمين حسن الهضيبي رحمه الله: نحن دعاة ولسنا قضاة، ووضع كتيبًا في هذا الصدد، وكانت الظروف في غاية الصعوبة والملاحقة على أشدها، ومع ذلك رفض أن يحيد عن الخط الإسلامي الصحيح، فترويج الاتهامات ليس من سمات التيار الإسلامي الأصيل، وكان أولى بهؤلاء أن يقفوا إلى جانب المظلومين في السجون بدلًا من أن يكونوا عونًا للاستبداد.

لكنهم استغلوا قضية الدكتور نصر أبو زيد لتأكيد أن المنتمين إلى التيار

الإسلامي يواجهون غيرهم بالإرهاب الفكري!!

الحكم الصادر في هذا الموضوع يجب أن يكون له الاحترام من الجميع؛ لأن محكمة النقض هي التي قضت به وهي أعلى سلطة قضائية، وقد مر هذا الحكم بمراحل متعددة حتى استقر في شكله النهائي ... وجاء بعد بحث جاد وتمحيص شامل لآراء هذا الأستاذ قام به قضاة متخصصون. ومع ذلك لو كان الأمر بيدي لاقترحت أن يطرح هذا الموضوع جانبًا ولا يذهب إلى ساحات المحاكم، فمكانه الأول هو الساحة الفكرية.

مصير حزب التجمع!

صرح السيد خالد محيي الدين - أمين عام حزب التجمع - مؤخرًا بأن الحكومة تعمل على التضييق عليه، لكن الإخوان لو وصلوا إلى الحكم فسيقضون على حزبه نهائيًّا، ويرفضون السماح له بالعمل بحجة أنه حزب علماني! ... ترى بماذا تردون على هذا القول؟

أولًا لست أعرف الأسباب التي دفعت خالد محيي الدين إلى الإدلاء بتصريحه هذا، لكنني أطلب منه أن يطمئن، فنظام تعدد الأحزاب بمفهومه الواسع لا يتعارض مع تعاليم ديننا، وعندي مقولة مشهورة أقولها في هذا الصدد: «الأحزاب مذاهب سياسية، والمذاهب أحزاب دينية»، فقد عرف المسلمون الخلاف في الرأي، واحترم بعضهم البعض، وكان خلافهم في أرقى صورة، والمذاهب التي نشأت دليل أكيد على ذلك ... وكل المطلوب من الحزب السياسي ألا يكون تابعًا لجهات أجنبية يتلقى أوامره منها، وهذا أمر بديهي، كما عليه ألا يصادم قواطع الدين ويعلنها حربًا على إسلامنا ... وأهلًا

بكل حزب يحترم مشاعر الناس الدينية «الإسلام والمسيحية على السواء» فلسنا نتطلع إلى حكم يسود فيه رجال الدين أو يكون للقائمين عليه حق القداسة والطاعة العمياء، بل هو حكم مدني إسلامي، والحاكم فرد ليس بمعصوم من النقد إذا أخطأ.

العلاقات مع الغرب:

وماذا عن العلاقات مع الغرب، وكيف ترونها في المستقبل ... هل إلى التصادم أم إلى حسن الجوار؟

الغرب مثل الشرق ليس شيئًا واحدًا، فرنسا ليست مثل إنجلترا، وأمريكا مختلفة، لكن يمكن القول إجمالًا بأن الغرب بصفة عامة وإن لم يقف منا موقف العداء فهو ليس بالصديق ولا يحمل لنا المودة والتقدير، وهناك عدة أسباب لذلك منها: رواسب الحروب الصليبية، وبقايا الاستعمار الحديث والاستعلاء والعنصرية المنتشرة في تلك البلاد ...

وعن المسلمين هناك يقول: هناك قلة منهم لا تفهم الإسلام بطريقة صحيحة وأصواتهم عالية ويسيئون إلى ديننا!! وهم متعصبون لما يؤمنون به، أما الكثرة الغالبة ففيهم الاعتدال والتسامح، وهم منفتحون على الغرب، لكنهم في الوقت نفسه يرفضون الذوبان فيه، وفي يقيني أنهم أداة جيدة جدًّا لتحسين صورة المسلمين هناك في الغرب بحيث نكسب العقلاء منهم إلى صفوفنا ... وأول ما أنصح به المسلمين في أوروبا وأمريكا هو الحرص على الوحدة.

هزيمة المجاهدين في أفغانستان:

قلت لشيخنا القرضاوي: المجاهدون في أفغانستان أصابونا بخيبة أمل كبرى، وقد ألقى ذلك بظلاله على مستقبل التيار الإسلامي إذا تسلم الحكم في بلد ما ... فما الضمانات لعدم تكرار ذلك؟

أجانبي في حسرة قائلًا: الوضع هناك بالفعل يدعو إلى الحزن. إنه جرح خطير في جسد المسلمين، لقد انتصروا على دولة كبرى وأعظم قوة اتحادية في التاريخ، لكن المجاهدين لقوا الهزيمة من قبل أنفسهم - أقصد شهواتهم - فقامت الحرب الأهلية التي نشهدها حاليًا ... والوضع هناك شديد التعقيد، فهناك قبائل متعددة وعصبيات ونزعات عرقية، واستغلت قوى خارجية هذا الوضع لتأجيج النار ... فالانتصارات الأخيرة مثلًا لحركة «طالبان» تثير الريبة، وهناك دول أجنبية تساعدها مع أن هذه الحركة لم يكن لها وجود أيام الجهاد ضد الاحتلال الشيوعي!!

وحسن التربية للمسلم المجاهد أراه ضروري لعدم تكرار هذه المأساة من جديد، وهذا الأمر له صفات يجمعها حسن الصلة بالله ومحاسبة النفس باستمرار.

المرأة ... خسارة:

ألا توافقني أن عنصر التشدد ما زال نفوذه قويًّا في معاملة المتدينين للمرأة؟

هذا صحيح ويشكل خطرًا على مستقبل الحركة الإسلامية، فالمرأة نصف المجتمع، ومع ذلك «فالأنثى» في ميدان الدعوة لم تأخذ حقها كما ينبغي،

وفشل الإسلاميون في إبراز قيادات نسائية إسلامية، بينما نجح العلمانيون في ذلك.

وكان سؤالي الأخير حول اختفاء المواهب في ميدان الدعوة. أين العلماء أمثال الغزالي رحمه الله والقرضاوي ومحمد عمارة وغيرهم حفظهم الله جميعًا؟

أجابني قائلًا: الأمر ليس بهذه الصورة القائمة، ولكن بلا شك هناك خلل في ميدان الدعوة، وله أسبابه الثلاثة: فالتعليم الديني يحتاج إلى مراجعة، والاستبداد السياسي عدو طبيعي لكل داعية ناجح، ولا يمكن أن يسمح له بأي نشاط حقيقي، إلا إذا كان في خدمة الحاكم ومآربه، كما أن الحكم المستبد قام بالتضييق على الهيئات العشبية الإسلامية ... مثل جماعة الإخوان المسلمين التي تربينا في ظلها، وأعطتنا فرصًا حقيقية للانتشار بين الجماهير، وتعلم الدعوة بطريقة عملية ومباشرة من خلالها ... وإلى هذه الجماعة وغيرها من الهيئات المخلصة يرجع الفضل في نجاح العديد من الأسماء اللامعة بميدان الدعوة في عصرنا الحديث.

ثلاث خطوات ضرورية لوحدة إسلامية تقرب بين السنة والشيعة

واصل «الشعب» حوارها مع د. يوسف القرضاوي، كان الجزء الأول من الحوار قد تناول مؤتمر الدوحة حصار العراق وحادث الأقصر.

قلت لفضيلة الدكتور يوسف القرضاوي: لكم فتوى معروفة بتحريم

التعامل والتطبيع مع الصهاينة في ظل احتلالهم لأرضنا ... فما مرتكزات هذه الفتوى؟

قال الشيخ:

إن الموقف من إسرائيل موقف مبدئي كما يعبرون عنه في عصرنا: استراتيجي ليس تكتيكيًّا، وليس سياسيًّا يمكن أن يتحرك أو يتغير بتغير الظروف، هو موقف مبدئي، وإسرائيل هي في التكييف الشرعي جماعة وصلت لأرض المسلمين واحتلتها بغير حق، ولم يكن لها في هذه الأرض أي شرعية، وإنما أخذتها بالحديد والنار والعنف والدم، وشردت أهلها في آفاق الأرض، وهذا يعني أن إسرائيل أقامت كيانها كله على العدوان والاغتصاب، ومثل هذا لا يعطي الشرعية بتقادم الزمن ومرور الأعوام، فإن مضي الزمن في نظر الشرعية الإسلامية لا يجعل الحرام حلالًا ولا الباطل حقًّا، ولا يسلب الباطل صفته والنهب هي صفقته الأولى، فعلى هذا الأساس رفضنا السلم مع إسرائيل، بمعنى السلم الذي يعطيها الحق فيما اغتصبت، ويجعل لها سلطانًا شرعيًّا على ما نهبته من دار الإسلام وأرض المسلمين.

ويمكن لمصلحة يراها أولو الأمر من المسلمين أن يعقدوا هدنة مع إسرائيل ومع دول الاغتصاب دون أن يتضمن ذلك اعترافًا بحقها وسلطانها الشرعي على ما اغتصب من أرض ... من هنا نرى أن الواجب على أهل فلسطين على وجه أخص وعلى العرب بصفة خاصة وعلى المسلمين بصفة عامة أن يقاوموا هذا الاغتصاب والعدوان الصهيوني، وإن كانت إسرائيل اليوم قوة بما تملك من ترسانة نووية وكيماوية وغيرها بمساندة أمريكا المطلقة لها والمساندة الغربية إلى حد ما، فإن سنة الله ألا يبقى القوي قويًّا،

ولا يستمر الضعيف ضعيفًا، فالأمر يتقلب ودوام الحال من المحال **{وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ}** [آل عمران: 140]، وعندنا البشائر النبوية بالانتصار على اليهود في أن الحجر والشجر سيكونان معنا بإذن الله.

قلت: بعد هذه الفتوى الواضحة، ما رأيكم في مؤتمرات الشرق أوسطية التي بدأت بمؤتمر الدار البيضاء، وانتهت بمؤتمر الدوحة، وخاصة أننا نعلم أنكم أعلنتم رفضكم لمؤتمر الدوحة على المنابر برغم إقامتكم في الدوحة؟

التقريب بين الشيعة والسنة:

قلت للدكتور القرضاوي: قضية الوحدة بين المسلمين ما زالت في وضع متأخر في سلم أولويات الأمة في ظل التكتلات التي يشهدها العالم. فما موقع قضية الوحدة للمسلمين؟ وكيف يتم التقريب بين جناحي الأمة المهيمن الشيعة والسنة؟

قال الشيخ: لا يوجد دين كالإسلام دعا إلى وحدة الأمة وتعاونها على البر والتقوى واعتصامها بحبل الله جميعًا، وحذر من الخلاف والفرقة والتنازع كما قال تعالى: **{وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ}** [آل عمران: 105]، ثم يقول: **{وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ}** [الأنفال: 46]، وفي الحديث: **«لا تختلفوا؛ فإن من كان قبلكم اختلفوا فهلكوا»**. والأمة الإسلامية تملك كل ما يقوي وحدتها ويجعل منها أمة واحدة لديها وحدة العقيدة، ووحدة الشريعة، ووحدة القبلة، ووحدة الآداب، ووحدة المصادر، ولديها وحدة للغاية، ووحدة المنهج؛ ولهذا لا يجوز أن تصبح هذه الأمة أممًا يجافي بعضها بعضًا، بل يعادي بعضها بعضًا، بل يقاتل بعضها بعضًا أحيانًا.

وكذلك مع تحذير الرسول لهم: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا، يضرب بعضكم رقاب بعض**».

وإذا كان المسلمون دائمًا في حاجة إلى الوجود أو على الأقل التضامن والتقارب فهم أحوج ما يكونون إلى ذلك في عصرنا هذا الذي يتقارب فيه المختلفون بعضهم مع بعض برغم ما كان بينهم من خلافات وعداوات وحروب ودماء طوال قرون مضت. رأينا ذلك على المستوى الديني ما بين الكاثوليك والبروتستانت من المسيحيين، بل رأيناه ما بين اليهود والمسيحيين على الرغم من القرون الطويلة التي كان العداء بينهما صريحًا ومستعر الأوار فانتهوا إلى ما أصدره الفاتيكان من وثيقة تبرئة اليهودية من دم المسيح عليه السلام . رأينا ذلك على المستوى الأيديولوجي. رأينا المختلفين أيديولوجيًّا يتقاربون فيما بينهم في ضوء سياسة التعايش السلمي القديم بين الولايات المتحدة وحلفائها من جانب والاتحاد السوفيتي وحلفائه من جانب آخر ثم سياسة الوفاق أخيرًا، إلى أن انتهى الاتحاد السوفيتي، ولكن خلفه التقارب والاتفاق مع الصين الشيوعية.

رأينا هذا التقارب على المستوى الاقتصادي والسياسي بالنسبة لأوروبا التي استمر الصراع بين دولها فترات طويلة يذكرها التاريخ ولا ينساها ولا ينسى الحروب المدمرة التي قامت بين بعضها البعض وآخرها الحربان العالميتان الأولى والثانية وما خلفتاه من ضحايا بالملايين.

ومع هذا تتقارب أوروبا اقتصاديًّا وسياسيًّا لتنشئ كتلة كبرى تستطيع أن تقف في مواجهة الكتلة الأمريكية الكندية المكسيكية. إذن العالم كله تكلم بلغة التكتل ويتضامن بعضه إلى بعض إلا إيانا نحن العرب والمسلمين، فنحن

للأسف كلما تكتل غيرنا تفرقنا نحن ويزداد يومًا بعد يوم تمزقنا في الصفوف واختلافنا في الكلمة، وهذا لا يصب إلا في مصلحة أعدائنا الذين يريدون أن يلتهمونا واحدًا بعد الآخر، فالإنسان لا يستطيع أن يلتهم الرغيف في لقمة واحدة ولكنه يقطعه لقمًا ثم يأكله ويمضغه بعد ذلك ... لهذا أدعو العرب خاصة والمسلمين عامة إلى أن يجمعوا كلمتهم ويوحدوا صفهم ويقفوا في جبهة واحدة ليحافظوا على كيانهم ووجودهم، فلا بقاء في هذا العصر للكتل الصغيرة إنما البقاء للكتل الكبرى، ونحن - بحمد الله - أمة كبرى (350) مليونًا من العرب، ووراءهم أكثر من ألف مليون من المسلمين يمكنهم أن يكونوا قوة مؤثرة في هذا العالم خصوصًا أنهم يملكون من المقومات والطاقات ما يؤهلهم لذلك، فهم أولًا يملكون الطاقة البشرية العددية كما يقول الشاعر وإنما العزة للكافرين.

قال تعالى: **{إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ}** [الأعراف: 86]، فبجانب هذه الكثرة العددية لدينا الخبرات والقوة المادية الواسعة، فالعرب والمسلمون يملكون القوة المادية والاقتصادية من السهول والوديان الخصبة الواسعة الصالحة للزراعة. ومن البحار والبحيرات والأنهار الحافلة بالثروات البحرية والسمكية، ومن المعادن النافعة والنفسية التي يحتاج إليها العالم، وحسبنا أن معظم احتياطي النفط والغاز في العالم في بلادنا العربية والإسلامية، ونملك القوة الحضارية والعمق الحضاري والتاريخي والثقافي فلسنا أمة حديثة العهد أو وليدة الأمس القريب كالولايات المتحدة أو أستراليا، نحن نعيش في منبت الحضارات ومهبط الرسالات، في أرضنا في وطننا الإسلامي الأكبر نشأت الحضارات العربية الكبرى في تاريخ العالم الفرعونية والفنيقية والآشورية

والبابلية والكلدانية والفارسية والهندية ... كل هذه الحضارات نشأت في أرض الإسلام الذي يعيش عليها المسلمون وهم ورثة هذه الحضارات، كما أن الأديان السماوية والرسالات السماوية الكبرى نشأت في ديارنا هذه، نشأت اليهودية ونزلت التوراة في هذه الأرض. ونشأت المسيحية ونزل الإنجيل وبعث المسيح بن مريم في هذه الأرض ونشأ الإسلام الذي يختم الله به الرسالات ونزل القرآن العظيم وبعث محمد بالرسالة الخالدة في هذه الأرض فنحن وحدنا الذين نملك هذه الطاقة التاريخية الحضارية الهائلة، ونملك بعد ذلك كله - وفوق ذلك كله - القوة الروحية نملك الرسالة العظيمة التي بعث بها محمد رحمة للعالمين وحجة على الناس أجمعين رسالة العدل والرحمة والوسطية والتوازن، التي وصلت الأرض بالسماء وربطت الدنيا بالآخرة ووازنت العقل والقلب ومزجت بين الروح والمادة ووفقت بين حرية الفرد ومصلحة المجتمع، هذه الرسالة هي سفينة الإنقاذ وطوق النجاة للعالم مما يعانيه من مادية مجحفة وإباحية مسرفة وشرود عن الصراط المستقيم، نحن المسلمون وحدنا الذين نملك الوثيقة الإلهية التي تجسد كلمات الله الأخيرة للبشرية والتي لم يعتريها أي تحريف أو تبديل، أنها القرآن الكريم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والذي تولى الله تعالى حفظه بنفسه **{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ}** [الحجر: 9]، هذه الرسالة التي تعطي الإنسان الإيمان ولا تأخذ منه العلم، تعطيه الروح ولا تسلبه المادة ... تعطيه القوة ولا تحرم عليه طيبات الدنيا، تربطه بالسماء ولكن لا تنزعه من الأرض، تأمره برعاية حق الرب ولا تحرمه من رعاية حظوظ النفس «**إن لبدنك عليك حقًّا، وإن لعينيك عليك حقًّا، وإن لأهلك عليك حقًّا**»،

وشعارها: {رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ} [البقرة: 201].

نحن المسلمين نملك وحدنا هذه الطاقات كلها، والقوة البشرية والقوة المادية والقوة الحضارية والقوة الروحية، ولكن برغم هذه الطاقات والقوة التي لنا فنحن في مجموعنا ضعفاء؛ لأننا متفرقون والتفرق يضعف الكثرة، كما أن الاتحاد يقوي القلة، وكما يقال على مستوى الأفراد: المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، ضعيف بمفرده قوي بجماعته، كذلك نقول على مستوى الأمة، والأمة قوية بشعوبها إذا تضامنت وتلاحمت وأصبحت إرادتها واحدة ووجهتها واحدة وقرارها واحد، حينئذ تستطيع أن تؤثر إيجابيًّا فيمن حولها وما حولها تستطيع أن تشد أزر الصديق وترد كيد العدو، ومن هنا أدعو أمة الإسلام إلى أن يتقاربوا ويتضامنوا وينسوا كل خلاف بينهم سعيًا إلى الوحدة التي كانت قدر هذه الأمة وهدفها المنشود، ولهذا حضرت ندوة التقريب بين المذاهب الإسلامية التي دعت إليها المنظمة الإسلامية «إيسيسكو» للثقافة والعلوم بمدينة الرباط صيف «1996م» وقدمت ورقة في ذلك وتحدثت بصراحة مع الإخوة حجج الإسلام الذين جاءوا يمثلون المذهب الشيعي، وقلت إذا أردنا أن نقيم أمة إسلامية ووحدة إسلامية تقرب بين المذاهب الإسلامية تقريبًا حقيقيًّا وليس مجرد كلام يقال أو شعار يرفع لا بد أن نراعي أشياء مهمة هي:

أولًا: أن نبتعد عن القضايا التي تثير الفرقة ولم يعد لها مبرر مثل سب الصحابة رضي الله عنهم، فلا معنى أن يشغل إخواننا الشيعة بذلك وقد أفضى الجميع إلى ربهم وانتهوا إلى ما قدموا، وقد قال عمر بن عبد العزيز عندما

سئل عن الدماء التي سالت بين الصحابة فأجاب إجابة حكيمة وقال: تلك دماء طهر الله منها أيدينا فلا نلطخ بها ألسنتنا.

وقال تعالى: **{تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ}** [البقرة: 134]، ولا يمكن أن نتقارب دون ما يسب أحدنا الآخر أو رجاله أو مذهبه.

ثانيًا: لا يجوز لأي من أهل السنة أو الشيعة أن يعمل على نشر مذهبه في البلاد الخالصة للمذهب الآخر، ولا يجوز للسني أن يذهب لنشر المذهب السني في طهران أو قم، كما لا يجوز للشيعي أن ينشر المذهب الشيعي في مصر أو الجزائر الخالصة للسنة، فما قيمة أن يزداد مائة أو مائتين للشيعة أو للسنة ولكنهم يثيرون الفرقة والخلاف، يجب أن نتفق على ذلك جيدًا.

ثالثًا: كذلك يجب أن يحترم كل منا حقوق الأقلية التي تعيش في رحابه وظله، فإذا كانت هناك أقلية شيعية يجب أن نرعى حقوقها وأن يتمكنوا من أداء صلواتهم وعبادتهم، وإذا هناك أهل السنة في بلاد الشيعة، وكذلك لو هناك شيعة عند أهل السنة - وهذا واقع فعلًا - فهؤلاء يجب أن يعطوا حقوقهم الدينية والسياسية، ومن الناحية السياسية يجب أن يمثل أهل السنة أو الشيعة تمثيلًا يكافئ عددهم في مجلس الوزراء وفي البرلمان مثلما يحدث في مصر، ففي مصر أقلية مسيحية يمثلون في مجلس الشعب والوزارات.

يجب أن نسعى وأن نرعى هذه الضوابط ونقرها على المستوى العلمي والنظري أمام القوى التي تريد أن تبتلعنا ولا تريد أن يكون لنا موضع، لو نجحنا في هذا بإذن الله فإن الطريق إلى التقارب سيكون سهلًا؛ لأن ما يجمع

أكثر مما يفرق بكثير والوحدة الآن هي ألزم ما تكون لأننا في معركة، وفي المعركة يجب أن ننسى كل خلاف.

نحن في معركة دينية وعسكرية واقتصادية وسياسية وعلى كل صعيد مع الأعداء، وهذا يتطلب أن نضم الصفوف جميعًا، ولا يجوز أن نقول شيعة وسنة والغرب يضرب السودان السني ويهددون إيران الشيعية فهم يريدون ضرب الشيعة، والسنة جميعًا.

وهذا هو الواجب الحتمي على أهل الدين وأهل الفكر وأهل السياسة في هذه الآونة الخطيرة في حياة أمتنا، أن يسعوا للتوحيد وللتقريب وينبغي أن يكون شعار الجميع القاعدة الذهبية التي وضعها رشيد رضا وتبناها الإمام حسن البنا: «نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه»، وأعتقد أن ما نتفق عليه ليس بالهين أو القليل ويتطلب منا جهودًا ضخمة، فلنتعاون في هذا الجانب، والله يوفق الجميع ويهدينا سواء السبيل.

* * *

مقابلات

حوار مع الدكتور يوسف القرضاوي[7]

أجراه: رئيس التحرير

الأستاذ/محمد باقر الحكيم

كنت قد عرفت الشيخ يوسف القرضاوي من كتاباته الكثيرة، ومحاضراته

(7) حوار أجرته مجلة «رسالة التقريب» التي تصدر من «طهران».

المسموعة والمرئية، وعرفت فيه رجلًا يعيش الهمّ الإسلامي بأوسع معانيه. يفهم كل ما يدور في الساحة الفكرية والاجتماعية ويعالجه على أساس من القرآن والسنة، وبلغة العصر، كما يتناول من القضايا ما يحتاجه العصر، وخاص ما تحتاجه فئة الشباب.

حين زار الجمهورية الإسلامية بدعوة من المجمع العالمي للتقريب كان لا بد أن أتشرف بزيارته، التقيته في محل إقامته، وما إن وقعت عيني عليه حتى تجسّم أمام نصف قرن من تاريخ الدعوة والصحوة والعودة، وما إن جلست إليه وفتحت معه أبواب الحديث حتى رأيت في الرجل روح الشباب وتجربة الشيوخ، وعلم الأزهر، وتاريخ حسن البنا وحسن الهضيبي وسيد قطب ومحمد الغزالي. إنه تاريخ حي للصحوة الإسلامية المعاصرة، وصوت معبّر عن إرادة هذه الأمة في حياة إسلامية عزيزة كريمة، ورؤية مفعمة بالأمل في مستقبل الإسلام على ساحة المعترك الحضاري القائم.

كان من الصعب عليّ أن أطلب منه تسجيل مقابلة. ولذلك بدأت حديثي معه عن واقع التجزئة في عالمنا الإسلامي، فطفق يتحدث عن هذه الحقيقة المرة، وما عاناه هو في حياته الدعوية من الحدود والسدود القائمة بين بلدان المسلمين.

وحينما بدأ الحديث عن همومه في التقريب وفي توحيد المسلمين، طلبت منه أن أسجل حديثه فرحّب، ثم تواصلت الأسئلة، فكانت هذه المقابلة:

بودّي فضيلة الشيخ أن أسجل حديثكم بشأن هموم «التقريب» وهموم «الوحدة».

مرحبًا، بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله، والصلاة والسلام على محمد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه. ربنا آتنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدًا. ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا، وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب.

أما بعد، فيسرني في بداية هذا اللقاء أن أحيي الأخوة في الجمهورية الإسلامية في إيران الشقيقة وأحيي على الأخص المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية، ورسالته التي نعتز بها في التقريب بين أبناء الأمة الواحدة.

وأود أن أقول: إن توحيد أبناء الأمة الإسلامية في كتلة واحدة تقف أمام الجبهات المعادية والقوى المتربصة بالأمة همٌّ من الهموم الكبرى التي أعيش لها وأموت عليها إن شاء الله.

فريضة وضرورة:

نشأتُ في جماعة إسلامية ترى أن وحدة المسلمين فريضة وضرورة؛ فريضة يوجبها الدين، وضرورة يحتمها الواقع. كان الإمام الشهيد حسن البنا رضي الله عنه وأرضاه ممن ينادي بوحدة أمة الإسلام، في مشارق الأرض ومغاربها. ويقول: إن القرآن عبّر عن الوحدة بالإيمان وعن التفرق بالكفر، حينما قال الله تعالى: **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَرُدُّوكُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ كَٰفِرِينَ}** [آل عمران: 100].

أسباب نزول الآية وسياقها يدل على أن معناها: يردوكم من بعد وحدتكم متفرقين؛ لأن اليهودي الذي أراد أن يفرق بين الأوس والخزرج، حتى إن

بعضهم نادى: السلاح السلاح ... إلى آخره. هو لم يفعل شيئًا، إلا أنه أراد أن يفرّق الأمة بعد وحدتها ... قال: يردوكم بعد إيمانكم كافرين ... وقال: **{وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُۥ}** [آل عمران: 101] كيف تكفرون؟ كيف تتفرقون؟ وكيف تتعادَون بعد أن جمعكم الإسلام؟ فمن أجل هذا نشأت منذ بداية شبابي وأنا أؤمن بالوحدة، وكنا نحفظ من الشعر الذي ننشده في رحاب دعوة الإخوان المسلمين:

ولست أرضى سوى الإسلام الهند فيه ووادي النيل سِيّانِ
وكلّما ذُكر اسمُ الله في وطنٍ عددت أرجاءه من لُبِّ أوطاني

وأنا أكدت هذا المعنى في نشيد لي اسمه: «مسلمون». وفي وقت من الأوقات كانوا في بلاد العرب - أيام مدّ القومية العربية - يتغنون ويتنادون بالعروبة ويكادون يتناسون الإسلام. وكل شيء: عرب عرب عرب. ... عربًا كنّا ونبقى عربًا. وأنا في هذا الوقت أنشأت نشيدًا اسمه: مسلمون. والنشيد اشتهر وشرّق وغرّب وخاصة على لسان الشباب، وفي بعض البلاد اتخذوه شبه نشيد وطني، في جمهورية اليمن في أيام الأرياني كان التلاميذ في المدارس ينشدونه. والنشيد يقول:

مسلمون مسلمون مسلمون حيث كان الحق والعدل نكون
نرتضي الموتَ ونأبى أن في سبيل الله ما أحلى المنون

ويقول:

يا أخي في الهند أو في أنا مِنكَ، أنتَ منِّي، أنت بي
لا تسل عن عُنصُري عن إنه الإسلامُ أمي وأبي

إخوة نحن به مؤتلفون

مسلمون مسلمون مسلمون ...

فهذا المعنى يسيطر من قديم على تفكيري وعلى توجهي ونفسي. وأرى أن من الأمور الأسياسية أن تكون هذه الأمة أمة واحدة.

أمة لا أمم:

والله سبحانه يعبّر عن المسلمين باسم الأمة. ولذلك أن أُخطّئ الكتّاب والمفكرين والخطباء الذين يقولون: الأمم الإسلامية، ليست هناك أمم إسلامية، هناك أمم إسلامية واحدة ذات شعوب إسلامية. يقول سبحانه: **{وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ}** [الحجرات: 13]. وترديد كلمة «أمم إسلامية» انسياق وراء الاستعمار الذي يريد أن يجعل منا أممًا، ونحن نريد أن نكون أمة كما أرادها الله، لا أممًا كما أراد الاستعمار. قال سبحانه: **{كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}** [آل عمران: 110]، و**{وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا}** [البقرة: 143]، و**{وَإِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً}** [المؤمنون: 52].

توحيد الأمة من الأهداف الكبرى التي أعتبرُها من رسالتي الأساسية، وينبغي أن تكون من رسالة كل داعية مسلم وكل عالم مسلم يريد أن ينهض بإصلاح الأمة وتجديد الدين فيها.

في تليفزيون قطر:

كنت أذكر أمس موقفًا لي حدث قريبًا في قطر. لي برنامج تليفزيوني هناك تحت عنوان: «هدي الإسلام». وهذا البرنامج يُعرَض منذ أن نشأ تليفزيون قطر حتى اليوم. والبرنامج إجابة على أسئلة ترد إليّ وأنا أردّ عليها. في

الجمعة قبل الماضية جاءتني رسالة من أحد الإخوة يقول لي فيها: أنا فلان بن فلان دخلت مسجدًا من مساجد الدوحة لأصلي فيه، فإذا رجل يلمحني في المسجد فقام في وجهي ثائرًا وقال: ما لك ولهذا المسجد؟ ما الذي أدخلك هذا المسجد؟ هذا مسجد لأهل السنة، وأنت لست من أهل السنة، اخرج من هذا المسجد. يقول صاحب الرسالة: كدت أذوب خجلًا من هذا الموقف، لولا أن بعض الحاضرين من أهل العقل والحكمة أسكتوا هذا الرجل. وخرجت وأنا في غاية الخجل مما حدث.

أنا انتهزت هذه الفرصة، وتوجهت باللوم على من فعل هذه الفعلة، وقلت: هذا الرجل لم يفهم الدين ولم يفهم العلاقات بين الناس. المسجد مفتوح للمسلمين أي واحد يريد أن يصلي فيه فأهلًا ومرحبًا. بالعكس هذا الشخص الذي دخل مسجد أهل السنة ليصلي وهو شيعي إنما هون رجل رحب الأفق واسع الصدر ومتسامح وليس متعصبًا. ولو كانت عنده عصبية عمياء لما دخل مسجدًا من مساجد أهل السنة.

مثل هذا يجب أن نرحّب به ولا نضيق به. وأخذت معظم الحلقة وهي من خمسين دقيقة حول هذا الموضوع والعلاقة بين السنة والشيعة، وبين أبناء القبلة الواحدة. والسلف عبّروا عن وحدة هذه الأمة بعبارة موجزة معبرة إذ سمّوا المسلمين: أهل القبلة ما داموا يصلون إلى قبلة واحدة، فهذا هو الجامع المشترك. وفي الحديث: «**من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فهو منا**»، فنحن أهل قبلة واحدة، ولا ينبغي أن يكون اختلاف المذاهب في مسائل عائقًا لنا عن أن تكون لنا أرضية مشتركة تكون أساسًا لعمل مشترك لخدمة الإسلام ونصرة قضايا الإسلام وإعلاء كلمة الإسلام وتوحيد أمة

الإسلام، والوقوف بوجه مكائد أعداء الإسلام. وهذا هو أساس فكرة التقريب.

فكرة التقريب:

أنا أريد أتحدث عن فكرة التقريب، ماذا نريد من وراء التقريب؟ هل نريد أن نجعل السنيَّ شيعيًّا، أو الشيعي سنيًّا؟ لا، هذا ليس مقصودًا، ولو أردناه لكان خَبَلًا منا.

فاستقرار المذاهب أدى إلى أنه لم يعد من السهل أن يتحول فرد من مذهب إلى آخر. فلا ينبغي أن يكون هدفنا التحويل من مذهب إلى مذهب. ولا ينبغي أيضًا أن يكون هدفنا رفع الخلاف. هناك بعض الناس داخل أهل السنة يريد رفع الخلاف بين المذاهب مع بعضها. يقولون: لا نريد التعبد على أي مذهب، نريد إلغاء المذاهب. هذا في الواقع ليس ممكنًا. قلنا لهؤلاء: لو فعلنا ذلك فسنزيد على المذاهب الثمانية مذهبًا تاسعًا، وعلى تعبير أهل السنة: نزيد المذاهب الأربعة مذهبًا خامسًا؛ لأن معنى ذلك أن تأتي بآراء جديدة يتبناها بعض الناس، وتصبح مذهبًا، وهذا هو الواقع فعلًا. هؤلاء الذين ينادون بإلغاء المذاهب كوّنوا مذهبًا آخر، ولكن ليس على رأسه مالك أو أبو حنيفة أو الشافعي أو جعفر الصادق أو زيد بن علي. إنما على رأسه أناس لم يبلغوا - على الأقل - هذه الدرجة.

الاختلاف ضرورة:

لذلك أنا أقول: ليس المقصود من فكرة التقريب رفع الخلاف. الخلاف لا بد منه. وأنا ذكرت في كتاب لي تحت عنوان: «الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم» أن الاختلاف في فروع الفقه وحتى

في فروع العقيدة سيظل قائمًا، في مسائل العدل والتوحيد ورؤية الله في الآخرة ومسائل القدر وأفعال العباد ومقدار العلاقة بين القدرة الإلهية والقدرة البشرية، والإرادة الإلهية والإرادة البشرية، الناس سيختلفون في هذه الأمور.

وذكرت أن الاختلاف في الفروع «ضرورة» و«رحمة» و«سعة».

هو ضرورة دينية، وضرورة لغوية، وضرورة بشرية، وضرورة كونية.

هو ضرورة دينية لأن الله عمع لم ينزل كتابه كله آيات محكمات قاطعة الدلالة يجتمع عليها الناس ولا يختلفون. ولكن **{مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ}** [آل عمران: 7] النصوص التي جاءتنا: نصوص قطعية الثبوت في القرآن الكريم، وبعض الأحاديث المتواترة وهي محدودة. ونصوص ظنية الثبوت وهي تشمل معظم الأحاديث. وظنية الدلالة وهي معظم النصوص سواء كانت نصوص القرآن أو نصوص السنة. لا يمكن أن تجزم بأن هذه هي الدلالة الوحيدة. بعضهم قال: كيف تردّ الحديث؟ أنت تقول باجتهادك وأنا أقول بالحديث! قلت له: يا أخي، صحيح أنت تقول بالحديث ولكن حسب فهمك. الحديث معصوم ولكن فهمك ليس معصومًا. كل واحد له فهم غير فهم الآخر تأخذ آية مثل آية الطهارة في سورة المائدة: **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ وَإِن كُنتُمْ جُنُبًا فَٱطَّهَّرُواْ}** [المائدة: 6] في الآية خلافات شتى: هل الواو في الآية تفيد الترتيب أو هي لمطلق الجمع كما يقول النحويون؟ هل تشترط النية أو لا تشترط، الآية لم تقل بالنية، إنما هذا استنباط. هل الموالاة شرط أو ليست شرطًا؟ في الآية قراءة «وأرجلِكُم» و«أرجلَكُم» فهل الآية تأمر بمسح الرجل كما يفعل الشيعة في الوضوء أو غسلها؟. ... وهكذا ...

فظنية الدلالة هذه أعطت متسعًا للخلاف. وتجد هناك جماعة يهتمون بظاهر النص وآخرين يُعْنون بفحوى النص. المدرسة الحرفية الظاهرية، ومدرسة المقاصد التي تُعنى بمقاصد الشريعة. وهؤلاء موجودون. كانوا موجودين من عصر النبوة إلى يومنا هذا، وسيظلون موجودين إلى ما شاء الله. الذي يهتمون بالمقاصد والذين يهتمون بالظواهر.

ومعروف في السيرة النبوية قضية قوله صلى الله عليه وسلم : «**من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة**». وفي الطريق حينما أوشكت الشمس أن تغرب، جماعة من الصحابة قالوا: إن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يرد منا أن نضيع الوقت، إنما أراد منا سرعة النهوض، فصلوا في الطريق. وجماعة قالوا: لا، هو قال: فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة، ونحن لا نصلي إلا هناك، ولو وصلنا في منتصف الليل. وحينما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم فعل هؤلاء وهؤلاء، لم ينكر على طائفة منهم؛ لأن كلًّا منهم اجتهد حسب رأيه، فأقرّ الطائفتين. هناك إذن مجال للاختلاف، حسب التوجه. هناك من ييسر ومن يشدد. وهذا ما سأذكره في الضرورة البشرية.

فأنا أقول هناك ضرورة دينية. إن الدين أراد هذه السعة، وأراد أن يكون بهذه المرونة ليتسع لطوائف الناس المختلفة، للمضيق والموسّع والمشدد والميسّر والحرفي والمقاصدي. ولو كان حرفًا واحدًا ووجهًا واحدًا لضاق بالآخرين. فهذه ضرورة دينية.

وهو ضرورة لغوية لأن اللغة كما أشرت في الآية الكريمة: حقيقة ومجاز وصريح وكناية وعام وخاص ومنطوق ومفهوم، وما يُفهِم بالعبارة وما يُفهم

بالإشارة ... إلى آخره ... حتى إننا إذا بحثنا في علم «أصول الفقه» نجد الفقهاء والأصوليين اختلفوا في كثير من الأشياء: هل العامل دلالته قطعية أو دلالته ظنية؟ وإلى أي حد يخصص الخاص العام، ويقيد المقيد المطلق؟ ومفهوم المخالفة ما دلالته؟ وأشياء كثيرة، وهذه مباحث لغوية في الحقيقة، ولذلك علم الأصول فيه مباحث هامة أساسها لغوية.

وهؤلاء الذين يبحثون في علم اللغة أغفلوا مصدرًا هامًّا من مصادر الدراسات اللغوية وهو علم أصول الفقه والمباحث اللفظية واللغوية فيه. هذه اللغة تتسع ... قال قوم في قوله تعالى: **{أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ}** [النساء: 43] إن **{لَٰمَسْتُمُ}** بمعنى: وضع البشرة على البشرة. وهذه هي الملامسة، بينما قال آخرون - كما جاء عن ابن عباس -: إن ألمسه واللمس والملامسة في القرآن كناية عن الجماع إن الله حييّ كريم يكنّي عما شاء بما شاء. فلامستم يعني: الاتصال الجنسي، كما جاء في مواقع أخرى: **{إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ}** [البقرة: 236]، **{وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ}** [البقرة: 237]، ليس معنى المس هنا وضع البشرة على البشرة. وحينما قال مريم «ع»: **{وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ}** [آل عمران: 47]، فهل يعني أنه لم يضع بشرته على بشرتي؟! فهناك كنايات وهناك مجازات، والفقهاء يختلفون في هذه المسائل.

الاختلاف أيضًا ضرورة بشرية؛ لأن البشر يختلفون مع بعضهم في التوجهات النفسية والفكرية. عُرف في التراث الإسلامي: شدائد ابن عمر، ورُخص ابن عباس. قال أبو جعفر المنصور للإمام مالك: أريدك أن تصنّف كتابًا تتجنب فيه شدائد ابن عمر ورُخص ابن عباس وشواذ ابن مسعود، وتوطأه للناس توطيئًا ... هؤلاء صحابة ... ولكن لكل شخصيته التي تختلف

عن شخصية الآخر. ابن عمر مشدّد كان يزاحم على الحجر الأسود حتى يدمى ويُجرح. قيل له: لِمَ تفعل هذا؟ دع هذا لمن يأتون من بعيد ... من إفريقيا ومن البلاد البعيدة ... إنما أنت قرب الحجر. بَعدَ الحج قبّل الحجر كما تشاء. فقال: هفت القلوب إليه فأحببت أن يكون فؤادي معهم. أما ابن عباس فيقول «في تقبيل الحجر والتماسه»: لا يؤذي ولا يؤذى. والله خلق الناس هكذا. عندما تنظر إلى موسى وهارون عليه السلام ا. كلاهما نبي ورسول من الله، ولكن لكل منهما طبيعة غير طبيعة الآخر، مع أنهما من أب واحد وأم واحدة. موسى قوي شديد: **{فَٱسْتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنْ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ... }** [القصص: 15].

حينما جاء ورأى القوم قد عبدوا العجل ألقى الألواح التي كتبت فيها التوراة من الغضب، هو غضب لله. وأمسك برأس أخيه يجرّه إليه قال له: **{مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوٓاْ 92 أَلَّا تَتَّبِعَنِۖ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي 93 قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِيٓۖ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي}** [طه: 92 - 94].

ثم إن الاختلاف ضرورة كونية لأن الله خلق الكون مختلفًا ألوانه. وهذه العبارة تتردد كثيرًا في القرآن الكريم: **{أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدُۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ 27 وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ}** [فاطر: 27، 28].

فاختلاف الألوان والتنوع هو مصدر ثراء للحياة في كل جانب من الجوانب، فينبغي أن لا نضيق بالاختلاف؛ لأنه يعطينا رؤى متعددة ووجهات

نظر متنوعة. وقد تصلح رؤية لوقت ولا تصلح لآخر، ويصلح رأي لبيئة ولا يصلح لأخرى، ويصلح فكر لزمن ولا يصلح لآخر. فعندما تكون عندنا هذه الرؤى وهذه الآراء المتعددة تعطينا ثروة هائلة نستطيع أن نغترف منها ونستفيد منها في إصلاح دنيانا، ونستفيد منها للتشريع في عصرنا المتجدد المتطور.

مع كل هذه الضرورات نرى في المجتمع الإسلامي حالة تمزّق وتشرذم هي أقرب إلى العشائرية منها إلى الأمة، فما هو السبب؟

المسلمون ينقصهم قراءة الإسلام بشكل صحيح وقراءة الواقع بشكل صحيح. أكثر المظاهر السلبية التي تسود في العالم الإسلامي ومنها حالة التشرذم تعود إلى هذا النقص.

هب أنني مختلف مع الشيعي في بعض المسائل. هل هذا يمنع أن نقف صفًّا واحدًا في القضايا المصيرية؟ ليختلف الناس. فالناس سيظلون مختلفين. ولكن هناك قضايا تلزمني بأن أضع يدي بيد أخي وجاري وابن عمي ومَنْ بيني وبينه صلة ما لمواجهة الخطر الأكبر.

القرآن الكريم يقول: **{إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ}** [الصف: 4]. أي ساعة المعركة يجب أن تُنسى الخلافات الجزئية والجانبية كلها ويقف الناس صفًّا واحدًا كأنهم بنيان مرصوص. لا يعلو صوت على صوت المعركة. لو عرفنا أننا في معركة واحدة، وأن عدونا واحد، وأننا نواجه مصيرًا واحدًا لما سمحنا لهذه العصبية العشائرية والقبلية. الإسلام جاء وقضى على هذه العشائرية والقبلية وقال عنها: إن هذه جاهلية

... دعوها فإنها منتنة. واعتبر من دعا إلى عصبية فليس من المسلمين ... ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من قاتل على عصبية ... ومن قتل في هذا فقتلته جاهلية. فيجب أن نبرأ من هذه العشائرية ونتكلم بمنطق الأمة الواحدة.

لو فقهنا منطق العصر لعرفنا أنه التكتل وليس التمزق الكيانات الصغيرة لا حياة لها ولا وجود لها. لا يمكن أن تقوم وأن تستمر في هذا العالم إلا بضمان القوى الكبرى. إذا أردت أن تعيش في هذا العالم وأنت صغير لا بد أن تحتمي بكبير ما، وبهذا تكون قد فقدت إرادتك وحريتك واستقلالك وأصبحت ذنبًا لغيرك.

الكيانات الآن في العالم تتكتل وتتضامن وتتلاحم بعضها مع بعض. رأينا التكتل الأوروبي. أوروبا تتكتل بشكل سياسي وبشكل اقتصادي وبشكل ثقافي. ورأينا ذلك في أمريكا وكندا ... المسلمون أيضًا بحاجة إلى أن يتكتلوا، وهم أولى من غيرهم بذلك. لا يمكن أن يعيشوا، لا يمكن أن يدخلوا عصر التكنولوجيا المتطورة دون تكتل.

نحن نرى الآن في أوروبا أن أكثر من دولة من الدول الصناعية الكبرى تشترك في صنع طائرة ذات إمكانات ضخمة لا تستطيع دولة من الدول الكبرى بمفردها أن تصنعها. بل قيل: إن عددًا من الدول الكبرى تشترك في صنع محرك طائرة. فكيف نستطيع نحن أن ندخل عصر التكنولوجيا المتطورة، وعصر الثورات: الثورة الفضائية والثورة التكنولوجية والثورة المعلوماتية ... كيف نستطيع أن ندخل هذا العصر فرادى مبعثرين ... لا يمكن إلا أن نكون كيانًا كبيرًا. المرء قليل بنفسه كثير بإخوانه ... ضعيف

بمفرده قوي بأمته. نحن - كأمة - قوة كبرى. إنما نحن كشعوب وكأوطان مزقها الاستعمار، وجعل الدول القطرية هي الأساس لا يمكن أن يكون لنا وزن وأن يكون لنا شأن في العالم بهذا التمزق.

الله سبحانه ينبهنا إلى حقيقة كبرى حين يقول: **{وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ}** [الأنفال: 73]، والفقهاء عندنا يقولون: الكفر كله ملة واحدة. **{إِلَّا تَفۡعَلُوهُ}** أي أن لا يوالي بعضكم بعضًا ويساند بعضكم بعضًا، ويتلاحم بعضكم مع بعض ويتكتل بعضكم مع بعض تكن فتنة وفساد كبير؛ لأنه سيكون التكتل في جانب الباطل والتمزق في جانب الحق، وهذا فتنة في الأرض وفساد كبير. فالواقع يحتم على المسلمين والدين يحتم على المسلمين أن يتلاحموا فيما بينهم، وأن يبحثوا عن القواسم المشتركة، لا أن يبحثوا عن نقاط التمايز والاختلاف. إذا بحثت عن نقاط التمايز والاختلاف سأجد بيني وبين الشيعة، بل سأجد بين مذاهب أهل السنة تمايزًا واختلافًا. جماعة تهاجم الأشعرية والماتريدية، وهم من أهل السنة. وهناك حرب بين الصوفيين والسلفيين ... وبين وبين ... إنما الأولى أن نبحث عن القواسم المشتركة ونكوّن الأرضية التي ننطلق منها لإعلاء شأن الإسلام ومجابهة أعداء أمة الإسلام ورسالة الإسلام، وتقوية هذه الأمة حتى تقوم برسالتها.

المشكلة ليست في عامة الناس فحسب، بل المشكلة في العلماء أيضًا. هذه الفتاوى الشاذة والمواقف المتطرفة التي تصدر عمن يسمون أنفسهم علماء بتكفير هذا وإحلال دم ذاك تزيد الطين بَلّة وتعمل على مزيد من التمزيق، ما رأيكم في ذلك؟

كان لي حديث أخيرًا مع بعض العلماء الأفاضل، وتحدثنا عن هذا الموضوع، وقلت لهم: الآفة ليست في العاميّ المحض ولا في العالِم الخالص. العالِم الحقيقي ليس من ورائه شر إن شاء الله. والعاميّ المحض ليس من ورائه شر أيضًا؛ لأنه يتبع العالم في الغالب ويسأله. إنما المشكل في أنصاف العلماء.

قالوا: إنما أفسد العالم هؤلاء الأنصاف، نصف طبيب ونصف نحوي ونصف متكلم ونصف متفقه. نصف الطبيب أفسد الأبدان، ونصف النحوي أفسد اللسان، ونصف المتكلم أفسد الأديان، ونصف المتفقه أفسد البلدان بفتاواه.

هؤلاء الأنصاف ... هؤلاء الذين قرأوا بعض الكتب في الأحاديث واستمعوا إلى بعض الأشرطة رأوا أنهم أصبحوا أئمة، وينظر بعضهم إلى نفسه أنه شيخ الإسلام. وإذا قيل له: أبو حنيفة قال كذا ومالك قال كذا، يقول: هم رجال ونحن رجال!!

هذا «المفعوص»! كما نسميه يعتبر نفسه رجلات رأسه برأس أبي حنيفة ومالك!! هذه هي المشكلة. هؤلاء غالبًا لم ينشأوا النشأة الإسلامية الصحيحة، ولم يأخذوا العلم من أهله. كان السلف يقولون: لا نأخذ العلم من صُحفي، ولا من القرآن من مُصحفي. والمصحفي هو الذي تعلّم القراءة من المصحف فقط ولم يتلق القرآن من قارئ مجيد يلقنه القرآن كلمة كلمة وحرفًا حرفًا. إذا أردنا أن نتعلم القراءة وعلم القراءات لا بد أن نأخذه عن شيخ مُقرئ. وكذلك لا نأخذ العلم عمن أخذ علمه من الصحف ومن الكتب ولم يتلقاه على يد الشيوخ المتقنين.

لا بد أن يتربّى في الحلقة العلمية وفي جو العلم وفي مناخ العلم. العلم له جو وليس مجرد أنك تقرأ كتابًا وتفهم العبارات فهمًا قد يكون خاطئًا؛ لأنك لم تجد من يسددك ويرشدك ويبين لك خطأك.

هؤلاء في الغالب يكونون من هذا النوع ... الصحفيون أخذوا العلم من الصحف ولم يأخذوه عن أهله وشيوخه المتقنين له.

نحن في حاجة أن نوعي الأمة على خطر هؤلاء، وأن نقف بوجه هؤلاء الذين اجترأوا على الفتوى. العلماء الكبار يتهيبون الفتوى. وأنا أحيانًا أُسأل، وتأتيني رسائل فأوجلها ... وأؤجلها؛ لأني لم أكوّن رأيًا فيها ناضجًا أستريح إليه. وهؤلاء يفتون في أعوص المسائل وفي أخطر القضايا، فلذلك نقول: يجب أن نحذر من هذا الشباب الذي وضع نفسه موضع الفتوى وموضع التوجيه في قضايا الأمة، ويجب أن تكون الأمة على وعي وبصيرة في هذه الناحية. فمهمتنا توعية الأمة في هذه القضية والتحذير من هؤلاء الذين أُبتليت بهم أمتنا في العصر الأخير.

عاصرتم الصحوة أكثر من نصف قرن، وعشتم أحداثها وكتبتم عنها، ما هو رأيكم فيمن يقول: إنها هيجة عارضة وردود فعل عابرة سوف تنتهي عاجلًا.

القوى المعادية للأمة الإسلامية أقلقتها هذه الصحوة وأزعجتها وزلزلت كيانها، وأرادت أن تخترع لها أسبابًا ودواعي وبواعث. هناك من قالوا: إن هذه الصحوة ذات أسباب اقتصادية. البطالة في البلاد الإسلامية ومشاكل الشباب. وهناك من قال: إنها ردة فعل نتيجة الإحباط تجاه ما قامت به الأنظمة

في البلاد الإسلامية. وهناك من قال في مصر: إن هذه الصحوة صنعها أحد حكام مصر ليضرب الشيوعيين.

كأن هذه الصحوة قطعة من العجين تشكّلها كيف تشاء ...

هذه صحوة هائلة ... صحوة أمة ... وهي صحوة عالمية، وليست في بلد واحد. وإذا كان هذا الحاكم صنعها في مصر، فما الذي صنع الصحوة في إيران وباكستان وأفغانستان وفلسطين والجزائر؟! بل ومن الذي صنع الصحوة خارج العالم الإسلامي؟! أنا من الرحَّالة الذين يطوفون في الأرض، وجدت هذه الصحوة حتى خارج العالم الإسلامي، في أوروبا وأمريكا الجنوبية وفي الشرق الأقصى.

حيثما ذهبت في الأرض وجدت هذه الصحوة.

قد تكون هذه الأسباب التي يذكرونها من الأشياء الْمُعِنية، ولكن الأساس في الأمة الإسلامية هي أنه يمكن أن تنام ولكن لا يمكن أن تموت. فهناك قرآن يتكرر على أسماعها آناء الليل وأطراف النهار، وهناك سيرة نبوية وسنة محمدية، وهناك تاريخ حافل وحضارة، وهناك تراث شامخ وثري. هذا كله يغذي هذه الأمة ويجعلها لا تستسلم للنوم الطويل. قد تنام فترة من الزمن ولكن لا بد أن تستيقظ. وعلى فترات التاريخ الأمة أصابها ما أصابها ولكن كانت تخرج بعدها إلى استعادة دورها. الصليبيون هاجموها من الغرب والمغول من الشرق، ولكن الله هيّأ لها رجالًا أيقظوها من سبات، وجمعوها من شتات، وأحيوها من ممات، أمثال: عماد الدين زنكي، ونور الدين الشهيد محمود، وصلاح الدين الأيوبي، والظاهر بيبرس، وغيرهم من الذين تصدوا

لهذه القوى وردّوها مدحورة وعادت الأمة من جديد.

في عهد الاستعمار، الاستعمار دخل بلاد المسلمين وقاومت الأمة، وكان الذي يحرك الأمة لمقاومة الاستعمار هو الدين كما شهد بذلك المؤرخون بما فيهم الغربيون. «برنارد لويس» قال: إن الحركات الدينية وعلماء الدين كانوا هم المحركون الأوائل لحركات التحرير في العالم الإسلامي، وهذه حقيقة، فاستطاع هؤلاء أن يحركوا الأمة. وقام مجددون في كل جهة من جهات الإسلام ومصلحون يعمل كلٌّ في تحريك الأمة. وحركات التجديد والإصلاح والإيقاظ صنعت صنعها حتى تفجرت في هذه الصحوة.

فليس الصحوة وليدة اليوم أو بنت الأمس، وإذ ذَكرتُ الصحوة فلا بد أن أذكر كل من ساهموا فيها من: جمال الدين الأفغاني إلى محمد عبده، إلى عبد الرحمن الكواكبي إلى محمد إقبال إلى شلبي النعماني، إلى حسن البنا، إلى سيد قطب، إلى مصطفى صادق الرافعي، إلى الشيخ عبد الحميد بن باديس، والشيخ البشير الإبراهيمي والشيخ الثعالبي إلى محب الدين الخطيب ... هناك كوكبة هؤلاء كلهم ساهموا، حتى جاء الوقت الذي تفجرت فيه هذه الصحوة.

وهي ليست مجرد صحوة ذات جانب عاطفي، وجانب حماس. والحماس مطلوب أيضًا في الصحوة، ولكنها صحوة عقول أيضًا، تقرأ الكتاب الإسلامي.

المعارض الدولية للكتاب أثبتت أن الكتاب الأول وصاحب الرقم الأول في التوزيع هو الكتاب الإسلامي. فهي إذن صحوة عقول، فيها وعي، وصحوة إرادات وعزائم، ولذلك وقفت أمام الاستعمار ووقفت أمام القوى الغازية. هي

صحوة سلوك والتزام. ظهر هذا في المساجد التي عَمرت بالشباب. كانت المساجد لا يعمرها إلا الشيوخ الكبار. والآن اذهب إلى أي بلد إسلامي تجد أن الذين يعمرون المساجد هم الشباب. انظر إلى مواسم الحج والعمرة، كان الذين يذهبون إلى مواسم الحج والعمرة الشيوخ الكبار، كما قال الإمام الغزالي: الحج هو تمام الأمر وختام العمر. يختمون حياتهم بالحج. والآن اذهب إلى العمرة في رمضان تجد تسعين بالمائة من الشباب. وهكذا في مواسم الحج.

المرأة في البلاد الإسلامية كانت قد تفسخت تفسخًا تامًّا، كنت أمشي في الستينات في عواصم البلاد العربية فلا أكاد أجد امرأة محجبة، حتى المرأة العجوز التي أكل الدهر عليها وشرب كانت متخلعة. ثم جاءت هذه الصحوة فإذا بالشابات المسلمات في الجامعات والكليات والمعاهد والمدارس وفي شتى ساحات الحياة يلتزمن الحجاب. هذه حركة إسلامية نسائية اختيارية طوعية هذا كله من عمل الصحوة. رأيت في الجزائر انتشار الحجاب انتشارًا هائلًا بعد أن كان قليلًا.

ثم إن هذه الصحوة أثبتت وجودها على الصعيد الاقتصادي. قامت البنوك الإسلامية. والمؤسسات التجارية الإسلامية، وانتشرت في أنحاء العالم. وهذا كله جاء نتيجة من شعور المسلم السبي تجاه المعاملة بالربا، وحاجته إلى مؤسسات تغنيه بالحلال وتجنبه الحرام.

على المستوى الجهادي: الجهاد في أفغانستان كيف قام؟ وإن كان إخواننا مع الأسف في أفغانستان قد خذلونا ولم يؤت جهادهم بالثمرة التي كنا نرجوها، ولكن هذا الجهاد دوّخ أعتى دولة ملحدة في الأرض والقوة الثانية

في العالم على يد الأفغان، هذا من أثر الصحوة. ولم يكن جهاد الأفغانيين وحدهم، بل كان جهاد رجال الصحوة في العالم بالمال والرجال.

في فلسطين، إخواننا في حماس وفي الجهاد الذين زلزلوا بعملياتهم الاستشهادية كيان العدو، وإخواننا في حزب الله بجنوب لبنان. هذا كله من أثر الصحوة الإسلامية. التنادي بتطبيق الشريعة في العالم ... من أين جاء؟ هذا كله من أثر الصحوة.

ونحن الآن في إيران ... الثورة الإسلامية التي قامت في إيران، وأقامت دولة للإسلام في إيران. من أين جاءت هذه الثورة؟ ... هي ثمرة من ثمرات هذه الصحوة. الصحوة الإسلامية أثبتت وجودها. والقول إنها مجرد رد فعل ومجرد هوجة عاطفية وزوبعة في فنجان، هذا تهويم من قدر هذه الصحوة العظيمة.

صحيح أنها تحارَب الآن ويكال لها من كل جانب، وتوضع أمامها العقبات من هنا وهناك ... ولكن نحن نعتقد أن الصحوة لن تموت إن شاء الله، وأنها باقية وستستمر وستنتصر بإذن الله، والمبشرات عندنا أكثر من العقبات.

صدرت عنكم أخيرًا فتاوى مثيرة بشأن الربا وبشأن «زواج المسيار» ودار حولها كلام كثير، فما هي حقيقة هذه الفتاوى؟

بالنسبة إلى ما أثير حول مسألة الربا فهو موضوع أفتيت به الأخوة أخيرًا في أمريكا وأوروبا. لقد كنت من المتشددين في هذا الموضوع منذ مدة طويلة، منذ (25) سنة وأنا أزور أمريكا وأوروبا في المؤتمرات الإسلامية والندوات، وخاصة مؤتمرات الطلبة المسلمين. وكنت أُسأل في قضية التعامل

بالربا، وخاصة في قضية شراء البيوت، وكنت مشددًا في هذا، وأرى المنع.

ولكن منذ سنوات تغير اجتهادي في هذا، وأصبحت أُفتي بمذهب أبي حنيفة، الذي يقول: يجوز التعامل بالعقود الفاسدة في دار الحرب.

ويقصد بدار الحرب ما ليس بدار الإسلام؛ لأن التقسيم عنده ثنائي: دار حرب ودار إسلام، وليس عنده التقسيم الثلاثي الذي قال به بعض الفقهاء وهو: دار الإسلام ودار الحرب ودار العهد. فدار الحرب عنده ما ليس بدار الإسلام.

يقول أبو حنيفة إن التعامل بالعقود الفاسدة في تلك البقاع جائز للمسلم بشرطين:

الأول: أن لا يكون في ذلك غدر ولا خيانة. أي أن يراعي المسلم العنصر الأخلاقي في تعامله.

الثاني: أن يكون من وراء ذلك مصلحة للمسلم. ووجدت هذا معقولًا، فليس من المعقول أن يأتي الإسلام ليطعم المسلم لغير المسلم، ويجعل المسلم يخسر مالَه. قال أحد الأخوة: أنا جئت إلى هنا منذ (25) عامًا، ولو كنت من أول ما جئت اشتريت بيتًا بقرض ربوي من البنك لكنت منذ ذلك الوقت صاحب بيت ولكان هذا الإيجار الذي دفعته قد سدد ذلك القرض.

أنا رأيت في الحقيقة أن فتوى أبي حنيفة تحقق مقصد الشريعة في إعلاء شأن المسلم. والإسلام يعلو ولا يعلى عليه، لا يمكن أن يخسر المسلم بالإسلام بينما يكسب غيره.

أما قضية زواج «المسيار»[8]، فهي أحدثت أخذًا وردًّا وجذبًا وشدًّا. حين سئلت في برنامج تليفزيوني عن هذا اللون من الزواج قلت: أنا لا تهمني التسمية، العبرة في الأحكام الشرعية تدور على المسميات والمضامين لا على الأسماء والعناوين.

الذي يهمني من الزواج أن تتحقق مقومات معينة في هذا العقد. الإيجاب والقبول - وأن يوجد شهود على الأقل شاهدان، وهذا هو الحد الأدنى للإشهاد والإعلان من الناحية الشرعية في نظري - ومالك والشافعي وأحمد يشترطون الولي. قلت لهم: في بلدان منطقتنا يجب أن يكون الولي - ثم أن يوجد مهر: **{وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً}** [النساء: 4] - الأمر الآخر نية الاستمرار. وإذا وجد الزواج بهذه الأركان والشروط، ما المانع منه؟ قالوا: ليس فيه الزواج الكامل. أي إن الرجل لا يبقى مع المرأة مستمرًّا، يذهب إليها في بعض الأحيان. قلت: ليس من الضروري أن يحقق الزواج أهدافه المثالية كاملة. الزواج المثالي أن يعيش معها. ولكن هذا زواج يحقق بعض الأهداف، فهو يحصّن المرأة ويعفّها، ويحصّن الرجل ويعفه. بدل أن يفكر الرجل أو تفكر المرأة في الحرام يرتبطان برباط حلال شرعي.

قد تكون المرأة عندها بيت، ولا تريد أن تنتقل إلى بيت الرجل، وعندها مال، والمرأة في عصرنا أصبحت في كثير من الأحيان لديها موارد، مدرّسة ... طبيبة، صيدلانية ... محامية. ثم إن كثرة كاثرة من النساء في منطقتنا

---

(8) لعلم القارئ: إن زواج المسيار كما يسمونه يعني أن يتزوج رجل بامرأة دون أن يبقى عندها، بل يمر عليها بين فترة وأخرى. ويكون دون علم الزوجة الأولى عادة. «التحرير».

عوانس، وقد فاتهن قطار الزواج، إذا أضفت إليهن المطلقات وهن كثر أيضًا في المنطقة مع الأسف والأرامل، أصبح عندنا عدد كبير. فإذا استطعنا أن نحل مشكلات هؤلاء الناس بهذا الزواج، فما المانع؟ قال أحدهم: هل يمكن أن يتزوج شخص من أجل المتعة فقط؟ قلت: لِمَ لا يا أخي. هو الإحصان. أنا أحصّن نفسي بالحلال وأحصّن المرأة بالحلال، هذه قيمة كبيرة. في الحديث الصحيح: «**يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباء فليتزوج؛ فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج**». فأشار إلى مسألة العفة، ومسألة العفة والإحصان قيمة كبيرة عندنا في الإسلام.

الغربيون سلكوا لإطفاء الشهوة طريق الإباحية، عن طريق ما يسمونه «بوي فريند»، أو «جيرل فريند» ... ولكن نحن لا نقبل هذا في الإسلام. لا نقبل العلاقة إلا ضمن رباط شرعي. فما المانع أن نبيح هذا ونجيزه ليتمتع الناس بالحلال؟! وكثيرًا ما ينقلب هذا إلى زواج عادي؛ رب رجل توفيت زوجته الأولى فتصبح هذه الزوجة هي الأصلية ويبقى معها دائمًا. فهذا هو زواج المسيار، وأنا كتبت فيه بحثًا نشرته الصحف القطرية وبعض الصحف الخارجية.

بالمناسبة أنا تحدثت في كتابي «الحلال والحرام في الإسلام» عن زواج المتعة والخلاف فيه. بعض الناس عقّبوا على هذا الموضوع. وقالوا: ما كان للشيخ القرضاوي أن يشير إلى الخلاف في زواج المتعة. وكان لا بد أن يقول إنه حرام قطعًا قولًا واحدًا، ولا يثير أي خلاف فيه. وأنا رددت عليهم: وقلت: أنا أحرص أن تظل الأحكام في مرتبتها الشرعية. أي توجد أحكام اجماعية لا خلاف فيها، يجب أن نذكر أنها إجماعية. وأحكام مختلف فيها، يجب أن تبقى

وإلا غيّرنا طبيعة الحكم. هذا أمر قال به الشيعة، وروي عن ابن عباس. قالوا: إن ابن عباس رجع عنه، وروي الخلاف في رجوعه، هل رجع أم لم يرجع؟ لأن بعض تلاميذ ابن عباس ظل يفتي بالمتعة. هذه القضايا يجب التسامح فيها، وترك كل مذهب على رأيه، ولعل في هذا توسعة على بعض الناس.

الموقف الإسلامي من الغرب وتياراته الفكرية لا يزال الحديث الأول في الساحة الإسلامية، ما رأيكم في الموقف الصحيح من الثقافة الغربية؟

بالنسبة إلى الموقف من الغرب وتياراته وفلسفته وثقافته وحضارته. هناك من يرى ضرورة التحصّن أمام كل ما يرد من الغرب ومنع أي تعامل مع تياراته المختلفة وأن نعيش في الصومعة معزولين عن كل ما يجري حولنا. وهو تيار لم يعد ممكنًا في هذا العصر.

ربما كان ممكنًا في وقت من الأوقات ... أيام الإمام يحيى في اليمن. كان يريد اليمن بعيدًا عن كل تأثير غربي، بل بعيدًا حتى عن منتجات المدنية الغربية كالقطارات والسيارات. وإنما ينتقل من مدينة إلى مدينة على ظهور الخيل والبغال والحمير. وكان يقول: الحمار ولا الاستعمار.

لم يعد هذا ممكنًا. أصبح العالم متقاربًا. أصبح كما يقولون: قرية كبرى. وأنا أقول: أصبح قرية صغرى. في القرية الكبرى قد لا يعلم الناس ما يجري في أطرافها. ونحن نعلم ما يجري في العالم خلال دقائق، بل لحظات، بل في نفس اللحظة.

لا يستطيع الإنسان أن يعيش في عزلة.

وهناك موقف مضاد للأول، يرى ضرورة الذوبان في الغرب. دعا إليه في العالم العربي سلامة موسى وطه حسين وغيرهما ... دعوا إلى أن نأخذ بالحضارة الغربية خيرها وشرها وحلوها ومرها، وما يُحبُّ منها وما يُكره، وأن الحضارة لا تتجزأ، لا يجوز أن تأخذ الجانب العلمي والتكنولوجي منها ولا تأخذ الجانب الفلسفي والفكري والقيمي والتشريعي. إما أن تأخذها كلها أو تدعها كلها. وهذا غلط.

وهناك رأي وسط - وهو الذي نتبناه - في التعامل مع الغرب. نأخذ منه ما يلائمنا، وندع ما لا يلائمنا. يلائمنا من الغرب العلوم الطبيعية والرياضية والتكنولوجية وتنظيم الإدارة والمنجزات الكثيرة في تهيئة الطبيعة لخدمة الإنسان، والعمل على رفاهية الإنسان وتحسين صحته وأمثال ذلك ... هذه نأخذها من الغرب، وفي الواقع أننا حين نأخذها من الغرب، فهي بالمنظار التاريخي الصحيح بضاعتنا رُدّت إلينا. لأن الغرب إنما أخذ المناهج العلمية والتجريبية منا نحن المسلمين. نحن الذين علّمنا الغرب هذه المناهج وأخرجناها من الفلسفة التجريدية النظرية إلى التطبيق وإلى الاستقراء وإلى التجربة.

المسلمون قرروا هذا المنهج نظريًّا وطبقوه عمليًّا على يد الأطباء المسلمين والفلكيين والرياضيين وغيرهم من العلماء الذين كانت أسماؤهم أشهر الأسماء في العالم في ذلك الوقت وكانت كتبهم مراجع للعالم وكانت اللغة العربية التي كتبت بها هذه العلوم هي اللغة الأولى.

الرازي في كتابه «الحاوي»، أو ابن سينا في كتاب «القانون»، أو ابن رشد في كتابه «الكليات»، أو الزهراوي في كتابه «التصريف» ... كتبوا هذه

الكتب، وترجمت إلى اللاتينية وانتفع بها الأوروبيون.

نحن في الواقع حين نأخذ من الغرب العلوم الرياضية والطبيعية وإنجازاتها وتطبيقاتها التكنولوجية، إنما هي بضاعتنا تُردّ إلينا.

إنما الذي ينبغي أن لا نأخذ من الغرب هو الجانب الآخر المتعلق بالقيم وفلسفة الوجود والحياة ... الأسس الفلسفية. نظرة الفرد إلى الكون والحياة وإلى المجتمع وإلى التاريخ، نظرته إلى القيم وإلى الوجود وإلى رب هذا الوجود. هذه يجب أن نأخذها من الإسلام.

الخطر الآن أن هناك من يريد أن يجعل من ثقافة الغرب وحضارة الغرب بأنها «كونية» يقول هذه ليست ثقافة تختص بالغرب، وإنما هي ثقافة الكون والعالم. وهذه مغالطة من دون شك. هذه الثقافة تحمل فلسفة الغرب ونظرة الغرب إلى الدين وإلى الحياة وإلى الله.

ولكل أمة خصوصيتها. ونحن لنا خصوصيتنا ولا ينبغي أن نلغي خصوصيتنا ونذوب في غيرنا وننماع. لهم دينهم ولنا ديننا. لهم قيمهم ولنا قيمنا. لهم شرائعهم وقوانينهم ولنا شرائعنا وقوانيننا. فيجب أن تظل كل أمة متميزة بحضارتها وثقافتها وقيمها الموجهة لها والمحركة لأبنائها. ونحن أبناء حضارة متميزة وتتميز حضارتنا بأنها جمعت بين العلم والإيمان، أنزلت الروح بالمادة، العقل بالقلب، السماء بالأرض. لم يكن عندنا انفصال بين هذه الأشياء ولا عداوة بين هذه الأشياء لم يعاد الدين العلم في تاريخنا، بل العلم عندنا دين والدين عندنا علم. لم يوجد في تاريخنا ولا في تراثنا صراع بين هذه المتقابلات كما حدث في الغرب وفي كنيسته. وثار الناس على الكنيسة؛

لأن الكنيسة وقفت مع الجهل ضد العلم، ومع الجمود ضد التحرر، ومع الظلم ضد العدل، ومع الملوك ضد الشعوب، ومع الإقطاعيين ضد الفلاحين والمستضعفين في الأرض. نحن لم نفعل ذلك، ولا نتحمل تاريخ غيرنا.

لا بد أن نفقه هذا ونقف من الغرب الموقف العدل، ونحذر من الغزو الذي يشنه الغرب ثقافيًّا. الغرب رحل بعساكره ولكن يريد أن يفرض سيطرته بثقافته ومفاهيمه وقيمه. وخاصة في عصرنا هذا الذي يسمى عصر «العولمة» وعصر «الأقمار الصناعية» و«القنوات الفضائية» و«البث المباشر». ولم يعد من السهل أن تعيش الأمة في برجها العاجي أو في صومعتها المنعزلة. ينبغي أن نعدّ العدة لمواجهة هذا الغزو. لا يكفي أن نقول: هذا حرام ... لا بد أن نوجد بدائل. وكل شيء باطل له بديل من الحق. وكل شيء من الحرام له بديل من الحلال. المفروض علينا نحن المسلمين أن نهيء هذه البدائل الإسلامية لنواجه بها أباطيل الغرب خصوصًا في عصر الغزو الكبير هذا. الذي لم يعد مقصورًا على كتاب وعلى مبشر أو مستشرق إنما أصبح بهذه القنوات والوسائل الكبيرة التي تؤثر في شعوب بأكملها.

بالنسبة لمسألة التحصين الثقافي، ما هي كتبكم التي تعطونها الأولوية في قدرتها على إعطاء هذ التحصين بإذن الله؟

تعلم أن كل مؤلف يعتبر كتبه مثل أولاده، وتفضيل الأولاد بعضهم على بعض لا يستطيع الأب أن يفعلها.

ولكن في مجال التحصين الفكري والثقافي أرى لي كتبًا لها أهميتها منها قديمة ومنها حديثة صدرت خلال السنوات الأخيرة.

من الكتب القديمة: كتابي «الإيمان والحياة» ويعمل على ترسيخ منطق الإيمان من منطلق عقلي ونفسي وحيوي، يتصل بالحياة. ولا يكتفي بقال الله وقال الرسول. وهو مهم لترسيخ العقيدة.

ومنها «الخصائص العامة للإسلام» وأرى هذا الكتاب مهمًّا؛ لأنه يوضح المزايا الكبرى للدين المبين في عقيدته. وشريعته ومنهاجه وعبادته من الربانية والإنسانية والأخلاقية والواقعية والوسطية. إلى آخر هذه الخصائص.

ومن الكتب الجديدة:

«الثقافة العربية الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة».

ومنها كتبي في ترشيد الصحوة:

«الصحوة الإسلامية بين الجمود والتطرف»، «الصحوة الإسلامية بين الاختلاف المشروع والتفرق المذموم»، «الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي».

وهناك كتب ظهرت أيضًا بعد ذلك في المدة الأخيرة:

«أولويات الحركة الإسلامية»، و«فقه الأولويات»، و«عوامل السَّعة والمرونة في الشريعة الإسلامية»، و«كيف نتعامل مع السنة النبوية؟»، و«كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟» وهو أحدث كتبي.

وهناك سلسلة أحب أيضًا أن تأخذ حظّها، وهي تتحدث عن التصوف الإسلامي، ولكن بالمنهج الوسطي. وتعلم أنني أتبنّى المنهج الوسطي في كل ما أكتب أو ما أتحدث به أو أفتي به. لست مع المتسيبين ولا مع المتزمتين.

أرجو أن أكون من هذه الأمة الوسط. ومن قال عنهم سيدنا علي رضي الله عنه: عليكم بالنمط الأوسط الذي يلحق به التالي ويُردّ إليه الغالي، أريد أن أكون من هذا النمط الأوسط، كما قال تعالى: **{وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ 7 أَلَّا تَطْغَوْاْ فِي ٱلْمِيزَانِ 8 وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ}** [الرحمن: 7 - 9].

في ضوء هذا المنهج الوسطي أصدرت سلسلة في تيسير فقه السلوك تحت عنوان: «في الطريق إلى الله» صدر منها أربعة كتب:

الأول: الحياة الربانية والعلم. لا أذكر كلمة تصوف؛ لأن بعض الناس ما إن يسمع هذه الكلمة حتى يترك الكتاب ويهجره، وأنا أريد أن يقرأه، فأطلقت اسم الحياة الربانية.

الثاني: النية والإخلاص.

الثالث: التوكل على الله.

الرابع: التوبة إلى الله، وظهر قبل أشهر، وأنا مستمر في هذه السلسلة.

بالمناسبة ذكرت في كتابي: «كيف نتعامل مع القرآن العظيم؟» أن هذا هو قرآن المسلمين جميعًا سنة وشيعة.

تعرف أن هناك من يقول إن الشيعة عندهم مصحف آخر هو مصحف فاطمة وأمثال ذلك. أنا قلت: هذا هو المصحف الذي يقرأه المسلمون جميعًا، لا نرى عند الشيعة في إيران والعراق وفي سائر العالم الإسلامي مصحفًا غير هذا المصحف، فهو الذي يحفّظونه لأولادهم، والذي يقرأون به في صلاتهم، وهو الذي يعلمون به في التليفزيون، وهو الذي يفسره مفسروهم

وهو الذي يستدلون به في كتب الفقه، ويستدلون بـه فـي كتـب العقائـد. لا يوجـد غير هذا المصحف.

وعنـدي رسـائل أصـدرتُ منهـا تسـع رسـائل اسـمها «رسـائل ترشـيد الصحوة» تتحدث عن بعض الأمور أراها هامة. بعضـها انتزعتها من كتبـي وأضفت لها بعض الإضـافات مثل: كتـاب «الـدين فـي عصـر العلـم»، وكتـاب «الإسـلام والفـن»، و«مركـز المـرأة فـي الحيـاة الإسـلامية»، و«المبشـرات بانتصار الإسلام»، وآخر رسالة تطبع الآن هي: «القدس قضية كل مسلم».

ونسيت كتابًا مهمًّا وهو: «ملامح المجتمع المسلم الذي ننشده».

وتصـلني أسئلة فقهيـة فأجيـب عليهـا إجابـات استدلالية، فيشـكل كـل جـواب بحثًـا فقهيًّـا، وصـارت هـذه البحـوث كتـابين، وأنـا بصـدد إعـداد الكتـاب الثالـث تحت عنوان: «فتاوى معاصرة».

سألت فضيلته: على أي مذهب؟

قال ضاحكًا: على مذهب الشيخ القرضاوي ثم قال: أنا مذهبي حنفـي، وهـو المذهب الذي درسته في الأزهر ثم درست المذاهب فأصبحت حين أسأل عن مذهبي أقول: حنفشعي.

ولا بأس أن أذكر لك قصة لطيفة حصلت لي سجلتها فـي الجـزء الأول مـن كتاب: «فتاوى معاصرة».

حينمـا كنـت طالبًـا فـي القسم الثـانوي كنـت أدرس الفقـه لأبنـاء قريتنـا، فقـه العبادات. وقريتنا شافعية المذهب. معظم الريف في الوجه البحـري مـن مصـر على المذهب الشافعي. وجرت العادة عند مشايخنا أن يدرّسوا الفقه فـي قريتنـا

على المذهب الشافعي. حتى من كان منهم على المذهب الحنفي يدرّس الناس على المذهب الشافعي لأنه مذهب أهل القرية.

كنت آنئذ متصلًا بالإخوان المسلمين، وقرأت كتبًا خارج المذاهب وتأثرت بهذه القضية، فكنت أدرّس الفقه على المذهب الشافعي ولكني كنت أذكر آراء المذاهب الأخرى.

ثمة رأي في الفقه الشافعي يقول: لمس المرأة ينقض الوضوء إذا لم تكن محرمًا، البنت والأم لا تنقض، أما الزوجة فتنقض الوضوء. وهذه القضية كانت تحدث في الريف المصري مشكلة وخاصة في فصل الشتاء حيث الجو بارد والماء بارد الرجل يتوضأ ويذهب فيصلي المغرب ويعود إلى البيت ليتعشّى، فتناوله امرأته العشاء، وقد تخطئ فتلمسه. آه لقد نقضتِ وضوئي. فيحدث شجار وتقوم معركة ... وكنت أقول لأهل القرية: إن مجرد لمس المرأة لا ينقض الوضوء خاصة إذا لم يكن عن شهوة.

مرة حدثت في عائلة هذه المشكلة، لمست المرأة يد الرجل، وأوشك أن يحدث شجار، فقالت له امرأته: زعلان ليه ... صلّ على مذهب الشيخ يوسف. كنت آنئذ في السنة الأولى ثانوية ... والحمد لله رب العالمين.

* * *

الحياة ورد وشوك

حوار حول قضايا الزواج والأسرة

أجرته: ذكرى والي[9]

«عندما يريد الإنسان الزواج، عليه أن يفتح عينيه واسعتين قبله، وأن يغمضهما نصف إغماضة بعد الزواج»، كما يقول أحد الحكماء.

هكذا أجاب فضيلة الدكتور يوسف القرضاوي، الداعية الإسلامي المعروف على سؤال لـ «مَوَدَة» طرحته على فضيلته خلال لقاء خصّ به المجلة حول موضوع: اختيار شريك الحياة.

ومن أجل أن يضيء لنا دروب المعرفة، وينصح طالبي الرشد مستشهدًا بعصور الإسلام الزاهرة، وابتداءً بعصر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وصولًا إلى عصر خلفائه وتابعيه رضوان الله عليهم أجمعين، أجاب فضيلته على أسئلتنا الهادفة إلى معرفة سبل تحقيق الاستقرار في بيت الزوجية العامر بالإيمان، والطهارة، والود، ليكون هذا الحوار ...

مودة:

في البدء، هل لنا أن نتساءل عما ورد في مناهلنا الأولى، وتحديدًا القرآن والسنة، عن اختيار شريك الحياة وسكن الزوج؟

د. القرضاوي:

اهتم القرآن وهو المصدر الأول لشريعتنا، واهتمت السنة وهي المصدر الثاني الْمُبيِّن لقضية حسن اختيار الزوج، بهذا الموضوع. وكلمة الزوج في اللغة العربية، وفي لغة القرآن والسنة تعني: شريك الحياة سواء أكان رجلًا أو

(9) نشرته مجلة «مودة» التي تصدر من «أبو ظبي» في دولة الإمارات العربية المتحدة.

امرأة. قال تعالى: **{ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ}** [البقرة: 35]، وقال: **{يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦ}** [البقرة: 102]، فحسن الاختيار أمر مطلوب إسلاميًّا، أما أساسه فهو الصلاح، إذ ينبغي أن تختار المرأة ويختار معها أهلها الرجل الصالح، كما على الرجل أن يختار شريكة صالحة، وفي ذكر الله نجد: **{وَأَنكِحُواْ ٱلۡأَيَـٰمَىٰ مِنكُمۡ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنۡ عِبَادِكُمۡ وَإِمَآئِكُمۡۚ إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ}** [النور: 32].

وهنا نرى أنه من الأجدر ألا يركز الناس على قضية المال والثروة. فالثروة تنتقل، والمال يتحول، والغني قد يفتقر، والفقير قد يغتني، والموسر قد يعسر، والمعسر قد يأتيه اليسر. إذ قال الله تعالى: **{سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا}** [الطلاق: 7]، وقال: **{فَإِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرًا 5 إِنَّ مَعَ ٱلۡعُسۡرِ يُسۡرٗا}** [الشرح: 5، 6]؛ لذلك نجد أن القرآن حينما أمرنا بتزويج الصالحين من عباد الله، قال: **{إِن يَكُونُواْ فُقَرَآءَ يُغۡنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ}** [النور: 32]، وهذا يعبّر عنه المثل الشائع عند المسلمين: «خذوهم فقراء يغنهم الله».

وهكذا يتجلى لنا تأثير الفكر والعلم الإسلامي على الجماهير المسلمة حيث إن العبرة بصلاح الشخص وليس بماله، إذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الإمام مسلم في «صحيحه» عن عبد الله بن عمر: «**الدنيا متاع، وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة**»، ويقول عليه الصلاة والسلام: «**من رزقه الله امرأة صالحة؛ فقد أعانه على شطر دينه، فليتق الله في الشطر الثاني**». وعلى تركيزنا أن يكون موجَّهًا نحو المرأة الصالحة، ومعنى الصلاح في المرأة هو الدين والخلق.

وفي الرجل جاء الحديث المعروف: «**إذا أتاكم من ترضون خلقه ودينه**

فزوجوه، إلّا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض». وفي المرأة يقول النبي صلى الله عليه وسلم : «**ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيرًا له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله**»، ثم تلا قوله تعالى: **{فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ}** [النساء: 34]، وهذا لا يعني ألا يبالي الإنسان بالمقاييس الأخرى، وإنما المهم هو أن يجعل الدين أولًا.

فلا مانع أن يبحث عنها جميلة حتى تسرّه إذا نظر لكي لا ترنو عينه إلى غيرها. ولا بأس إن كانت على قدر من الذكاء لتجاريه، كما لا مانع أن يبحث عن أصلها وحسبها ونسبها، ولا مانع حتى أن يكون معها مال.

ويدعم الحديث الشريف هذا القول: «**تنكح المرأة لأربع: لمالها، ولحسبها، وجمالها، ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**»، أي: اجعل الدين هو معيارك الأول، واظفر به واشدد يديك عليه، فإنها إذا كانت ذات دين فإن كل شيء سيكون هيّنًا بعد ذلك.

وترى الناس يبحثون عن صاحب الدين في المقام الأول ويقولون: إذا زوّجت ابنتك فزوّجها ذا دين، إذا أحبها أكرمها وإن أبغضها لم يظلمها، ويقول عز من قائل: **{وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا}** [النساء: 19]، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : «**من زوّج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها**»؛ فترى حرص الأوائل على ذي الدين يصل أن يرفض أحدهم أن يزوّج ابنته لولي عهد المسلمين، ابن الخليفة. كان هذا موقف سيد التابعين الفقيه الإمام سعيد بن المسيب، إذ بعث إليه الخليفة يخطب إليه ابنته فاعتذر ورفض، ثم زوّجها

لأحد تلاميذه ممن لا يملك شيئًا؛ لأنه أراد أن يزوجها إنسانًا يطمئن إلى دينه وخلقه.

مودة:

إذا كان الشرع قد حدد منذ البدء مقاييس الاختيار والتي على رأسها كان الدين، فهل تعتبرون أن هذه المقاييس قد تغيرت في عصرنا هذا، أو فترت بقدرالفتور الذي طرأ على تمسكنا بعقيدتنا وتعاليم ديننا؟

د. القرضاوي:

إذا ما كان المجتمع الإسلامي، في العهد الأول، يرفض الزواج الذي تصحبه الشهرة، والجاه، والنفوذ، والخلافة، ويزوّج الأب ابنته من طالب علم فقير، فهل احتفظنا بهذه المقاييس إلى الآن؟!

قطعًا تغير النفوس، وتبدلت القيم بتأثيرات وافدة علينا ومنها رواسب عصور التراجع والهزيمة خلال العصور الإسلامية الأخيرة التي انحرف معها المسلمون عن الإسلام الصحيح، ودخلت عليهم مؤثرات شتى، ولم يعد الدين حاكمهم، فتعسّر عليهم فهمه، وضعف تطبيقه.

ثم جاءت التأثيرات المادية الحديثة، بما تشمله من قيم مادية سرت بتأثير أقوى من قبل الحضارة الغربية. حتى أصبح همّ الناس المادة قبل كل شيء والمظاهر البراقة. فاختفت المعايير الدينية. والمقاييس الأخلاقية التي كان يقاس بها من يريد الإنسان الزواج به.

وفي المقابل علينا أن نعترف أن البلاد الإسلامية تشهد الآن صحوة شملت الكثيرين من الشباب. والكثيرات من الفتيات، فأصبح الإسلام - ولله الحمد -

حيًّا في كثير من الضمائر، والقلوب، والنفوس، بل أصبح هو المؤثر والموجّه الأول لحياة الكثيرين والكثيرات، وعادت هذه التعاليم الدينية لتحيا في النفوس وفي المجتمع من جديد، وعلينا نحن أن نسقي هذا الزرع ونتعهده بالرعاية حتى يؤتي أكله ويثمر ثمرته إن شاء الله.

مودة:

الاختيار للزواج، باعتقاد فضيلتكم، هل هو اختيار فردي أم جماعي؟ وفي حال اشتراك المجموعة في الاختيار من يتحمل المسئولية في النهاية؟

د. القرضاوي:

يربّي الإسلام المسلم على الشورى في كل شيء وفي الحديث: «**ما خاب من استخار**». يعني: إذا أراد الإنسان أن يوفّق في أمر ذي بال، يحسن به أن يستخير الله ويستشير الناس. واستخارة الله تكون بالصلاة ركعتين، والدعاء أن يهديه الله إلى أفضل الأمرين.

هذه سبيل، والسبيل الثانية: أن يستشير من يرى فيه حسن الرأي والحكمة ومن يحب له الخير، فلا يستشير عدوًّا، ولا حسودًا، ولا حقودًا، لذلك يحضّ الإسلام على أن يتم الزواج بتراضي كل من يهمهم الأمر. ولا ينبغي على الرجل أن يزوج ابنته رغمًا عنها ولا بد أن يكون ذلك برضاها. وقد رد النبي صلى الله عليه وسلم بعض حالات الزواج التي لم تكن برضى الفتاة. بل قال: «**آمروا النساء في بناتهن**» أي إذا أراد الأب أن يزوّج ابنته فلا بد أن يستشير أمها، لأن الأم أخبر بابنتها من أبيها، وقد تتجرأ البنت على أن تصارح أمها، ولكنها لا يمكن أن تفعل ذلك مع أبيها، كما يمكن للأب أن

يستشير إخوتها الذكور؛ لأن الزواج ليس علاقة بين فرد وفرد، ولكنه مصاهرة، ويقول الله تعالى: **{وَهُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ مِنَ ٱلْمَآءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُۥ نَسَبًا وَصِهْرًا}** [الفرقان: 54].

فالنسب رابطة دم، ومصاهرة عن طريق الزواج، وعندما يتزوج الشخص امرأة فإنه لا يتزوجها فقط؛ لأن أمها ستكون حماة له وجدّة لأولاده، وأباها سيكون حمى له وجَدًّا لهم أيضًا وإخواتها سيكونون أخوالهم، وأخواتها خالاتهم، وهكذا تحولت العلاقة إلى لُحمة ورابطة وشيجة، ومن أجل هذا لا بد أن تتم المشاورة، حتى يكون الجميع مسرورًا بهذه الزيجة، ومقبلًا عليها وفرحًا بها، وحينما تأتي العروس، تجد الترحيب من الجميع، وتجد أرضًا تحملها، وصدورًا مفتوحة لها، وقلوبًا تهفو لحبّها. وهذا هو المطلوب في الزواج الإسلامي.

مودة:

إن دور الأم في بناء أجيال صاعدة نافعة للوطن والأمة العربية الإسلامية أساسي، فكيف تتشكل الرؤية القائلة: إن مسئولية تربية الأبناء تبدأ من ساعة اختيار أمهم؟

د. القرضاوي:

لا شك أنه من أولى أوجه المعروف التي يمكن أن يصنعها الأب تجاه أولاده، أن يختار لهم الأم الصالحة، وهذا ما جاء في الحديث: «**يتخيّر أمًّا لأولاده لأنهم يرثون منها كما يرثون منه، ويتأثرون بها كما يتأثرون به**»، وعنها قال شاعر النيل، حافظ إبراهيم:

الأم مدرســـــة إذا أعـــــددتها أعـددت شـعبًا طيـب الأعـراق

وحينما امتن الشاعر العربي قديمًا على أولاده، قال لهم:

وأول إحسـاني إلـيكم تخيـري لمـا جـدة الأعـراق بـادٍ عفافهـا

فالوعـاء الصـالح مطلـوب، ومهمـة الأب أن يختـار الأم الصـالحة، ومهمـة المرأة أن تختار لأولادها الأب الصـالح، إذ هـي مسئولية مشتركة بين الرجل والمرأة، وعلى كل منهما أن يحسن اختيار الشريك الذي يكون نعم المحضن والمربي لأولاده.

مودة:

تعاليم الإسلام واضحة البيان في أمور ديننا ودنيانا وبالخصوص فيما جاء منهـا مخصصًـا للنكـاح، كالخِطبـة، والصـداق، والقـران، ومـن ثـم آداب المعاملات الزوجية. ولكن ومع تيسير ديننا لكل هذه المعاملات إلا أن مسايرة العصـر دفعتنـا لتعسيرها فيصـبح مشـروع النكـاح عبئًـا ماديًّـا ومعنويًّـا يفكـر الشاب ألف مرة قبل الإقدام عليه، إذ ارتفعت المهور، وبلغت تكاليف الزفاف حدًّا لا يمكن أن يتوقعه خيال ... فما رأي فضيلتكم في هذه المشاهدات؟

د. القرضاوي:

ييسّر الشرع أمورًا كثيرة بينما نعسّرها نحن، والتقاليد زادت في تعقيدها، خصوصًا مع وجود نوعين من التقاليد: بالية موروثة وليست من الدين في شـيء، وتقاليد غازيـة وافدة، ولكن كـلا النـوعين قد أثر فـي حياتنـا وعقّدها، والدين براءٌ، بل يوصي بأن يكون الزواج أمرًا سهلًا ميسورًا بأقل ما يمكن من المهر، وأيسر ما يكون من التكاليف، ولكن الناس عسّروا على أنفسهم

فأغلوا في المهور مع أن الحديث يقول: «**أعظم النساء بركة أيسرهن مؤونة**»، وزوّج النبي صلى الله عليه وسلم نساءه بأقل ما يمكن من المهور حتى إن مهر فاطمة الزهراء رضي الله عنها، كان درعًا من علي واسمه «الحُطميّة». وكان في ذلك أبلغ رمز للمقبلين على الزواج.

وفي هذه الأيام لم يقف الأمر عند المهر، ولكننا اخترعنا كذلك الولائم للخطبة أو «الشبكة» وللعقد أو «الملكة»، وللزفاف أي عند الدخول، وكل ذلك يتم بالفنادق الباهظة التي تكلف عشرات الآلاف، كما ابتدع الناس شيئًا آخر يسمى شهر العسل، ممثلًا في سفرة، وللسفر تكاليفه من تذاكر وفنادق ونزهات، وهذه كلها مصاريف أرهق الناس بها أنفسهم وكلّفوها شططًا ما أنزل الله به من سلطان، إضافة إلى هدايا الزواج التي يعطي بعضها للعروس ولا ينتفع الناس بها، وتكاليف تأثيث منزل الزوجية، والخير كله في التبسيط والتيسير «**بشروا ولا تنفروا، ويسروا ولا تعسروا**»، وهكذا علمنا النبي صلى الله عليه وسلم ، الذي دخل على بعض نسائه ببعض الفريك والسَّويق.

ولهذا كله، تعد فكرة الزواج الجماعي جيدة، حيث تيسّر على العديد من الشباب تكاليف هذه الولائم.

علينا أن نعود إلى ينابيعنا الصافية لنستقي منها ما يفيدنا في حياة الفرد والأسرة والجماعة:

مودة:

الاختيار قرار، والقرار تفكير عميق نقصد به عاقدين العزم على مشاركة أحدهم، أو إحداهن، العمر والمسكن وحتى الاسم، فهل يمكن لهذا القرار

القصدي الواعي القائم على إدراك وإيمان أن يكون مبنيًّا على خدعة ملبس، أو مظهر، أو حسب، أو نسب؟ وماذا تتوقعون أن يكون مستقبل مثل هذا الاختيار؟

د. القرضاوي:

الاختيار يدل على ثقافة الشخص ووعيه، أما إذا أردنا أن نغيّر هذه المقاييس المقلوبة والموازين السيئة، علينا أن نغيّر من وعي الإنسان وثقافته. فإذا تغير وعيه وأصبح يدرك الخير من الشر، والحسن من القبيح، وما ينبغي وما لا ينبغي، عندها يستطيع أن يدرك مَن يختار، سواء بالنسبة للفتى أو للفتاة، إذ يمكن أن يعجبها المظهر، فتنسى الجوهر، ويعجبها الشكل فتنسى المضمون.

والقرآن يقول واصفًا المنافقين: **{وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ}** [المنافقون: 4]، والحديث يقول: «**إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم**»، والعرب يقولون: «ترى الفتيان كالنخل، وما يدريك ما الدّخل»، ونحن نستشهد بكل ذلك حتى نوعّي شبابنا وشاباتنا بهذه المعاني والقيم ليحسنوا الاختيار لأنفسهم ومستقبلهم.

مودة:

لفضيلتكم، جهودًا إعلامية لافتة للنظر، وحضور بارز في العديد من القنوات الفضائية العربية، الأمر الذي جعل منكم صديقًا للأسرة المسلمة التي تتوجه إليه بمشكلاتها وهمومها وتساؤلاتها.

من خلال هذه العلاقة الحميمة مع وسائل الإعلام، ومع الجمهور على حد

سواء، كيف تقيمون دور الأولى في رفع درجة الوعي لدى الجمهور، وما تعليقكم على تجاوب جمهورنا مع مثل هذا الإعلام الملتزم؟

د. القرضاوي:

لا شك أن لوسائل الإعلام دورًا هامًّا وخطيرًا، خصوصًا وأنها أصبحت الآن تدخل كل بيت، وتخاطب كل فرد وتؤثر بالصوت والصورة. وتحسن الترغيب والترهيب، ومع عصر القنوات الفضائية غدت مسئولياتها أكبر.

وفي الواقع على مثل هذه الأجهزة الإعلامية أن تتحمل هذا العبء: عبء التوجيه والترشيد، والمقصود: ترشيد المسيرة، والتنبيه إلى المخاطر، والتعريف بالأشياء قبل أن تقع، ويوجد دائمًا العلاج كما توجد الوقاية، ولكن علينا أن نهتم بالوقاية قبل العلاج حتى لا نقع في أودية الهلاك، ثم نحاول الخروج منها.

وعلى وسائل الإعلام أيضًا أن تبّنه المجتمع، وخصوصًا الشباب منه، إلى المخاطر والمحاذير، وتضيء الإشارات الحمراء في الطريق حتى لا يرتكبوا الأخطاء التي يندمون عليها لاحقًا.

وأعتقد أن كثيرًا من القنوات والمحطات تقوم بذلك على تفاوت فيما بينها، والواجب عليها أن تزداد إصرارًا على هذا التوجّه، بل تأتي مجددًا بالنصحاء والموجهين الأصلاء الذين يحسنون توجيه الجمهور إلى ما يتوجب عليهم فعله، وينبغي أن يكون الدين وخصوصًا ديننا الإسلامي وراء ذلك كله، فالناس لا زالوا أطوع لتوجيهات الدين، ومجتمعنا في غالبيته متدين بفطرته، وصوت الدين مسموع ولواؤه مرفوع، وفي جانب الأسرة بالذات.

هكذا على الدين أن يكون: الموجه والمحرك الأول لجماهيرنا العريضة في هذا الجانب الخطير من حياتنا الاجتماعية.

على الإنسان أن يقبل بالشريك بكل جوانبه فلا يأخذ العيوب وينسى المزايا، وعليه أن يضع كُلًّا في كفة ويُرجّح:

مودة:

أوضح استطلاع للرأي قامت به مودة حول أسس الاختيار، أن الشباب يريد الملتزمة بأمور دينها، وفي المقابل تفضل الفتاة الزواج من المتدين والخلوق، غير أن المفاجأة هي ازدياد حالات الطلاق على مستوى الخليج بعامة، وانهيارات فاجعة لأسرنا التي ما أن تتشكل حتى تبدأ في الانهيار.

والسؤال هو: هل ثمة فرق بين النظرية والتطبيق؟ أم أننا بحاجة إلى إعادة النظر في مجمل خطابنا التربوي، والاجتماعي، والإعلامي؟

د. القرضاوي:

لا بد أن هناك أناسًا ليس الدين هو محركهم الأول، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى فلنتساءل للحظة: ما هو الدين؟!

هناك من يسيء فهمه. ويُذكر أن رجلًا جاء إلى سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطلب منه أمرًا. فقال له عمر: «ائتني بمن يشهد لك، فقال أحدهم: أنا أشهد أن هذا رجل صالح، قال: هل أنت جاره الأدنى الذي يعرف مدخله ومخرجه؟ قال: لا. قال: هل عاشرته في السفر الذي يُسفر عن أخلاق الرجال؟ قال: لا. قال: هل عاملته بالدينار والدرهم الذي يُعرف به حرص الإنسان من ورعه؟ قال: لا. قال: لعلك رأيته في المسجد، يهمهم بالقرآن،

فيرفع رأسه تارة، ويخفض رأسه أخرى؟ قال: نعم. قال: إذن لست تعرفه. قال: اذهب وائتني بمن يعرفه».

ومن هنا نستشف أن المهم هو الجوهر، إذ نعتبر أحيانًا الشخص ديّنًا لأنه ذو لحية طويلة أو ثوب قصير، ولكننا نخطئ باعتقادنا هذا؛ لأنه ليس هذا الدين ولا هذا هو المتدين والحديث يقول: «**خلقه ودينه**»، يعني ليس أن يكون مصليًا فقط، وإنما أن يكون ذا خلق أو ذا طباع حميدة وخصال كريمة، إنسانًا لا يكذب إذا حدّث ولا يخلف إذا وعد، ولا يفجر إذا خاصم، وهي مجموعة خصال المؤمنين.

وأنا أشك في من يقولون: اخترنا ذا دين ثم يفشلون. فإمّا أنهم لم يفهموا الدين كما ينبغي، أو كان الشخص منافقًا؛ يظهر باسم الدين وهو بعيد عنه، أو أنهم لم يحسنوا المعايشة، والتي من أصولها أن يعرف الزوج مبادئ العشرة الزوجية، وحقوق الزوجة عليه، وهي أيضًا لا بد أن تعرف ذلك والله تعالى يقول: **{وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِي عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ}** [البقرة: 228].

أو قد يكون الرجل ديّنًا لكن أهله يساعدونه على بغضه لها، أو بغضها له، وهنا يظهر تدخل الآخرين المدمّر. أو لعله يكون متأثرًا بما في المجتمع، أو من خلال تقاليد مجتمعات أخرى، وينطبق القول على المرأة أيضًا. والمهم أن يعي الطرفان أن الحياة الزوجية مسئولية. وعلى كل من الزوجين أن يصبر على صاحبه وأن يحتمله.

وعلى الإنسان أن يقبل بالشريك بكل جوانبه، فلا يأخذ العيوب وينسى المزايا، وعليه أن يضع كُلًّا في كفة ويرجّح.

والحياة ليست وردًا خالصًا ولكنها ورد مع شوك، وسرّاء مع ضراء، وسلبيات مع إيجابيات، بل هي خلاصة لكل ذلك، أما الإنسان الذي يحلّق في سماء المثاليات، ويحلم بأشياء وهمية فإنه لن يستطيع أن ينجح في حياته الزوجية مهما حاول.

من محركنا وموجهنا غير الدين؟!

مودة:

في حلقة جريئة وغير مسبوقة من برنامج حواري مباشر لكم مع إحدى القنوات الفضائية العربية، ثم تناوُل قضايا عميقة جدًّا وبالغة الخصوصية في ما يتعلق بالحياة الزوجية وأسرارها، وفتح الباب للحديث عن الحدود التي رسمها الشرع للتعاطي مع هذه العلاقة.

والسؤال هو: ما دور مثل هذه الموضوعات في إعداد المقبلين على الزواج، وكيف يمكن لنا التعامل معها بوعي وحكمة حرصًا على مستقبل العلاقات الزوجية؟

د. القرضاوي:

هذه أمور لا بد أن نلامسها بالحكمة والرفق، وعلى وفق توجيهات الشريعة الإسلامية: فالقرآن والسنة ذكرا هذه العلاقات الحسية بين الزوجين، إذ يقول تعالى: **{نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُواْ حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ۖ وَقَدِّمُواْ لِأَنفُسِكُمْ}** [البقرة: 223]، وقد ورد في الحديث عن الصيام، وآدابه، وأشكال السمو الروحي: **{أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ}** [البقرة: 187].

إذن، هي أمور طبيعية ويجب أن تعطى حقها في جو من الإيجابية والجدية بعيدًا عن جو الاستهتار، وعلينا أن نوعّي الأزواج، ونربّي الأولاد على هذه الناحية تربية قائمة على العلم الصحيح والدين الحق. وقد تحدث المسلمون قديمًا عن كل هذه المواضع، وهم يتطرقون إلى فرائض الوضوء، وموجبات الغسل، وتفسير القرآن، وشرح الأحاديث، كما أذكر لكم أن لأخينا الأستاذ عبد الحليم أبو شوقة رحمه الله كتاب «تحرير المرأة في عصر الرسالة» وهو مؤلف من ستة أجزاء، خصص الجزء السادس منه للثقافة والتربية الجنسية، ومن خلال رافدكم الإعلامي هذا، أنصح بقراءة هذا الكتاب كله، وخصوصًا الجزء السادس منه، فالكتاب في مُجمله قائم على النصوص الإسلامية من كتاب الله، إلى سنة رسوله عليه الصلاة والسلام.

وكان يبدو أنه مرت علينا حقبة من الزمن أوصدنا من خلالها الأبواب على مثل هذه المواضيع، ففسحنا، دون أن نقصد، المجال أمام أبنائنا وبناتنا ليستقوا ثقافتهم - وخصوصًا - عن هذه الناحية الخطيرة، من أصدقاء السوء ومصادر لا نعلم حقيقتها، فساءت النتائج. والأولى بنا أن نعود إلى ينابيعنا الصافية لنستقي منها ما يفيدنا حول هذه النواحي المهمة في حياة الفرد، والأسرة والجماعة.

د. يوسف القرضاوي

سأزوج ابنتي لمن تحب

أقرأ لإحسان عبد القدوس

ونزار قباني وسعاد الصباح

تدب الحيوية وتمتلئ الحياة والأوساط الإسلامية في مصر نشاطًا حينما يعود المفكر الإسلامي د. يوسف القرضاوي إلى القاهرة في إجازة أو زيارة عابرة لحضور مناسبة ما، فالشيخ القرضاوي بكتبه ودراساته وحضوره الفكري - يمثل مرجعية لكل التيارات. الذين يتفقون معه والذين يختلفون ولذا فالحوار معه يعد دائمًا بمناقشات ساخنة ومحاورة علمية خصبة. وقد جرت وقائع هذا الحوار المطول في منزله بمدينة نصر. وتحدث فيه الدكتور يوسف القرضاوي عن بناته وأولاده وعن القرضاوي الشاعر والإنسان والمفكر وفتح قلبه وعقله ليتكلم عن فقه القرضاوي كما يتصوره وقضايا أخرى كثيرة.

قلت له مبتسمًا: أراك تتمسك بالعمامة والجبة مع أن معظم علماء الأزهر هجروها إلى البدلة. فلماذا؟

يجيب د. يوسف القرضاوي: هذا الزي يعبر عن الشخصية الأزهرية، وحتى عندما ذهبت إلى الخليج وقدمت برنامجين تليفزيونيين في تليفزيون قطر وقناة الجزيرة الفضائية هما: هدي الإسلام، والشريعة والحياة. تمسكت بهذا الزي، وأرى أن شيوخ الأزهر ينبغي أن يحتفظوا بهذا الزي مع اللحية والعمامة، إحياءً لهذه السنة. وأذكر أن الإمام الندوي وهو عالم هندي عندما جاء إلى مصر سأله الشيخ حسن الشرباصي عن أعجب ما رآه، فقال العالم الهندي: أكثر ما أدهشني هو أن علماء الأزهر حلقوا اللحية.

القدس

قدمت كتابًا بعنوان «القدس قضية كل مسلم»، فما رأيك فيما يحدث الآن

حول القدس؟ وهل ستعود القدس بالمفاوضات والسلام؟

إسرائيل لم تجنح للسلام يومًا، فكيف يجنح للسلم من اغتصب الأرض وسفك الدماء وشرد أهلها وانتهك حرماتهم؟! إن الآية الشريفة التي يجب أن نتمثلها ونحتج بها قوله تعالى: **{فَلَا تَهِنُواْ وَتَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلۡمِ وَأَنتُمُ ٱلۡأَعۡلَوۡنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمۡ وَلَن يَتِرَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ}** [محمد: 35]، لكنا نستبطئ النصر، وذهبنا للحصول على بعض المكسب بالطريق السريع، لا كل المكسب الطريق البعيد. فنحن نملك الكثير لكنا استصغرنا أنفسنا، كان لا بد أن نصبر ونصابر ونرابط كما أمرنا الله **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ}** [آل عمران: 200].

وقد أعلم الله نبيه محمدًا صلى الله عليه وسلم بأن هذه الأرض المقدسة سيحتلها الأعداء، أو يهددونها بالغزو والاحتلال، ولهذا حرض أمته على الرباط فيها، الجهاد للدفاع عنها .حتى لا تسقط في أيدي الأعداء، ولتحريرها إذا قدر لها أن تسقط في أيديهم كما أخبر عليه الصلاة والسلام بالمعركة المرتقبة بين المسلمين واليهود، وأن النصر في النهاية سيكون للمسلمين عليهم، وأن كل شيء سيكون في صف المسلمين حتى الحجر والشجر، وأن كلًّا منهما سينطق دالًّا على أعدائهم، سواء كان نطقًا بلسان الحال أم بلسان المقال. وقد روى أبو أمامة الباهلي: «**لعدوهم قاهرين، لا يضرهم من جابههم إلا ما أصابهم من لأواء «أي: أذى» حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك**»، قالوا: أين هم يا رسول الله؟ قال: «**ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس**».

إننا قد لا نسترد حقنا اليوم، ولا غدًا ولا بعد غدًا إنما ينبغي ألا نستسلم. إنه موقف شرعي بألا نسلم لإسرائيل. ففلسطين ظلت محتلة نحو مائة سنة أيام

الصليبيين وهيأ الله لها من استردها وحررها. والأقصى ظل (90) عامًا أسيرًا في أيدي الصليبيين حتى حرره صلاح الدين. فأنا أعتقد أن الزمن في صالحنا نحن. لا بد من إعلان الجهاد فورًا لتحرير القدس. فلا بد أن يكون ميراثنا للأجيال القادمة هو جهاد وكفاح لا استسلام وتضييع للأراضي فإسرائيل مصرة على أن تجعل القدس عاصمة لها، وتسعى إلى تهويدها وتفريغها من أهلها. ويجب على العرب أن يهيئوا أنفسهم لجهاد طويل لتحرير القدس واسترداد فلسطين فإسرائيل لم تسلم بحقنا فيها أبدًا.

الزواج عن طريق الأسرة

ننتقل إلى حديث شخصي آخر: ماذا لو جاءت ابنتك إليك وقالت: يا أبي هذا الشاب أحبه وأريد أن أتزوجه، كيف ستتصرف معها؟

ضحك الشيخ القرضاوي بشدة وقال: هذه صورة مفترضة بالنسبة لأسرتي؛ لأن هذا لم يحدث عندنا، والحمد لله زوجت بناتي الأربع لأناس أكرمنا الله بهم. الحقيقة أنني لم أختبرهم، فآباؤهم يعرفوننا، وبعضهم كانوا يعملون في قطر، وبيننا مودة من قديم فثلاث من بناتي تزوجن من أولاد أصدقاء لنا في قطر والرابعة تزوجت من ابن صديق قديم في مصر، أعرفه منذ كنا طلابًا، وبهذه الطريقة التي أعتبرها طبيعية وأفضل الطرق، تزوجت بناتي. فقد قرأت دراسة أثبتت بالإحصائيات أن أفضل الزواج وأكثره استقرارًا ما جاء عن طريق الأسر.

أما عن الصورة التي سألت عنها، فلي رأي فيها وسُئلت عن هذا الموضوع كثيرًا، وأقول: يجب على الأهل في هذه الحالة، أن يصغوا إلى

الفتاة، وأن يتعرفوا على هذا الشاب، هل هو ملائم أم لا؟ فقد تكون البنت مخدوعة، وهذا يحدث كثيرًا فالحب كما يقولون: أعمى، ولا بد أن يعرف مدى ملاءمة هذا الشاب من الناحية الدينية، والأخلاقية والفكرية والثقافية، فمن غير المقبول أن تكون هي حاملة للدكتوراه تحب شابًّا لا يحمل سوى شهادة متوسطة، فلا بد من وجود ما يضمن لهذا الزواج الاستقرار والنجاح، بالطبع الأمور بيد الله، لكننا نأخذ سنة الله.

وننصح البنت في هذه الحالة أن تسمع لأهلها أيضًا؛ لأنني أرى بعض الأهل يرفضون هذا الحبيب بدون سماع لرأي البنت، وأرى البنات يتعصبن لحبهن ويصررن عليه، رغم أنهن لا يقدرن عاقبة الارتباط برجل غير مناسب لهن، فإذا وجدت الأسرة الشاب مناسبًا، فلا مانع من تزويجه بابنتهم؛ لأن النبي عليه الصلاة والسلام يقول: «**لم ير للمحتابين مثل النكاح**»، أي: فالأفضل للحبيبين أن يتزوجا ما لم يوجد مانع.

العمل في المنزل

أنا خايب في الطبخ ... وزوجتي ربة بيت ممتازة

وجاء ابن الدكتور القرضاوي ببراد شاي صيني ووضعه أمامنا وصبه في الفناجين فنظرت إليه، وقلت: بعض الأزواج يعاملون زوجاتهم بقسوة وينظرون إلى عمل المنزل باحتقار شديد، والأهم أنهم لا يسمعون الزوجات حتى كلمة طيبة عندما يقمن بخدمتهن، ماذا عن الدكتور القرضاوي في البيت؟ وهل تساعد زوجتك في شغل البيت؟

ضحك الشيخ واكتسى وجهه بظرف العلماء وخلع عمامته وهو يقول: أما عن الكلام الطيب فالحمد لله، فهو متوفر بشدة، وأما عن المساعدة في شغل البيت فأنا خايب جدًّا، حتى عندما كنت طالبًا رزقني الله بمجموعة من الزملاء الذين يحسنون الطهي والغسيل وكل هذه الأعمال، فكانوا يقومون بهذا الأمر نيابة عني.

لذلك فمنذ أن تزوجت لا أساعد زوجتي، لا استكبارًا على هذا ولا ضنًّا بنفسي، ولكن لأن من طبيعتي، كرجل يشتغل بالفكر وبالعمل العلمي، مشغول دائمًا. أنا أجلس (14) ساعة على المكتب لأكتب وأقرأ يوميًّا، وزوجتي لا تنتظر مني أي مساعدة. ومن فضل الله ألا يرزق الإنسان بزوجة متبرمة بعملها في المنزل، والحمد لله رزقني الله بزوجة ربة بيت من الطراز الأول، وزوجة في غاية الوفاء، وأم لا نظير لها. وهي كفتني كل هذا.

ومن الطبيعي أن أحدثها بالكلم الطيب دائمًا. أقول لها: أحبك، وأشكرها إذ قامت بما يلزم، وأثني على عملها، وأحتفل بزواجنا كل سنة، وفي شهر ديسمبر القادم، سنحتفل بعيد زواجنا الأربعين.

وسأقدم لها - إن شاء الله - هدية ثمينة بهذه المناسبة، فالهدايا وهذه الأشياء ضرورية في العلاقات الزوجية، الحقيقة أن بعض الأزواج يعانون من طلب زوجاتهم للهدايا، لكني أعاني من العكس، فكلما أردت أن آتي لها أو شيء تقول لي: لا ضرورة لهذا، لا داعي لأن تتعب نفسك، وتكف عن هذا. وأنا أدعو الله أن يجزيها عني وعن أسرتنا خيرًا.

أحتفل بعيد زواجي كل عام

الحساب الختامي

قلت للشيخ فيما كان ابن الدكتور القرضاوي يبتسم مندهشًا: هل تحتفل بعيد ميلاد زوجتك؟

تألق وجه الشيخ بمشاعر حب طاغية وهو يقول: أنا أحب كل ما له علاقة بزوجتي، وأحتفل بعيد زواجنا سنويًّا، لكن لي رأيًا في مسألة الاحتفال بأعياد الميلاد، ولا أقول إنها حرام، ولكن أرى أنها نوع من التقليد الأعمى للغربيين في عاداتهم وأعرافهم، فنحن لسنا مطالبين بالالتزام سنويًّا بالاحتفال بعيد ميلادنا، بالعكس فأنا أرى أنه يجب على الإنسان في يوم عيد ميلاده، أن يقف على رأس هذه السنة الجديدة ليحاسب نفسه: ماذا قدمت لحياتي؟ وماذا صنعت في هذه السنة من خير؟ وهو ما يسمونه في علم الاقتصاد: الحساب الختامي.

لكن بالنسبة للأطفال عندنا، فهناك احتفالات شرعية، فإذا ولد الطفل نحتفل به بعد أسبوع، فنذبح عنه أو نعق عنه شاة أو شاتين، وأرى أنه بعد سبع سنوات علينا أن نحتفل بالطفل، ونقول له: هذه سن الصلاة، ومن الآن أنت كبرت وأصبحت مأمورًا بالصلاة، ونحضر له التورتة والحلوى والهدايا المناسبة. وعند عشر سنوات نقيم له حفلة أخرى ونقول له: هذه حفلة الضرب، فأنت كبرت ولم تعد مأمورًا بالصلاة فقط بل ستضرب إذا أهملتها.

وهذا تنفيذ للحديث الشريف: «**مروهم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر**»، والمقصود بالاحتفال هو رسوخ المعنى في ذهن الطفل بأن الصلاة أمر مهم، فعملنا له حفلة، وعند سن

الخامسة عشرة له حفلة أخرى ونقول له: هذه سن التكليف، وأنت مسئول أمام الله عن كل تصرفاتك، وستكتب عليك الحسنات والسيئات.

وعند نجاحه أو تحقيق عمل جيد، أو يفوز بمسابقة نحتفل به.

لكن هذا لا يمنع من أن يأتي الزوج في يوم عيد ميلاد زوجته ويقول لها: كل سنة وأنتِ طيبة، أو يقدم لها هدية كل خمس أو عشر سنوات. إنما طقوس أعياد الميلاد من شموع وتورتة وكاتوه والطراطير وكل هذه الأشياء لا أستحبها للمسلم أن يلتزم بها، لتصبح عادة وكأنها عبادة رسمية مقررة.

الرياضة والفن

هل هناك هوايات أو رياضة معينة يمارسها الدكتور القرضاوي؟

منذ سنتين كنت أمارس المشي على كورنيش الخليج في الدوحة حوالي (3) كيلو مترات كل يوم، لكني توقفت فجأة عندما أصابني ألم شديد في المفاصل، وشُخِّص على أنه تآكل الغضاريف، فأصبحت الآن لا أكاد أمشي قليلًا حتى أشعر بالتعب.

وحاليًا ليس لي هواية سوى القراءة والكتابة. والبعض من أصدقائي يقول: إنني من هواة السفر والترحال، إنما الواقع يقول إنها كلها رحلات علمية ودعوية.

المرأة مدعوة للشهادة كناخبة ونائبة

انتخاب المرأة

قلت للشيخ: لو انتقلنا إلى مجال آخر: فما زالت المرأة في بعض الدول العربية لا تحصل على حقها في الترشيح في الانتخابات النيابية وهو ما يستدعي ...

قاطعني الشيخ القرضاوي قائلًا: الأكثر من هذا هو أن المرأة تمنع من التصويت في الانتخابات.

والحقيقة أن هذا فقه غريب، وأرى أن الانتخاب هو نوع من الشهادة، فالإنسان يشهد بصوته على صلاحية أو عدم صلاحية عضو المجلس أو غيره، على تمثيل دائرته فالمرأة مدعوة للشهادة، وهي قادرة على أن تشهد، خاصة المرأة المتعلمة. والله تعالى يقول: **{وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ}** [الطلاق: 2]، ويقول: **{وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْ}** [البقرة: 282]، **{وَلَا تَكۡتُمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ}** [البقرة: 283]. فالإنسان يجب أن يشهد بالحق الذي يعلمه، وهذا مطلوب من الرجال ومن النساء.

وإذا كانت السناء العلمانيات واللادينيات يقمن بدور في الترويج لأفكارهن، فيجب أن نقول للمرأة الملتزمة أعطي صوتك وانتخبي الصالحين من الناس.

أما بالنسبة للترشيح، فمن حق المرأة أن ترشح نفسها في المجالس النيابية وغيرها؛ لأن هذا نوع من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والله تعالى يقول: **{وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ}** [التوبة: 71].

والمرأة مثلًا في عهد سيدنا عمر وقفت في المسجد وقالت له: كذا وكذا، فقال: أصابت المرأة وأخطأ عمر. وأيضًا: أقام عمر الشفاء بنت عبد الله محتسبة على السوق لمراقبة الأسعار، وغير ذلك.

فليس هناك أي مانع شرعي يمنع المرأة من أن ترشح لهذه المجالس.

البعض يستشهد بحديث: «**لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة**».

حتى إذا أخذنا بعموم ألفاظ هذا الحديث وليس بخصوص سببه ... فهذا لمن ولّوا أمرهم امرأة، أي جعلوها نافذة الأمر، وهذا في رئاسة الدولة، خاصة الدولة التي يعتبر حاكمها ولي أمرها.

لكن في عصرنا الحالي وفي النظام الدستوري والديمقراطي، لم يعد الشخص هو الذي يملك الناس ويلي أمرهم، وإنما هناك مؤسسات هي التي تقود وتصدر القرارات؛ فمجلس الوزراء ليس مؤسسة يقودها شخص، لكنه مؤسسة، أعضاؤها الوزراء وقراراتها جماعية، فـ «تاتشر» مثلًا - لم تكن هي التي تحكم إنكلترا فقط - وإنما هناك مجلس وزراء وحزب وبرلمان.

على كل حال، أنا مع ابن حزم الذي يقول إن هذا الحديث: «**لن يفلح قوم ولّوا أمرهم امرأة**» مقصور على الخليفة والإمام الأعظم، ويمكن أن نقول في عصرنا أن رئيس الدولة يمثل الخليفة، وأن كان رئيس الدولة أشبه بوالي الإقليم بالنسبة للخلافة.

لا مانع أن تتولى المرأة القضاء بكل فروعه

القضاء

ولا أرى مانعًا من أن تتولى المرأة القضاء بكل فروعه، جنائيًّا كان أو مدنيًّا، ولكن هذا موقوف على تطور المجتمعات، فليس هذا صالحًا لكل مجتمع ولكل وقت، فلا بد أن يبلغ المجتمع من النضج والتطور، بحيث يكون حكم المرأة مقبولًا.

وليس هذا الأمر «القضاء» مفتوحًا لكل امرأة، فالمرأة التي تحمل وتلد وترضع، ليس معقولًا أن تجلس على منصة القضاء وبطنها تمتد أمامها هكذا، أو مشغولة بطفلها الرضيع الذي تركته، إنما في سن معينة بعد أن تكون قد انتهت من الحمل والولادة والإرضاع وتربية الأولاد وربما تزوج أولادها، ونضج عقلها وأصبحت من السن والمقدرة العقلية والممارسة العملية، بحيث تكون قادرة على أن تمارس القضاء، وأن تكون عضوًا في مجلس الشعب، ووزيرة ورئيسة مجلس وزراء.

أهلية المرأة

بشرط أن تكون عندها الكفاية، فلا يكون همنا أن نأتي بامرأة حتى ولو كانت غير مؤهلة، إنما لا بد أن تمتلك الأهلية والكفاية للقيام بهذا المنصب وأعبائه. فالفيصل هو الأهلية. وهناك بعض النساء قد تكون أكثر أهلية من الرجال. والقرآن ذكر لنا هذا في قصة «بلقيس» ملكة سبأ التي كانت تملك أهل سبأ، إذ قادت أهلها إلى خيري الدنيا والآخرة. فالرجال فوّضوا لها الأمر: **{قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُاْ أَفْتُونِي فِيٓ أَمْرِي مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ 32 قَالُواْ نَحْنُ أُوْلُواْ قُوَّةٍ وَأُوْلُواْ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِي مَاذَا تَأْمُرِينَ}** [النمل: 32،

33]. وفعلًا كانت من الحكمة والكياسة والذكاء والبصيرة بحيث نظرت في أمر سليمان واختبرته وتعرفت على أهدافه وحجم قوتها وقوته وانتهت بهم إلى أنها جنبت قومها حربًا خاسرة وقادتهم إلى دين الله فربحوا الدنيا والآخرة معًا.

فليست كل امرأة قاصرة، وليس كل رجل كامل ومؤهل، فهناك بعض النساء يفقُن بعض الرجال وكما قال الشاعر قديمًا:

ولو كان النساء كمن فقدنا لفضلت النساء على الرجال

فإذا وجدنا المرأة الناضجة المؤهلة بكفايتها وعلمها وخبرتها وفراغها، فلا مانع من أن توضع في الموضع المناسب لها.

بناتي عالمات ذرة وفيرياء

الاختيار للأبناء

بناتك يعملن في مجالات تكنولوجية يتصورها البعض حكرًا على الرجال، فكيف وجهتهن هذا الاتجاه؟ ولماذا لم يدرسن المواد الدينية؟

منهجي ألا أجبر أحدًا من أبنائي أو بناتي على اتجاه معين، فأنا درست في تخصص التدريس في التربية والتعليم أنه من الأولى أن يوجه الأولاد لدراسة ما يميلون إليه حسب قدراتهم العقلية العامة، كالذكاء وقدراتهم الخاصة. رياضية أو علمية أم فنية أم لغوية. فحسب التوجهات والميول العلمية والمهنية، يتوجه كل إنسان أيضًا. فأنا لم أفرض على أحد اتجاهه فعندما كانت ابنتاي - وهما بينهما فرق أقل من سنة واحدة - في سنة دراسية واحدة، فأخذنا

الثانوية في سنة واحدة، وعندما كانتا في السنة الأولى الثانوية، قلت لهما: ماذا تريدان في السنة القادمة؟ فقالتا: ندرس في القسم العلمي، فقلت لهما: وما قولكما في الدراسة بالقسم الأدبي؟ فقالتا لي: يا أبت، إن الأدبي لا يدخله إلا البنات الكسلانات، وهما من المتفوقات، وكان رأيهما أن القسم العلمي هو الأوفق لهما، فتركتهما فاختارتا ما تريدان فكل بناتي دخلن القسم العلمي، وتخرجت الأولى من قسم الفيزياء وتخرجت الثانية من قسم الكيمياء، وتخرجت الثالثة من قسم الحيوان، والرابعة من قسم النبات، وكذلك اثنان من أبنائي الذكور دخلًا القسم العلمي، وابني الأوسط عبد الرحمن فقط هو الذي اتجه اتجاهًا أدبيًّا، فدخل المعهد الديني، والتحق بكلية الشريعة ونجح بامتياز وعين معيدًا ويدرس «ماجستير» في الشريعة، وابني الأكبر يدرس الدكتوراه في الهندسة الميكانيكية. وكل هذه المجالات دخلها أولادي باختيارهم، فابنتي الأولى كانت هاوية للفيزياء، ولها بعض أبحاثها المحدودة لأنها زوجة وأم لأربعة أطفال، وكانت في منحة دراسية بعد مسابقة حصلت فيها على المركز الأول بجامعة لندن، منحها لها المجلس الثقافي البريطاني في قطر.

كيف توفق بناتك بين العمل في هذه المجالات وبين رعاية أطفالهن؟

هذا يحتاج إلى جهد جهيد، فكان الله في عون المرأة التي تعمل وهي أم. وبالطبع ابنتي معها مربية تساعدها، لكنها تبذل الكثير من الجهد والعناية.

وكون المرأة توفق بين عملها وبيتها، فهذا أمر يحتاج إلى توفيق من الله عز وجل؛ لأنه لا بد للمجتمع من معلمات في الجامعة مثلًا، أو يفتح الله عليها بكشف جديد، وساعد على هذا أن قطر فيها فصل كامل بين تعليم البنات وتعليم البنين، حتى في الجامعة البنات لهن مبنى خاص، والبنين كذلك،

والحمد لله كل أزواج بناتي ملتزمون ومتعاونون، وكلهم على مستوى علمي راق فثلاثة منهم أطباء ومعهم الزمالة العلمية والرابع مهندس، وهم أبناء عائلات طيبة ويتعاونون مع زوجاتهم، والحقيقة أنه من الواجب على الأزواج الذين تعمل زوجاتهم أن يكونوا متعاونين ومتفاهمين، خاصة عندما تكون الزوجة في مجال علمي يحتاج إليه مجتمعنا.

مع الشعر

أنا شاعر ولي ديوانان وأنفعل بالقصيدة الموزونة والمقفاة

لاحظت شاعرية خاصة في صياغة الكلمات، خاصة في كتبك وأرى شاعرًا خلف هذا كله؟

لي ديوانان شعريان، واعلم أن الشعر هو في أساسه موهبة ولكن الموهبة إذا لم تنم يمكن أن تموت، ولذلك لا بد من أمرين: الفطرة الموهوبة، والدربة المكسوبة. وأنا بدأت حياتي شاعرًا، فعندما كنت طالبًا في معهد طنطا الديني الابتدائي والثانوي عرفت بالشعر أكثر مما عرفت بالدعوة، فإذا ذكر اسم القرضاوي يقولون: الشاعر.

وفي أواخر الدراسة الثانوية، ثم في الكلية انشغلت بالدعوة عن الشعر ثم شغلني العلم عن الشعر تمامًا، كما شغل الإمام الشافعي الفقه عن الشعر قديمًا، وكان يمتلك شاعرية عظيمة وقوية.

ومما قاله بعضهم في التعريف بكتاباتي أنها تتميز بدقة الفقيه وحرارة الداعية، وإشراقة الأديب ونظرة المجدد، وأرجو أن يكون هذا صحيحًا إن

شاء الله، وأرى أن التكوين الأدبي لا بد منه لأي داعية يريد أن يخاطب الناس بلسانهم أن يقنعهم ويستميلهم كي يفهموا الإسلام؛ لأن الداعية الموفق هو الذي يقنع العقول ويحرك القلوب. وذلك لا يكون بالأسلوب العلمي الجاف، وإنما بالأسلوب العلمي الأدبي.

هل ما زلت تكتب الشعر؟

للأسف انقطعتُ عن كتابة الشعر، وقد ضاع الكثير من شعري القديم وكان فيه غزل قائم على بعض التجارب العاطفية الشخصية؛ لأن أصدقائي ونحن شباب قاموا بحرقه خوفًا من ضبطهم متلبسين بالاحتفاظ به، أيام محنة الإخوان.

ولكن بقيت بعض القصائد أصدرتها في ديوانين هما: «نفحات ولفحات»، و«المسلمون قادمون».

الأدب

هل تقرأ الشعر والأدب؟

نعم أقرأ الشعر والقصة والرواية، وقد قرأت كثيرًا لنجيب محفوظ، وقرأت: «أولاد حارتنا» وفيها أشياء رمزية لا تقبل دلالاتها، وأتصور أن نجيب محفوظ نفسه غير راض عنها، ولإحسان عبد القدوس، ونجيب الكيلاني، وقرأت لمحمد عبد القدوس الذي يهديني بعض قصصه.

وأيضًا قرأت بعض الشعر الحديث، خاصة أعمال نزار قباني وسعاد الصباح وصلاح عبد الصبور.

التجديد

والحقيقة أنني من الجيل الذي يرى أن الشعر الحقيقي، وهو الملتزم بالوزن والقافية، ولكن لا مانع من التجديد، كما حدث في الأندلس التي أبدعت الموشحات، فالشعر الذي يلتزم بالوزن والتفعيلة ولا يلتزم بالقافية، شعر عربي، وقد قرأت لشاعر مسلم اسمه: عمر الأميري، قصائد اسمها: «خماسيات الأميري» لم يلتزم فيها بالقافية، ولكنها جميلة.

فيجوز للشاعر أن يتخلص من القافية على أن يكون هذا في بعض الأحيان، أي يظل الأصل هو الشعر بوزنه وقافيته، فهذا هو الشعر الذي يحفظ، وإلا، فهل رأيت من يحفظون قصائد الشعر الحديث؟ فالشعراء أنفسهم أصحاب هذه القصائد يقرأون قصائدهم من أوراق لأنهم لا يستطيعون حفظها.

ولكن انظر إلى المعري وامرئ القيس والشاعر العربي القديم وهو يقول:

ألا في سبيل المجد ما أنا فاعل عفاف وإقدام وحزم ونائل
أو: ذو العقل يشقى في النعيم وأخو الجهالة في الشقاوة ينعم
أو: لا يسلم الشرف الرفيع من حتى راق على جوانبه الدم

فلا توجد هذه الموسيقى والسلاسة في الشعر الحديث، وهو ما يجعله صعبًا في الحفظ.

وهناك اعتراض آخر خاص بالمضمون، فقد لاحظت أن كثيرًا من معاني الشعر الحديث، فيها خروج على القيم والعقائد والشرائع والتقاليد، فهو ليس ثورة على القافية أو الوزن، ولكنه ثورة على تراثنا كله من عقائد وقيم

وأخلاقيات. وهذا هو الخطر.

ومع هذا فقد قرأت نماذج جيدة من هذا الشعر، ففي قطر قرأت ديوانًا لشاب فلسطيني عنوانه «نداء الحق» وفيه قصيدة اسمها ركعتان يتحدث فيها أنه عندما تضيق به الحياة ويستبد به القلق وتغمره مشاعر الحزن واليأس، لا يجد بابًا يطرقه إلا باب الله فقام وصلى ركعتين.

الشعر في المعركة

فما أحوج شعراء الشعر الحديث إلى أن يطرقوا هذه الأبواب، فبدلًا من أن يتركز شعرهم في المرأة واللذة والجنس، فمعظم شعر نزار قباني يسير في هذا الاتجاه، فله ديوان قرأته يتحدث فيه عن النهود وحلمة ثدي المرأة، وأشياء من هذا القبيل. لكن إذا توجه الشعر الحديث إلى تعبئة الأمة للثورة على الصهيونية وللوقوف في وجه الغاصبين الذين يريدون أن تذهب القدس نهائيًّا، ويسعون إلى اغتصاب كل فلسطين وهدم المسجد الأقصى، فربما كتب له الخلود مثل قصائد الشعراء العظام.

انظر إلى نزار قباني وهو يرثي بيروت ويرثي طه حسين وهو يمجد الانتفاضة ويقول: يا تلاميذ غزة علمونا أنها قصيدة رائعة. ثم وهو يتحدث عن وفاء العرب، لم يجد إلا الوعاء العربي للشعر الأصيل وهو الوزن والقافية لكي يفجر قصيدته.

والحقيقة كنت أتمنى أن أجد وقتًا لأقرأ الكثير من الأدب العالمي ولكن الواجبات لا تنتهي والأعباء تتزايد، لا طردًا، ولكن عكسًا، فالقوة تضعف

والأعباء تتضاعف بحكم السن، كما قال الله تعالى: **{ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً}** [الروم: 54].

هذه سنة من سنن الله، فأنا عندي مشروعات علمية أريد أن أتممها في المرحلة الأخيرة من عمري.

نحتاج إلى فهم فقه الموازنات

الفقه:

عنفوان وحيوية الشيخ القرضاوي، قادتني إلى مناطق ساخنة جدًّا، خشيت أن تلهيني عن الفقيه المفكر القرضاوي، فسألته عن دعوته إلى فقه جديد؟

فاكتسى الوجه النوراني رزانة المفكر وأجاب الدكتور القرضاوي:

الفقه الذي أنادي به ليس الفقه الذي يدرس في كليات الحقوق والشريعة، ويهتم بمعرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية مثل: أحكام العبادات والمعاملات وأحكام الطلاق والرضاع وغيرها، ولكنه الفقه بالمعنى القرآني الذي يشتمل على ألوان من الفقه، ويشمل أول ما يشمل فقه آيات الله وسننه في الكون والمجتمع والأسرة، فعالمنا لا يمضي بذاته إنما يسير حسب قوانين ثابتة لا تتبدل ولا تحابي أحدًا، فلن تجد لسنة الله تبديلًا، ولن تجد لسنة الله تحويلًا.

وهناك أيضًا فقه الموازنات بين الأمور وبعضها، والموازنات بين المصالح، وبين المفاسد أيضًا بعضها، أيها نقدم وأيها نؤخر، وأيها أولى وأحق من الآخر. وهناك أيضًا الموازنات بين المصالح والمفاسد، إذا

تعارضت مع بعضها البعض، فهنا يقدم النافع منها كما قال الله تعالى: **{يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا}** [البقرة: 219]، وهذا الفقه له قواعده وأصوله، فلا يجوز أن يضحي بالمصلحة الكبيرة من أجل مفسدة صغيرة، ولا يجوز أن يضحي بالمصلحة الجوهرية من أجل مصلحة شكلية أو بالمصلحة الدائمة من أجل مصلحة عارضة.

الأولويات

أيضًا أنبه إلى فقه الأولويات، وهو فيه ترتيب على فقه الموازنات، ومعناه: أن نفهم أي الأشياء أولى من غيرها، فليست الأعمال والتكاليف في مرتبة واحدة، والشرع جعل لكل عمل مرتبته، والدليل ما قال الله تعالى: **{أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَجَٰهَدَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ}** [التوبة: 19]. كما جاء في الحديث الشريف: **«الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»**، فهناك أعمال عليا وأعمال دنيا، ولا يجوز أن نقلب الوضع فنجعل الأعلى أدنى والأدنى أعلى، وهناك فقه مقاصد الشريعة؛ فالشريعة لم تشرع حكمًا إلا وله مقصد أو هدف، حتى العبادات عللها القرآن الكريم فقال عن الصلاة: **{تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ}** [العنكبوت: 45]، وقال عن الزكاة: **{تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا}** [التوبة: 103]، وفي الحج قال: **{لِّيَشْهَدُوا۟ مَنَٰفِعَ لَهُمْ}** [الحج: 27]. وإذا كان الله ربط العبادات بأهداف في الحياة، فقد ربط المعاملات والتشريعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها أيضًا، بأهداف في

الحياة وللأسف فهناك أناس بيننا أسميتهم: الظاهرية الجدد، يقفون عند ظواهر النصوص القرآنية، ولا يتعمقون في أسرارها ومقاصدها، ولذلك يقيمون معارك حول أمور لا معنى لها، ويهتمون بشكليات الدين أكثر مما يهتمون بجوهره؛ فالدين عندهم اللحية الطويلة والثوب القصير والسواك والجدل حول بعض الأشياء الصغيرة، في حين يتركون القضايا الكبرى ولا يهتمون بها. وهذا خلل واضح في فقه المقاصد، وأيضًا في فقه الأولويات.

فقه الاختلاف

كما أن هناك فقهًا آخر هو فقه الاختلاف، ولا بد أن نفقه هذا اللون من الفقه بأن نعرفه، ونعرف آدابه وحدوده، فلا يمكن أن يجتمع الناس على رأي واحد، والذين يعملون على صهر الناس في رأي واحد، لا يزيدون الأمة إلا خلافًا، كما أن الذين أرادوا إلغاء المذاهب كلها لم يبلغوا هدفهم، وإنما زادوا مذهبًا جديدًا، فالخلاف لا بد منه وهو رحمة وسعة وضرورة دينية ولغوية وبشرية وكونية.

هذا هو الفقه الذي أطالب به وأسعى إلى تأصيله في موسوعتي «الفقه الميسر». وأرى أنه لا بد أن نعطي أولوية للاجتهاد والتجديد على التكرار والتقليد. وإذا كان الجمود على ظواهر النصوص مذمومًا، كما هو شأن الظاهرية القدامى والجدد، فأدخل منه في الذم، الجمود على ما قاله السابقون دون مراعاة لتغير زماننا عن زمانهم، وحاجاتنا عن حاجاتهم ومعارفنا عن معارفهم، وأحسب أنه لو تأخر بهم الزمن حتى رأوا ما رأينا وعاشوا ما عشنا - وهم أهل الاجتهاد والرأي - لغيروا كثيرًا من فتاواهم واجتهاداتهم، كيف

وقد غير أصحابهم من بعدهم كثيرًا منها لاختلاف العصر والزمان على رغم قرب ما بين أولئك وهؤلاء؟ بل كيف وقد غير الأئمة أنفسهم كثيرًا من أقوالهم في حياتهم تبعًا لتغير اجتهادهم بتأثير السنين والنضج أو الزمان أو المكان؟

إن هناك أناسًا في تراثنا كانوا يقولون: كل الآراء قابلة لأن تكون خطأً أو صوابًا، وهؤلاء الناس عرفوا في تراثنا باسم «المصوبة»، وقد كانوا من كبار الفقهاء والأصوليين، واعتبروا رأي كل مجتهد صوابًا، ولم يخطئوا المجتهد، بل قالوا الصواب وهو ما انتهى إليه المجتهد بعد أن استفرغ ما في وسعه في طلب الحقيقة. ولا بد أن يكون الإنسان منفتحًا على غيره، متسامحًا معه، مستعدًّا للتنازل عن رأيه إذا تبين له الحق، ويحاوره بالتي هي أحسن كما قال الله تعالى: **{ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ}** [النحل: 125].

وأين هؤلاء «المصوبة» الآن في زماننا المفعم بالمعلومات وبالتالي بالقدرة على الاجتهاد والاختلاف؟

غاب الفقه الذي كانت تنادي به «المصوبة» فغابوا هم معه أيضًا، فعندما غاب هذا الفقه بأنواعه ساد الجهل والعناد والتعنت والتعصب. ولا بد أن نقاوم التعصب بالتسامح، والجهل بالعلم، والانغلاق بالانفتاح، والغباء بالوعي ولا بد أن نعمل على تكوين جيل جديد يحسن الفهم عن الله ورسوله، وإذا ما وجد هذا الجيل تغير كل هذا.

حوار لمجلة الهيئة الخيرية العالمية بالكويت

حاوره: يوسف عبد الرحمن

الشيخ يوسف الدكتور يوسف القرضاوي علم على رأسه نار، فقهًا وعلمًا ودرايةً وسياسةً بالشرع والنقل والعقل، صاحب مدرسة فقه الواقع، وفقه الموازنات، وفقه الأولويات.

على الصعيد الخيري، لا يشق للشيخ الدكتور القرضاوي غبار، ويكفيه أنه صاحب الصرخة الأولى التي تمخض عنها ولادة الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في الكويت لتكون مشعلًا يهدي الفقارى وأصحاب الحاجة إلى سبيل التكسب الشريف فضلًا عن كونها ملجأ إغاثة للملهوفين والمنكوبين في العالم أجمع.

وللشيخ القرضاوي آراء فقهية - خاصة في الفترة الأخيرة - تلقفها أصحاب الغايات البعيدة بكثير من الطنطنة والإثارة، مثل آرائه في قضية زواج المسيار وجواز تمثيل المرأة وتركيزه على فقه الواقع أو فقه الأولويات، مما استدعى الوقوف معه عند هذه المحطات لإجراء الحقيقة ومحو هذه الإثارة والطنطنة المغرضة.

الشيخ القرضاوي، صاحب المؤلفات التي تجاوز عددها الخمسين، والتي تلقى كتاباته قبولًا واسعًا في أوساط العالم الإسلامي على مختلف أقطاره ودوله، خص «الخيرية» بسياحة فكرية فقهية ودعوية طالت كل القضايا التي تشغل المسلمين وغيرهم على الساحة.

بداية بفتاواه في بعض القضايا المثيرة للجدل، إلى أدوار الوساطة التي اختص بها الشيخ القرضاوي بين الدول والمجموعات الإسلامية، إلى تبيان

المنهج الفكري والحركة، إلى بداية رحلته من مصر إلى قطر وما تلا ذلك من أحداث مرورًا بتصديه للتوجهات العلمانية والليبرالية ... كانت محطات أساسية في حوار موسع مع الشيخ القرضاوي، فإلى تفاصيل الحوار:

قرأنا لك فتوى تجوز فيها قيام المرأة بالتمثيل وفق شروط ذكرتها في ندوة العلاقة بين الفقه المعاصر والإعلام المتميز، فماذا عن هذه القضية الحساسة؟

اشتراك المرأة في التمثيل ضروري لا بد منه؛ لأننا لا نستطيع أن نخرج المرأة من الحياة، وأي عمل درامي هادف لا توجد فيه المرأة فهو عمل غير منطقي، ودليلنا على ذلك أن القصص القرآنية منذ آدم عليه السلام حتى الرسول الخاتم عليه - الصلاة والسلام - لم يهمل وجود المرأة فيه، حيث آدم وحواء، ونوح وامرأته، وكذلك لوط وزوجته، ثم الخليل إبراهيم وزوجته، ثم قصة ابني آدم، وموسى وابنتي شعيب وحوارهما مع نبي الله موسى، ويوسف وامرأة العزيز، وسورة كاملة تحكي تفاصيل قصة احتلت فيها المرأة دورًا رئيسًا، ثم سيدنا عيسى وقصة والدته مفصلة، وحتى قصة زيد بن ثابت وزينب بنت جحش، حيث ذكر القرآن في هذه القصة كلها وفيها المرأة بدورها الحيوي، فكيف بنا نغلق الباب أمامها ونخرجها من الحياة؟

رغبة المرأة في الاشتراك بالتمثيل إشكالية تحتاج للاجتهاد والتغلب عليها لإيجاد حل لها، وهذا الحل ليس بفقه «المنع» الذي لا يحل مشكلة رغم سهولته، وترديد الفتوى بأن ذلك حرام حرام فتبقي العقد كما هي، والنتيجة أن ينطلق الناس بدونها، وليس من الحكمة أن نغلق الأبواب فيدعنا الناس ونقف وحدنا، فلا بد من أن نتبنى فقه التيسير، وتعمل عقولنا في فقه جديد نجتهد بعصرنا كما اجتهد فقهاؤنا القدامى في عصرهم، ولو كان الأئمة المجتهدون

يعيشون في عصرنا اليوم لتعاملوا مع هذه القضية وغيرها بصورة مختلفة وفق هذه القواعد الفقهية بأن عموم البلوى من المخففات، وأنه إذا ضاق الأمر اتسع، والمضايقات تجلب التيسير دون افتئات على محكمات النصوص.

أتقصد هنا التمثيل الملتزم بضوابط الشرع فضيلة د. القرضاوي؟

نعم، ما المانع أن تدخل المرأة مجال التمثيل الجاد الملتزم بضوابط الشرع دون تبذل أو سفور، ويتعاون أهل الفقه وأهل الاختصاص للوصول إلى الهدف؛ لأنه من غير المقبول إنشاء قصة خالية من المرأة، فهذا ضد الواقع، ولاشتراك المرأة في التمثيل عدد من الضوابط كما أراها:

1- أن يكون اشتراكها في التمثيل ضروريًّا.

2- أن تظهر بلباس الإسلام ولا تضع المساحيق.

3- أن يراعي المخرج والمصور عدم إبراز مفاتنها والتركيز عليها أثناء التصوير.

4- أن تتفوه بالكلام الحسن وتبتعد عن الفاحش البذيء، وتبتعد عن مشاهد الانحراف والمجون في أعمالها.

وهل تقبل الفنانات فضيلة الشيخ بهذه الضوابط التي حددتها؟

يوجد والحمد لله عدد من الفنانات الملتزمات بالإسلام يقبلن بهذه الشروط، ويمكن التعاون معهن وقد التقيتهن ورحبن بذلك.

العراق والكويت

خلال فترة الغزو العراقي على الكويت علمنا أن لك أحاديث قيلت في بعض الإذاعات العربية منها مصر، وقطر وغيرها عن هذا الاعتداء الغاشم؟

نعم لقد ذكرت أن اعتداء بلد عربي إسلامي على بلد آخر جار له لا يجوز شرعًا، كما ذكرت أن الكويت التي نشأت فيها مؤسسات خيرية عدة امتد نشاطها لدول العالم الإسلامي للدفاع عن عقيدة الأمة ضد التنصير وقيامها بمشروعات عدة للتمكين لشعوب دول العالم الثالث والذي يدخل العالم الإسلامي في دائرته وأنها استنفرت في كثير من النوازل والكوارث لعدد من شعوب العالم الإسلامي فقدمت العديد من المساعدات لهذه الدول - اعتبرتها هدفًا للقضاء على هذا التوجه الخيري الموجه لصالح الدول الضعيفة من منطلق إسلامي، فكان هذا الاعتداء لإيقاف هذا المد للشعوب الإسلامية.

وما رأيكم في النظام القائم في العراق؟

إنه نظام دكتاتوري طاغ لا يرعى حقوق الجوار ولا حقوق النفس الإنسانية ولا حق الكرامة الإنسانية، فقد أذل شعبه وبدد موارده وقتل آلاف الأنفس بغير حق وبغير محاكمة، ولا يأمن منه جار سواء في الحرب الإيرانية أو عدوانه على الكويت الذي كان سيمتد على المنطقة الشرقية في المملكة السعودية والإمارات بحيث يحاول السيطرة على مصادر النفط في المنطقة، فطموحاته ليس لها حدود.

لقد علمنا أنه في أحد البرامج تدين العدوان الأمريكي على العراق؟

الاعتداء على الشعب العراقي شيء والاعتداء على النظام الحاكم والعصبة الحاكمة شيء آخر، فمنذ أن تم حصار العراق فالذي يعاني من هذا

الحصار هو الشعب العراقي والقيادة تعيش في ترف ونعيم، وعند ضرب البنية التحتية لدولة العراق فالذي يعاني من نقص في الخدمات كالكهرباء والماء والغذاء هو الشعب وليس النظام. وتطالعنا الصحف أنه خلال فترة الحصار بنى حاكمها لنفسه ثمانين قصرًا مليئة بالبذخ والترف والشعب يموت جوعًا، كما أن هذه الضربات التي تقع على عاتق الشعب يوظفها النظام بأنه المقصود من هذه الضربات هو قائدها البطل، وما دام قائدها حي يرزق ولم يتحقق مقصود الضربات فيعتبر الشعب قد انتصر ضد أمريكا مما يقتضي الاحتفال بميلاد البطل الصامد ضد العدوان، وهم لا يرغبون حقيقة في إزالته عن الحكم؛ لأن وجوده يعطيهم المبرر لوجودهم في المنطقة وامتصاص خيراتها، ولو كانوا يرغبون في إزالته عن الحكم لفعلوا ولكنهم يتذرعون أنهم لا يتدخلون في الشئون الداخلية للدول وهذه مهمة الشعب العراقي «الأعزل» في تغيير نظامه، هم يعلمون أن وجود النظام يسبب شرخًا في الصف العربي وعدم عودة العراق كشعب لهذا الصف حتى لا تحدث وحدة بين العرب تكون في غير صالح إسرائيل.

لا أحد في العالم الإسلامي ينكر دورك المشرف يوم دعوت لنصرة المجاهدين الأفغان أثناء احتلال الاتحاد السوفيتي حينذاك أفغانستان، ولعبت دروًا طيبًا في الوسطات بين زعماء الجهاد لدرء الفتنة والاختلاف، ما موقف د. القرضاوي من كل ما يجري في أفغانستان اليوم؟

نعم سعيت لنصرة الجهاد الأفغاني عندما دخلت القوات السوفياتية أراضي أفغانستان، ولست نادمًا على هذا الموقف؛ لأنه موقف حق ونصرة لإخوة لنا في العقيدة احتلت بلدهم واستبيحت حرماتهم وانتهكت أعراضهم، وبعد

التحرير سعيت أكثر من مرة إلى التوسط بين زعماء الأفغان، ولكن للأسف غلبت عليهم الأهواء للوساوس الخارجية، التي تحاول أن تفرق بين الأخ وأخيه، فانتهى الأمر إلى ما نراه اليوم، إنه واقع يندى له الجبين، وتدمع له العيون، ويتقطع له القلب، إن رفقاء الجهاد والسلاح بالأمس يتقاتلون اليوم، الدولة التي كنا ننتظرها لتكون قرة أعيننا أصبحت تدمر أمام أعيننا، خذلونا هؤلاء الناس للأسف.

أتشعر بالخطأ لمساعدتهم؟

الواقع أننا لم نخطئ في مساعدتهم، بل كنا على حق؛ لأننا ظننا بهم كان خيرًا، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسني السوء، فهم كانوا على خير كثير، ولذلك نصرهم الله، فحينما صفت أنفسهم وصحت نياتهم، وصدقت عزائمهم، نصرهم الله على القوة الكبرى الثانية في العالم، فلم يكسب الإلحاد في تاريخ البشرية دولة في ضخامة الاتحاد السوفيتي وقوته وغناه، انتصر هؤلاء الأفغان على الدولة الملحدة، ولما تغيّروا غيّر الله ما بهم، ذلك بأن الله لم يك مغيرًا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم.

ورأيك في طالبان؟

ما تطرحه الطالبان باسم الشريعة نرفضه، فقد أوقفوا كل النساء العاملات وأبقوهم في البيوت، وهناك مئات الآلاف من الأرامل اللائي فقدن أزواجهن، الذين استشهدوا في الحرب، وكان هؤلاء النسوة يعملن من أجل أولادهن الأيتام، وبعضهن مثقفات، وبعضهن يحملن شهادات، فلا مانع أن تعمل المرأة في رأيي، فعمل المرأة مشروع بل مطلوب طلب استحباب أو طلب

إيجاب حسب الحاجة، والقرآن ذكر لنا الفتاتين اللتين كانتا ترعيان الغنم في قصة سيدنا موسى: **{قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّىٰ يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ}** [القصص: 23].

والذي ندعو إليه هو أن نعود إلى نصوص القرآن والسنة فنحسن فهمهما وتوظيفهما، وبذلك تكون المرأة في عصرنا كما كانت في عصر الرسالة والنبوة والصحابة، عنصرًا إيجابيًّا وعضوًا حيًّا في جسد المجتمع وليس رئة معطلة ولا عضوًا مشلولًا.

كأنك تقصد في هذا السياق من الإجابة العناصر المتشددة بخصوص عمل المرأة، ألا تخاف من هجومهم؟

أنا لا أهتم كثيرًا لهؤلاء، وعندما ذهبت إلى قطر منذ (37) عامًا وجدت هناك آثار معركة المتشددين والمتفتحين من المشايخ والعلماء البعض يقول: نعلم المرأة حتى الابتدائي فقط «أي القراءة والكتابة»، ويحرم عليها الإعدادي والثانوي والجامعة، والبعض يقول بحقها في التعليم في كل المراحل، وطبعًا انتصر الرأي الذي يقول بحق المرأة في التعليم، بل رأيت الذين كانوا ينادون بتعليم المرأة القراءة والكتابة فقط هم الذين ينادون بأن تفتح الأبواب للمرأة لتدخل الجامعة دون أي قيود أو ضوابط، فإذا بالمشايخ القدامى الذين كانوا يرفضون تعليم المرأة يقولون: لماذا هذه القيود؟ بناتنا يردن أن يتعلمن. في إشارة واضحة للضوابط التي وضعتها الجامعة لقبول المرأة وفق مجموع محدد.

إن التشدد ما زال هو السائد في معاملة بعض المتدينين للمرأة، وهذا يشكل

خطرًا على مستقبل الحركة الإسلامية، فالمرأة نصف المجتمع من ناحية العدد، ولكنها أكثر من النصف إذا نظرنا إلى تأثيرها في أبنائها وزوجها، ويمكن أن تكون عنصر بنَّاء أو معول هدم، ومع ذلك فالأنثى في ميدان الدعوة الإسلامية لم تأخذ حقها كما ينبغي، وفشل الإسلاميون في إبراز قيادات نسائية إسلامية، بينما نجح العلمانيون في ذلك، فإذا كان البعض يأخذ على بعض النساء تبذلهن وتحللهن من عقدة الفضائل والالتزام بالشرع فيجب أن نحارب هذا الجانب، إنما لا نتعداه إلى أن نحرم الحلال، بدعوى سد الذريعة لأن علماءنا من قديم حذروا من التوسع في سد الذرائع، كما حذروا من التوسع في فتح الذريعة؛ لأننا إذا سددنا الذريعة، ستجد من يقول: لا تزرع العنب خشية أن يُتخذ خمرًا، فهل هذا معقول؟! كما أن بعضهم من قال: لا نُعلِّم المرأة حتى لا تكتب رسائل غرامية.

تشكل فضيلة د. القرضاوي بفكرك الشمولي أنموذجًا متفردًا، ومع هذا نرى اسمك مرتبطًا بجماعات دينية تنظيمية، فهل أنت داعية منظم تمثل فكرًا ومنهجًا حركيًّا إسلاميًّا؟

نعم، سئلت - أمنيًّا - عقب عودتي إلى مصر لقضاء الإجازة الصيفية عن علاقتي ببعض الجماعات والإخوان والمحاكم العسكرية، فقلت رأيي بصراحة: باعتباري مصريًّا مسلمًا، أحرص على خير مصر وسلامتها واستقرارها، وأحرص على الإسلام في مصر، وأرى أن مصر أرجى بلاد الله للإسلام، ولا يوجد بلد فيه من الاستعداد وبذل النفس والمال من أجل الإسلام كما يوجد في مصر.

فأنا نشأت في الإخوان، وآمنت بمدرسة حسن البنا ونهجه في التفكير،

وميله إلى الوسطية، وأنا منهجي بطبيعته منهج وسطي، ومن قرأ كتبي واستمع إلى محاضراتي وخُطبي عرف أني لا أعدل بالوسطية بديلًا، منهجي في الدعوة التبشير، وفي الفتوى التيسير، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «**يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا**»، فأنا أيسر في الفتوى وأبشر في الدعوى.

هل لك علاقة بالتنظيم العالمي للإخوان؟

باعتباري مصريًّا مسلمًا، فأنا أقولها بصراحة واضحة وصريحة: ليس لي أي علاقة تنظيمية من أي نوع، لا في جماعة الإخوان، ولا في مكتب الإرشاد، ولا مجلس شورى معين، ولا تنظيم دولي، ولا بنوك ولا غيره، كل ما في الأمر أن فكرة الإخوان فكرة سليمة، خاصة إذا غلب فيها التطور على الجمود، والمرونة على التضييق، والإخوان في السنوات الأخيرة تبنوا كثيرًا مما كنت أنادي به، فقد تبنوا في المجال السياسي قضية التعددية الحزبية، وهذا على خلاف ما كان يدعو إليه حسن البنا، الذي كان ضد الأحزاب والحزبية، ولعله معذور في ذلك الزمن، ولعله لو امتد به العمر لغير اجتهاده، فالرجل كان يتجدد ويتطور، كما أن الإخوان تبنوا فكري حول المرأة عندما أصدروا بيانًا اتجهوا فيه إلى نوع من التيسير والتوسعة.

فأنا، وإن كنت نشأت في الإخوان ودخلت السجن من أجل الإخوان، أرى نفسي لكل المسلمين، وأحمل الجنسية القطرية، ولكني أرى أني لمصر ولقطر وللمسلمين وللعالم كافة، فطبيعة الإسلام أنه دين عالمي، وطبيعتنا من طبيعة الدين الذي ندعو إليه.

فقه جديد

يكتبون ويقولون ويصرحون أنك صاحب فقه جديد، فما هذا الفقه الذي تطرحه على الناس؟

الفقه الذي أنادي به، ليس الفقه الذي يدرس في كليات الحقوق والشريعة، ويهتم بمعرفة الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية مثل: أحكام العبادات والمعاملات وأحكام الطلاق والرضاع وغيرها، ولكنه الفقه بالمعنى القرآني الذي يشتمل على ألوان من الفقه، ويشمل أول ما يشمل فقه آيات الله وسنته في الكون والمجتمع والأسرة، فعالمنا لا يمضي بذاته، إنما يسير حسب قوانين ثابتة لا تتبدل ولا تحابي أحدًا، فلن تجد لسنة الله تبديلًا، ولن تجد لسنة الله تحويلًا.

وماذا عن فقه الموازنات؟

يقصد به الموازنات بين المصالح وبين المفاسد، وأيضًا بعضها وبعض، أيها تقدم، وأيها تؤخر، وأيها أولى وأحق من الآخر، وهناك أيضًا الموازنات بين المصالح والمفاسد، إذا تعارضت مع بعضها البعض، فهنا يقدم النافع منها كما قال الله تعالى: **{يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ۖ قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَآ أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا}** [البقرة: 219]، وهذا الفقه له قواعده وأصوله، فلا يجوز أن يضحي بالمصلحة الكبيرة من أجل مفسدة صغيرة، ولا يجوز أن يضحي بالمصلحة الجوهرية من أجل مصلحة شكلية أو بالمصلحة الدائمة من أجل مصلحة عارضة.

وما الفرق بين فقه الموازنات وفقه الأوليات؟

الأوليات هو فقه يترتب على فقه الموازنات، ومعناه: أن نفهم أي الأشياء أولى من غيرها، فليست الأعمال والتكاليف في مرتبة واحدة، والشرع جعل لكل عمل مرتبته، والدليل ما قاله الله تعالى: **{أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ ٱلْحَآجِّ وَعِمَارَةَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَجَٰهَدَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ لَا يَسْتَوُۥنَ عِندَ ٱللَّهِ}** [التوبة: 19]. كما جاء في الحديث الشريف: «**الإيمان بضع وسبعون شعبة؛ أعلاها لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق**»، فهناك أعمال عليا وأعمال دنيا، ولا يجوز أن نقلب الوضع فنجعل الأعلى أدنى والأدنى أعلى.

وماذا تقصد بفقه الشريعة؟

الشريعة لم تشرح حكمًا إلا وله مقصد أو هدف، حتى العبادات عللها القرآن الكريم فقال عن الصلاة: **{تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ}** [العنكبوت: 45]، وقال عن الزكاة: **{تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا}** [التوبة: 103]، وفي الحج قال: **{لِّيَشْهَدُواْ مَنَٰفِعَ لَهُمْ}** [الحج: 27]. وإذا كان الله ربط العبادات بأهداف في الحياة، فقد ربط المعاملات والتشريعات السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها أيضًا، بأهداف في الحياة، وللأسف فهناك أناس بيننا أسميتهم: «الظاهرية الجدد»، يقفون عند ظواهر النصوص القرآنية، ولا يتعمقون في أسرارها ومقاصدها، ولذلك يقيمون معارك حول أمور لا معنى لها، ويهتمون بشكليات الدين أكثر مما يهتمون بجوهره؛ فالدين عندهم اللحية الطويلة والثوب القصير والسواك والجدل حول بعض الأشياء الصغيرة، في حين يتركون القضايا الكبرى ولا يهتمون بها. وهذا خلل واضح في فقه المقاصد، وأيضًا في فقه

الأوليات.

وهذا ما يجرنا إلى فقه الاختلاف فماذا عنه؟

لا بد أن نعرف آداب وحدود هذا الفقه، فلا يمكن أن يجتمع الناس على رأي واحد، والذين يعملون على صهر الناس في رأي واحد، لا يزيدون الأمة إلا اختلافًا، كما أن الذين أرادوا إلغاء المذاهب كلها لم يبلغوا هدفهم، وإنما زادوا مذهبًا جديدًا، الخلاف لا بد منه وهو رحمة واسعة، وضرورة دينية ولغوية وبشرية وكونية.

هذا هو الفقه الذي أطالب به وأسعى إلى تأصيله في موسوعتي «الفقه الميسر»، وأرى أنه لا بد أن نعطي أولية للاجتهاد والتجديد على التكرار والتقليد. وإذا كان الجمود على ظواهر النصوص مذمومًا، كما هو شأن الظاهرية القدامى والجدد، فأشد منه في الذم، الجمود على ما قاله السابقون دون مراعاة لتغير زماننا عن زمانهم، وحاجاتنا عن حاجاتهم ومعارفنا عن معارفهم، وأحسب أنه لو تأخر بهم الزمن حتى رأوا ما رأينا وعاشوا ما عشنا - وهم أهل الاجتهاد والرأي - لغيروا كثيرًا من فتاواهم واجتهاداتهم، كيف وقد غير أصحابهم من بعدهم كثيرًا منها لاختلاف العصر والزمان عل رغم قرب ما بين أولئك وهؤلاء؟

بل كيف قد غير الأئمة أنفسهم كثيرًا من أقوالهم في حياتهم تبعًا لتغير اجتهادهم بتأثير السنين والنضج أو الزمان أو المكان؟

إن هناك أناسًا في تراثنا كانوا يقولون: كل الآراء قابلة لأن تكون خطأً أو صوابًا، وهؤلاء الناس عرفوا في تراثنا باسم «المصوبة»، وقد كانوا من

كبار الفقهاء والأصوليين، واعتبروا رأي كل مجتهد صوابًا، ولم يخطئوا المجتهد، بل قالوا: الصواب هو ما انتهى إليه المجتهد بعد أن استفرغ ما في وسعه في طلب الحقيقة، ولا بد أن يكون الإنسان منفتحًا على غيره، متسامحًا معه، مستعدًّا للتنازل عن رأيه إذا تبين له الحق، ويحاوره بالتي هي أحسن كما قال الله تعالى: **{ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ}** [النحل: 125].

ونحن نعيش في تقدم التكنولوجيا وتفجر المعلومات أين دور هؤلاء «المصوبة» وقدرتهم على الاجتهاد والاختلاف؟

غاب الفقه الذي كانت تنادي به «المصوبة» فغابوا هم معه أيضًا، فعندما غاب هذا الفقه بأنواعه، وساد الجهل والعناد والتعنت والتعصب، ولا بد أن نقاوم التعصب بالتسامح، والجهل بالعلم، والانغلاق بالانفتاح، والغباء بالوعي والذكاء، ولا بد أن نعمل على تكوين جيل جديد، يحسن الفهم عن الله ورسوله، وإذا وجد هذا الجيل تغير كل هذا. وأعتقد أن الصحوة الإسلامية فعلت فعلها، وأصبح هؤلاء الذين لا همَّ لهم إلا تخطئة الآخرين، واعتبار آرائهم هي الصواب المطلق والحق الصراح قلة، بينما تتسع دائرة الواعين بحقيقة دينهم وموقفه من قضية الخلاف.

وساطة

قمت بعدة وساطات بين الإسلاميين والسلطة الفلسطينية التي يرأسها ياسر عرفات، ما حقيقة هذا الأمر؟

أنا أسعى لأي إصلاح بين المسلمين، ولكن على أي أساس أتوسط بينهما؟ على أساس الرضوخ لإسرائيل؟! والاعتراف باغتصابها لأرضنا؟

إن هذا التهافت على أعتاب إسرائيل، وهذه المبادرات كلها لا فائدة منها، ولا بد من عودة الانتفاضة سلطة وشعبًا؛ لأن أقصى ما يمكن أن يكون بيننا وبين إسرائيل من سلام هو «الهدنة» هذا هو المسموح به شرعًا مع المغتصب اليهودي، أما التحالفات فكلها - في رأيي - تمثل اختراقات لمجتمعاتنا التي تمثل الرصيد الحقيقي في مقاومة إسرائيل، وأحب أن أشير هنا إلى موقف الشعب المصري الأصيل، الواعي بأعدائه، الشعب الذي تمسك بالحاجز النفسي الذي سعى السادات لكي يحطمه، فلم يطبع مع إسرائيل، وهذا يدل على عمق إيمانه بهذه القضية ومعرفته بحقيقة المعركة بيننا وبين إسرائيل.

ألا تتمنى الصلاة في المسجد الأقصى؟

أمنيتي الصلاة في المسجد الأقصى غير أنني أؤكد أنني لن أذهب إلى الأقصى أبدًا طالما بقي أسيرًا بيد اليهود.

أهذه فتوى بتحريم الذهاب إلى المسجد الأقصى ما دام واقعًا تحت الاحتلال اليهودي؟

نعم أنا أقولها كفتوى شرعية: لا يجوز لمسلم أن يذهب إلى المسجد الأقصى ليصلي فيه، إلا إذا كان من أبناء فلسطين، وعاد ليزور أهله، إنما لا يجوز لمصري أو كويتي أو سوري أو خليجي أو مسلم أن يذهب ليصلي في الأقصى وهو تحت أسنة الحراب ويرفرف عليه علم الاحتلال الإسرائيلي أو

يدخل إسرائيل ويختم جوازه بختم دولة إسرائيل، فلا صلاة في المسجد الأقصى إلا حينما يحرر من أسر اليهود، ومن أراد التقيد بالصلاة في مساجد مفضلة، فليصلي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فالصلاة فيه بألف صلاة، أو يصلي في المسجد الحرام، فالصلاة فيه بمائة ألف صلاة، أما الأقصى فلا يمكن الصلاة فيه لغير الفلسطينيين، طالما بقي أسيرًا تحت سلطان الصهيونية.

إننا قد لا نسترد حقنا اليوم، ولا غدًا، ولا بعد غد، إنما ينبغي ألا نستسلم، إنه موقف شرعي بألا نسلم لإسرائيل، ففلسطين ظلت محتلة نحو مائتي سنة أيام الصليبيين، وهيأ الله لها من استردها وحررها والأقصى ظل (90) عامًا أسيرًا في أيدي الصليبيين حتى حرره البطل صلاح الدين الأيوبي. فأنا أعتقد أن الزمن في صالحنا نحن.

وكأنك شيخنا تعني الجهاد في سبيل الله لتحريره؟

لا بد أن يكون ميراثنا للأجيال القادمة هو جهاد وكفاح، لا استسلام وتضييع للأراضي فإسرائيل مصرة على أن تجعل القدس عاصمة لها، وتسعى إلى تهويدها وتفريغها من أهلها، وكان لي قصيدة من ضمنها:

فما معنى فلسطين بلا أقصى فلسطين بلا قدس كجثمان بلا

ويجب على العرب أن يهيئوا أنفسهم لجهاد طويل لتحرير القدس واسترداد فلسطين فإسرائيل لم تسلم بحقنا فيها أبدًا. وأنا عندي رسالة في المطبعة حاليًا سميتها: «القدس قضية كل مسلم» أنادي فيها العرب عامة والمسلمين كافة أن يهبوا لنجدة القدس وأن تعود الانتفاضة المباركة من جديد إلى أرض الأقصى

السليب.

موقفي من صلح اليهود

يستشهد بعض من المسلمين بالآية: **{وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ}** [الأنفال: 61]، عرفت بالواقعية، وأحوال الأمة الإسلامية تراها أمامك ... ألا تعتبر هذه الآية متنفسًا لعقد الصلح مع اليهود، ما رأيك فضيلة الشيخ؟

إسرائيل لم تجنح للسلام يومًا ما، فكيف يجنح للسلم من اغتصب الأرض وسفك الدماء وشرد أهلها وانتهك حرماتها؟! إن الآية الشريفة التي ينبغي أن نحتج بها هنا قوله تعالى: **{فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ}** [محمد: 35]، لكننا استبطئنا النصر، وذهبنا للحصول على بعض المكاسب بالطريق السريع، لا كل المكاسب بالطريق البعيد، فنحن نملك الكثير، ولكننا استعدنا أنفسنا، كان لا بد أن نصبر ونصابر ونرابط كما أمرنا الله **{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ}** [آل عمران: 200].

على كل حال، هذه اجتهادات من أصحابها ندفع ثمنها ضعفًا في الموقف العربي، وقد انتهى الأمر إلى قبول العرب لسلام أقل كثيرًا مما عرضه عليهم السادات.

لماذا تصر على الدوام على ارتداء الزي الأزهري؟

هذا الزي عرف به العلماء، فهو يعبر عن الشخصية الأزهرية، وحتى عندما ذهبت إلى قطر في الخليج، وقدمت برنامجين تليفزيونيين في تليفزيون قطر وقناة الجزيرة الفضائية هما: «هدي الإسلام»، و«الشريعة والحياة»

تمسكت بهذا الزي، وأرى أن شيوخ الأزهر ينبغي أن يحتفظوا بهذا الزي، وينبغي أن يحتفظوا باللحية والعمامة، إحياءً لهذه السنة. وأذكر أن الإمام الندوي، وهو عالم هندي، عندما جاء إلى مصر وسأله الشيخ أحمد حسن الشرباصي عن أعجب ما رآه، فقال هذا العالم الهندي: «أكثر ما أدهشني هو أن علماء الأزهر حليقو اللحية!».

مع السادات

ما قصة أول لقاء مع الرئيس محمد أنور السادات؟

الحقيقة لم تتح لي الفرصة كي ألتقي بالرئيس السادات لأتحدث معه على إثر عودتي إلى مصر إلا مرة واحدة، عندما ذهبنا إليه في القناطر الخيرية ضمن مجموعة من علماء الإسلام وتحدثنا حديثًا طويلًا عامًّا.

وأستطيع أن أقول كمراقب من بعيد، حيث لم أكن مقيمًا في مصر وقتها: إن أفضل ما جاء به السادات، هو فتح الأبواب للناس ليتحرروا ويتنفسوا ويتحركوا، فقد أفرج عن المعتقلين وأغلق أبواب المعتقلات السياسية، وأعلن أن القانون سيسود، وخاض حرب العاشر من رمضان وانتصرت مصر فكان السادات موضع الحب والإعجاب من الناس كافة، ثم تغيرت الأمور وظهر سادات آخر، وأقول إننا المسئولون عن هذا: الصحافة والشعب والناس، يضخمون الحكام، ويسرفون في مدحهم، وينافقونهم بالكثير من الكلام، فيتحول الحاكم إلى فرعون، فالإنسان يبدأ طيبًا وقريبًا إلى الخير والصلاح، ثم بهذه الطريقة التي نكاد نقدس فيها الحكام ونحول كل أعماله إلى بطولات، وننزهه عن الخطأ تمامًا، فيعمى عن أخطائه، ويرفض النقد تمامًا

... إن الحديث الشريف يقول: «**إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم، فقد تُودع منها**» أي لا رجاء منها، فالمفروض أنه إذا أخطأ إنسان أو انحرف ننبهه وننقده، فكيف إذا كانت الأمة تقول للمخطئ أنت على صواب دائمًا، وتقول للمنحرف أنت مستقيم دائمًا، وتقول للظالم أنت المحرر والمنقذ؟! ... نحن الذين نصنع الفراعنة.

كيف خرجت من مصر إلى دولة قطر، ولم طالت مدة مكوثك؟

أود أن أقول إنني حينما خرجت من مصر العزيزة سنة (1961م) معارًا إلى دولة قطر، ومديرًا لمعهدها الديني، ما كان يخطر ببالي أن يطول المقام في ذلك البلد العربي الشقيق، فقد كان من المفروض أن تطول الإعارة (4) سنوات، وقد تمتد سنة أو أكثر ثم أعود إلى وطني، ولكن جرت الأقدار في ذلك الوقت بغير ذلك، فبعد (4) سنوات تغير الوضع، وبدأت محنة أخرى للإسلاميين، فحذرت من العودة إلى مصر، وكان ما اختاره الله، فالإنسان لا يتمنى البلاء، ولكن يسأل الله العافية.

وعدت إلى مصر في العام (1963م) لقضاء الإجازة الصيفية، وبمجرد وصولي إلى قريتي، أخذت من هناك إلى مكان لا يعلمه إلا الله، ومكثت فيه (50) يومًا أنا وزميلي د. أحمد العسال، وكانت الحكاية أن د. عبد العزيز كامل رحمه الله، وعبد العزيز الشوربجي نقيب المحامين، ود. حسن عباس زكي، وآخرين كان لهم اتجاه ديني، وقيل إنهم يخططون لانقلاب، ولهم ممولون من الخليج العربي، وأنا أحدهم، لكن أفرج عنا، واعتذر لنا صلاح نصر، وقال: إن القبض علينا تم في غيبته، وطلب أن نفتح صفحة جديدة، وأن ننسى هذا الموقف، وسمح لنا بالعودة إلى دولة قطر مرة أخرى،

فسافرت ولم أعد إلى مصر إلا عام (1973م)، عدت فوجدت الوضع قد تغير من الاشتراكية الثورية التي كانت تقبض على مصر بقبضة من حديد، عن طريق السجون والمعتقلات والمخابرات وأمن الدولة إلى انفراج وانفتاح، ليس في الأمور الاقتصادية فحسب، ولكن انفراجة أمنية وسياسية، فدخلت مصر وفوجئت بأنه لم يسألني أحد: «لماذا عدت؟ أو لماذا تأخرت في الخليج؟!» ولم يستدعني رجال الأمن كما كان أو نحو ذلك، فكان هذا في رأيي من علامات الصحة في ذلك الوقت وشعرت أن الناس في مصر تنفسوا الصعداء.

أتقصد أنك عدت في زمن الانفتاح على وجه التحديد؟

قبل أن أعودإلى قطر، فوجئت بالانفتاح بفتح الأبواب على مصاريعها، ورأيت الباشوات الجدد يحلون محل الباشوات القدامى دون أن يكون لهم أية صلة بهم، فالباشوات القدامى كان يستفيد من ورائهم أناس كثيرون؛ لأنهم كانوا يفتحون أبوابًا لمن حولهم، وكان عندهم المروءة والمكارم، أما الجدد فكانوا باشوات لأنفسهم، لا يستفيد من ورائهم أحد، ويغفلون الأبواب المفتوحة، ومن هنا استشعرت الخطر وبدأت أفكر في موقف الإسلام: فأين نحن من هذا؟

وإلى ماذا توصلت فضيلة الشيخ د. القرضاوي؟

توصلت إلى أن الإسلام له فلسفته الخاصة في الاقتصاد، هي ليست الفلسفة الفردية المطلقة التي تقوم عليها الرأسمالية، ولا الفلسفة الجماعية المطلقة التي تقوم عليها الماركسية والشيوعية، إنما للإسلام فلسفته المتوازنة

التي تعطي الفرد وتأخذ منه، ولا تضخم الفرد حتى يطغى، ولا تعطي المجتمع الحق في أن يسحق الفرد، ولكن كما قال الله تعالى: **{وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ 7 أَلَّا تَطْغَوْاْ فِي ٱلْمِيزَانِ 8 وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُواْ ٱلْمِيزَانَ}** [الرحمن: 7 - 9]، أي لا طغيان ولا إخسار، لا إفراط ولا تفريط، فالموازنة بين الحقوق والواجبات، بين الحرية والعدل، فالحرية موجودة ولكنها مقيدة بالعدل، هناك حرية للسوق، ولكن ليس مفتوحًا للتلاعب بالأسعار والاحتكار أو التجارة بأقوات الناس وضرورياتهم، وإنما هناك ضوابط ومعايير أخلاقية وتشريعية تضبط هذه الأمور.

العلمانية

كثر الحديث في الإعلام المقروء والمشاهد والمسموع عن لفظ العلمانية ومعاداتها للتيار الإسلامي، وحوارنا معك في القضية الحساسة يبدأ من «تعريف العلمانية»، فما هو مفهومها؟

العلمانية كلمة حديثة الاستعمال في لغتنا العربية، والعلماني: ما ليس بديني، ومقابله: الديني أو الكهنوتي، وكان مدلول العلمانية المتفق عليه يعني: عزل الدين عن الدولة وحياة المجتمع، وهذا المعنى غير معروف في تراثنا الإسلامي، ولم يكن في الإسلام كما في عصورنا الأخيرة إلى اليوم: تعليم ديني وتعليم غير ديني، ولم يكن في الإسلام أناس يسمون رجال الدين، وآخرون يسمون رجال العلم أو السياسة، ولم يعرف الإسلام سلطتين: إحدهما دينية، والأخرى زمنية أو دنيوية، لقد كان الدين ممتزجًا بالحياة كلها امتزاج الروح بالجسم، كذلك كان الدين والعلم، فالعلمانية بضاعة غريبة علينا لم

تنبت في أرضنا، ولا تستقيم مع عقائدنا ومسلماتنا الفكرية.

ما هي نقاط الخلاف بين الإسلام والعلمانية؟

العلمانية لا تقف من الإسلام موقفًا محايدًا كما زعم بعض العلمانيين الهرب، فهذا بالنسبة للإسلام يستحيل؛ لأن الإسلام يواجهها بشموله بكل جوانب الحياة الإنسانية مادية ومعنوية، فردية واجتماعية وهي لا تسلم له بهذا الشمول فلا مفر من الصدام بينهما، فالنصرانية قد تقبل قسمة الحياة والإنسان شطرين: شطر للدين، وشطر للدولة، أو بتعبير «الإنجيل»: شطر لله وشطر لقيصر، فتعطي ما لقيصر لقيصر، وما لله لله، أما الإسلام فيرى الحياة وحدة لا تتجزأ، ويرى الإنسان كيانًا واحدًا لا ينفصم، ويرى أن الله هو رب الحياة كلها، ورب الإنسان كله، فلا يقبل قيصر شريكًا لله، فلله ما في السماوات وما في الأرض، ومن في السماوات ومن في الأرض وقيصر وما لقيصر كله لله، فلا يجوز أن يستولي على جزء من الحياة ويوجهها بعيدًا عن هدي الله ... إن الإسلام يرفض إلا أن يوجه الحياة كلها بأحكامه ووصاياه، وأن يصبغها بصبغته وهي صبغة الله **{وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً}** [البقرة: 138].

هل من إمكان لتعايش الإسلام مع العلمانية في ضوء نظرة التشكيك العقدية من جانب العلمانية للشريعة الإسلامية؟

العلمانية لا تجحد الجانب العقدي في الإسلام، ولا تنكر على الناس أن يؤمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر انطلاقًا من مبدأ مُسلَّم به عندها، وهو تقرير «الحرية الدينية» لكل إنسان، فهذا حق من حقوقه أقرته المواثيق الدولية، ولكن الإسلام في داره «دار الإسلام» لا يكتفي بأن تكون عقيدته

مجرد شيء مسموح به وليس محظورًا كالمخدرات والسموم البيضاء ... إنه يريد أن تكون عقيدته روح الحياة وجوهر الوجود، فالعقيدة الإسلامية تفرض على المسلم أن يكيف حياته وفقًا للأحكام التي تجسدها وأن يظهر أثرها في سلوكه وعلاقاتها كلها سواء كان حاكمًا أو مملوكًا، والعلمانية تريد من العقيدة أن تظل حبيسة الضمير لا تخوض معترك الحياة ولا تؤثر في أهدافها ومناهجها، فإن سمح لها بالظهور فليكن بين جدران المسجد لا تخرج عنها، على أن يكون المسجد نفسه تحت سلطانها، وبهذا نرى المسلم الذي يعيش تحت سلطان العلمانية يعاني من التناقض بين العقيدة التي يؤمن بها والواقع الذي يفرض عليه، فعقيدته تشرق وواقع يغرب، عقيدته تحرم والعلمانية تبيح، عقيدته تلزم والعلمانية تعارض، وهكذا لا تعايش بين الإسلام والعلمانية.

أنفهم منك د. يوسف القرضاوي أن العلمانية مناقضة للشريعة وأنها أصلح للغرب منها في البلاد الإسلامية؟

لا يتصور للعلمانية أن تنجح في بلد إسلامي؛ لأنها مناقضة لطبيعة الإسلام الذي تدين به الشعوب المسلمة ومناقضة لمفاهيمه وسلوكه وتاريخه ولا يوجد أي مبرر لقيامها، كما وجد ذلك في الغرب النصراني، وكل ما تفعله العلمانية أنها تحاول تغيير طبيعة الأمة واتجاهها، والأمة لا تستجيب لها حيث ترفض زرع هذا الاسم الغريب في داخلها وتقاوم بشدة، فينشأ بين الحكم العلماني وبين الأمة المسلمة صراع يظهر حينًا ويختفي أحيانًا، ولكنه صراع باق ومستمر وأبرز بلد إسلامي حكمته العلمانية ونفذت خططها وضربت بيد من حديد كل من يقاومها هو: تركيا، بلد الخلافة الإسلامية

الأخيرة الذي قهره «أتاتورك» في تطبيق النموذج الغربي في الحياة كلها، وسلخه من تراثه وقيمه وتقاليده وأقام دستورًا لا دينيًّا يعزل الدين عن الحياة، فقامت على أساسه قوانين مجافية للإسلام.

وهل هناك فارق من وجهة نظرك بين العلمانية والأخلاق؟

العلمانية لا اعتراض لها على الجانب الأخلاقي في الإسلام، بل ترحب وتدعو إليه باعتبار أن الأخلاق هي قوام المجتمعات وعماد النهضات، وأن الإنسان تبنيه الأخلاق والفضائل الإنسانية الرفيعة، وهذا لا خلاف فيه بين الإسلام والعلمانية، ولكن في مجال العلاقة بين الجنسين، يصر الإسلام على أن يكون الزواج المشروع هو الطريق الصحيح، ويحرم أي اتصال جنسي خارجه، ويعتبره من الزنى الذي يجلب سخط الله تعالى، ويشيع الانحلال والفساد في المجتمع **{وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا}** [الإسراء: 32]، كما حرم الإسلام خلوة الرجل بالمرأة الأجنبية عنه وحرم كل الوسائل التي تيسر وقوع الفاحشة، وهذه الأحكام والتوجيهات الإسلامية لا ترحب بها العلمانية المستعربة على أن هذا يدخل في نطاق الحرية الشخصية، وتنظر إلى الإسلام على أنه تزمت، كما أنهم لا يحبون أن يربطوا الأخلاق بالدين، وإنما يريدون أن يقيموها على أساس فلسفي أو عملي بعيدًا عن الدين.

السلطة وحماس

ما رأيكم بممارسات السلطة الفلسطينية التي يرأسها ياسر عرفات ضد شباب حماس ... ما هو تعليقكم؟

أدعو الفلسطينيين أن يكونوا يدًا واحدة، وأنا أعلم من الإخوة في حماس

أنهم حريصون على وحدة الصف أشد الحرص، ولم يحدث في تاريخهم أن أيديهم امتدت لقتل أي فلسطيني، وإنما كل عملهم ضد إسرائيل وفي الأراضي الفلسطينية المحتلة، إنهم يرفضون توجيه السلام ضد اليهود في خارج الأرض المحتلة، لقد حددوا هدفهم ضد عدو واحد هو إسرائيل المغتصبة لأرضهم.

وأنا شخصيًّا أعجب أشد العجب من موقف السلطة الفلسطينية تجاه الإخوة في حركة حماس، وما تردده من ادعاءات بأن أتباع حماس يقتلون بعضهم بعضًا، وأن الاعتداءات التي تمت على بعض من عناصرهم من تدبير زملائهم في حماس.

أنا أعتقد شخصيًّا أن المستفيد من هذه الخلافات بين السلطة وحركة حماس هي إسرائيل، وأرجو من الإخوة في السلطة وحماس أن يراجعوا أنفسهم وأن يتدخل العقلاء لإيقاف المأساة، وأسأل الله أن يجمعهم على ما فيه خير دينهم ووطنهم.

* * *